المجلد الثالث عشر الجزء ١

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني سنة ١٩٣٣ م

الموافق رمضان سنة ١٣٥١ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً	وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكا

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل	٥٠٠	من السنة الاولى الى السادسة	الى كل سنة منها
«	٣٠٠	« السابعة الى الثانية عشرة	«
في الخارج	٦٠٠	« الاولى الى السادسة	«
«	٣٥٠	« السابعة الى الثانية عشرة	«

ارتجال الشعر واجازته

١ — تمهيد

ارتجال الشعر قوله ابتداء من غير روية ولا استعداد . ومن مترادفاته الابتداء والاقتراح والاقتضاب . وخَشْبُ الشعر واختشابه إرساله كما يجيء بلا تنوق اي من غير تأنق فيه وتمحل له . فهو خشيبٌ ومخشوبٌ . قال الزمخشري في الأساس : « كان الفرزدق ينقح الشعر وكان جرير يخشِبُ . وكان خشب جرير خيراً من تنقيح الفرزدق . وقال جندل :

« قد علم الراسخُ في العلم الأَرِبْ والشعراء أنني لا أختشِبْ
حسرى رذاياهم(١) ولكن أقتضبْ

اي أبتدع » .

والإجازة هي ان يتم الشاعر بيتاً أنشد غيره مصراعاً منه . أو أن ينظم بيتاً أو أكثر على مثال بيت أو أكثر ، له أو لغيره ، ملتزماً بحره وقافيته . ويقال لها المماتنة والمساجلة والمعارضة والمحاضرة والمباراة . وموضوع الكلام ، في هذه المقالة ، ما وقع منها ارتجالاً بلا تريث ولا إبطاء . فلا يدخل فيه ما يجيزه الشعراء على مهل وتأنٍ ، من باب الاحتذاء والمعارضة ، كما يفعلون بالتسميط أو التشطير والتخميس .

٢ الشك في إمكان الارتجال

ولا يخفى ان بعض الكتّاب في هذه الايام يشكّون في إمكان ارتجال الشعر

(١) حسرى جمع حسير اي كليل متعب . ورذايا جمع رذية مؤنث رذيّ بمعنى هزيل .

ويطعنون في صحة ما نراه في كتب الأدب من دعوى ارتجال الشعراء الجاهليين والمخضرمين والمولدين والمحدثين ، للأبيات والنتف[1] والقطع والقصائد المنسوبة اليهم . فيعدّونها دخيلة او منحولة او يزعمون ان أصحابها كانوا ينظمونها بعد سبق التروية والتفكير . ثم يستظهرونها ويحملونها على ظهور ألسنتهم وينشدونها في مجالس الخلفاء والملوك والامراء والوزراء . فيخيل الى سامعيهم انهم ارتجلوها ارتجالاً . ويشيع عنهم ذلك وتتناقله الالسنة ويعقله التواتر ، وهكذا يُعزى اليهم ما لم يكن فيهم ولا ادعوه قط .

٣ – هذا الشك يتناول الإجازة ايضاً

هذا ملخص ما يقوله المشككون في إمكان قرض الشعر ارتجالاً . وهو يتناول شكهم في الإجازة المرتجلة . فلا يصدّقون مايروى عنها . ويخرّجونه على وجوه مختلفة . فاذا ذُكرتَ لهم مثلاً حادثة ابي تمام الشاعر المشهور ، حين مثل بين يدي احمد بن المعتصم ، في حضرة الفيلسوف يعقوب بن الصبّاح الكندي ، وأنشد قصيدته السينية التي مطلعها : « ما في وقوفك ساعة من باس » وانتهى الى قوله :

إقدام عمرو في سماحة حاتمٍ في حلم احنفَ في ذكاء اياس

وقال له الكندي : « لقد شبهت الامير بصعاليك العرب » فأطرق ابو تمام هنيهةً وأنشد :

لا تنكروا ضربي له من دونهُ مثلاً شروداً في الندى والباسِ

فالله قد ضرب الأقلّ لنوره مثلاً من المشكاة والنبراسِ

قالوا لك « ليس بعيداً ان يكون ابو تمام ، لما نظم القصيدة وانتهى الى البيت الذي شبّه فيه ممدوحه بمن هم دونه ، قد تنبه الى مايَرِد عليه من الاعتراض فاستعد لدفعه بالبيتين اللذين حفظهما في ذهنه وأنشدهما بعد الاعتراض على وجه أوهمَ السامعين انه نطق بهما إجازةً مرتجلةً فأُعجبوا بسرعة خاطره وحضور ذهنه » . وربما زادوا على ذلك قولهم ، تأييداً لرأيهم هذا ، ان ابا تمام كان مشهوراً بالتريث والابطاء في نظم الشعر .

(١) جمع نُتفة بضم النون . نُقل عن الفراء ان العرب تسمي البيت الواحد يتيماً والبيتين والثلاثة نتفة . أفاده الصبّان .

واذا استشهدت على إمكان الإجازة المرتجلة بالشاعر مان الموسوس الذي قيل انه سمع قول بعض الشعراء :

«حجبوها عن الرياح لأني قلتُ يا ريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن منعوها عند الوداع الكلاما»

فقال من فوره مجيزاً :

«فتنفستُ ثم قلتُ لطيفي ويكَ إن جئتَ طيفها إلماما
حيّها بالسلام سرّاً وإلا منعوها لكيدهم ان تناما»

أجابوك قائلين ما الدليل على كونه قد نظم بيتيه من فوره ؟ ألا يحتمل ان يكون قد نظمها على اتئاد وتروٍ تذييلاً او معارضة للبيتين الاولين ؟ »

٤ — اهم اسباب الارتياب

أ — تعذُّر الارتجال على بعض الكتاب

ولهم على مخالفتهم للمعروف من جهة ارتجال الشعر وارتيابهم في صحته أدلة كثيرة أهمها اثنان .

ففي الاول يقولون : « لقد اتخذنا الشعر عدته واستوفينا جميع الشروط لنظمه . فحذقنا علوم اللغة بأسرها . ووقفنا على مطولات علمي العروض والقوافي . وطالعنا كثيراً من دواوين فحول الشعراء وكتب البلغاء واذخرنا مالم يسهل على غيرنا حفظه من مفردات اللغة ومترادفاتها وتراكيبها الفصيحة وتعابيرها البليغة . ولما استكملنا الاهبة حاولنا النظم غير مرة فاعتاص علينا . ومع كل مابذلناه من الجهد في تدميثه وعثه وتسهيل صعبه لانزال نراه شديد الشكيمة وخشن المركب . فاذا كان هذا شأنه معنا ونحن نزاوله في ترسّل وتمهل واجهاد قريحة واستكداد ذهن فكيف نصدق انه كان يذل وينقاد لمن أتوه على البديهة بلا اقل استعداد ؟ »

ب — عدم شيوع الارتجال في هذه الايام

ويقولون في الثاني : « لو صح مايروى عن مرتجلات الشعراء الغابرين لوجدنا لها اثراً بين شعراء هذا العصر وفيهم نخبة من حملة لوائه والمجلين في مضماره . هؤلاء كلهم ينظمون

قيه قصائد كالفرائد في القلائد . ويشنفون الآذان بما هو اغلى من الدر والعقيان . ويسكرون الاذهان براح البلاغة وسحر البيان . ومع ذلك لانسمع عنهم أنهم ابتدهوا قصيدة أو ارتجلوا قطعة او نتفة أو على الاقل أجازوا بيتاً او مصراعاً قبل أن يأخذوا نفساً أو يبلعوا ريقاً . »

٥ كلا الدليلين غير مقنع

ويرد عليهم في الاول ان عجزهم عن تذليل مطية الشعر لايصح أن يتخذ دليلاً على عدم عتوها ومطاوعتها لغيرهم . ومتى كان جهل الانسان لشيء دليلاً على عدم علم غيره به ؟ انما يصح ان يعد اعتياص الشعر عليهم دليلاً على فقدهم الملكة المعبر عنها بالقريحة . وغاية ما ينبغي ان يؤخذ من قولهم هذا انهم غير مخلوقين للشعر ولا مطبوعين عليه . و كونهم كذلك لاينبغي ان يكون غيرهم بخلاف ماهم عليه . وجميع الشروط التي قالوا انهم استوفوها قد تكفي لأن تجعل الانسان ناظماً لاشاعراً .

ويرد عليهم في الثاني أن استقراءهم في مايتعلق بشعراء هذه الايام ناقص لايصح الاستناد اليه في الحكم على الشعراء الغابرين . وهبهم استطاعوا ان ينفوا قوة الارتجال عن شعرائنا المجيدين — وهو فوق استطاعتهم كما سيأتي — فليس ذلك بدليل على نفيها عمن تقدمهم في العصور السالفة . ومهما يبلغ من شدة براعة شعرائنا في نظم الشعر فان بينهم وبين الشعراء السابقين اختلافاً كبيراً في امور كثيرة تحول دون بلوغ المتأخرين شأو المتقدمين في النظم الارتجالي . واهم هذه الامور تغير احوال الزمان والمكان وتبدل وجوه الاجتماع والعمران . وترقي اساليب المعيشة وتنوع طرق التعليم والتهذيب وتشعب مسالك الكسب وطلب الرزق واتساع مسافة الفرق بين اللغة الفصحى واللهجات العامية الظامية بتبول ألفاظها وتعابيرها على الالسنة والشفاه وشيوع كثير من اللغات الاجنبية بين الناطقين بالضاد واضطرار اكثر الشعراء الى تعلم لغة او لغتين منها .

هذه كلها عرضت لما أوتيه فحول شعرائنا من قوة الابتداه والارتجال وحالت دون ظهورها فيهم بالمظهر الساطع الرائع الذي كانت تظهره في من تقدمهم . ومما زاد هذه العقبة الكؤود وعورة ومشقة عليهم أنه لم يتح لاحد منهم — كما أتيح لاكثر شعراء العهد

الماضي — ان يتخذ الشعر صناعة له يقتصر على احترافها وتعاطيها ليزداد بمواصلة مزاولته لقرض الشعر تمرساً به وتمرناً عليه حتى تظل فيه قوة الارتجال بكثرة الاستعمال محكمة الصقل متقنة الشحذ لا يصلد زندها ولا يكل افرندها ·

ومع هذا كله لا يقصّر اكثرهم عن الضرب بسهم كبير في ابتداء القريض فيأتونه في الاجازة وغيرها مرتجلين البيت والتقفة والقطعة الى ما يجاوز العشرة وقد يبلغ العشرين ولو تهيأ لهم بعض الاسباب التي تهيأت للشعراء النابرين لجاروهم في حلبة النظم الارتجالي وبرّزوا عليهم · وليعلم القارئ ان كاتب هذه السطور لا يقطع في صحة كل ما يروى من مرتجلات الشعر · ومن رأيه انه لابد للشاعر ما قبل الارتجال من بعض دقائق يقضيها في تصور المعنى واختيار اللفظ ·

٦ — قالة المعنّى

ومما يؤيد قولنا هذا النظر الى قالة المعنّي · وهو شعر العامة في جبل لبنان وما حوله كالزجل في مصر · وله اوزان مخصوصة تقرب من اوزان أبحر الوافر والكامل والمتدارك في الشعر ويعرف قائله بالقوال · وما يقوله بالمطالع والقصيد · وهو في المعنّى كالحل في الزجل · ومنه ضرب يعرف بالعديات او القراديات · ويراعى في نظمه القافية والمحافظة على الوزن بلا التفات الى صحة اللغة والاعراب · واكثر ما يقوله أربابه ارتجالاً فينظمونه متبادهين يجيبون بعضهم بعضاً على بحر واحد وقافية واحدة متناولين جميع الفنون الشعرية من مدح وهجاء وفخر وحماسة وغزل وحكم ورثاء · ويلتزمون فيه اكثر ما يلتزمه الشعراء من البديع اللفظي والمعنوي والالغاز والمعميات وغيرها · وقد زاوله كثيرون من شعراء لبنان كالشيخ ناصيف اليازجي وبنيه الشيخ حبيب والشيخ ابراهيم والشيخ خليل وكان سلفي المرحوم الشيخ ابراهيم الحوراني من اكبر قالته واشهر فرسان ساحته وبين شعراء لبنان الآن عدد ليس بقليل من قالة المعنى الذين يشار اليهم بالبنان ·

والذين يواظبون على قوله في هذه الايام لا يقلون عمن سبقهم فيه براعة وتفنناً وسرعة خاطر وفيض قريحة · وقد شهدت لهم عدة مجالس سمعت منهم فيها ما يطرب ويعجب ويقضي باشد مظاهر الحيرة والدهشة · واتفق مرة ان احدهم وهو الاديب اسعد الخوري القوال

الذائع الصيت اشار اليّ في احد مطالعه وبالغ في مدحي واطرائي . فلم يسعني الا ان أنشدت قصيدة في وصف الحفلة والثناء على براعة القوالين ولم افرغ من انشادها حتى اجابني من فوره بأبيات — من بحر قصيدتي وقافيتها — ان لم تكن من بليغ الشعر فليست من مبتذله وركيكه . ومما اذكره له قوله في مطلع قصيد :

«بك يراعك يبتسم زهر الندى   وضحك حسامك في الوغى تبك العدى»

وكما استطاع قائله المعنى في هذه الايام ان ينظموه على البديه كما كان ينظمه قائليه في القديم هكذا يستطيع شعراؤنا الآن ان ينظموا الشعر ارتجالاً متى ارادوا وتوافرت لهم الاسباب التي تهيأت لغيرهم في سالف الازمان .

٧ بعض أمثلة الشعر الارتجالي

وكتب الأدب حافلة بالنتف والقطع والقصائد التي يقال إن الشعراء كانوا ينشدونها ارتجالاً اجابة لاقتراح خليفة أو ملك أو أمير أو وزير . فمن ذلك مايروى عن المعز بن باديس انه استدعى شاعريه اباعبد الله بن شرف القيرواني وابن رشيق الأزدي واقترح عليهما ان ينظما بين يديه قطعتين في وصف الموز على قافية الغين . فلبيا من فورهما الطلب . وكان ما نظمه القيرواني :

«يا حبذا الموز وإسعاده   من قبل أن يمضغه الماضغُ
لانَ الى أن لا بحسَّ له   فالفم ملآنٌ به فارغُ
فانه لي مأكل طيب   وانه لي مشربٌ سائغُ»

وكان ما نظمه ابن رشيق :

«موزٌ سريع أكله   من قبل مضغ الماضغ
فآكل لآكل   ومشرب لسائغ
والفم من لين به   ملآنُ مثل فارغ»

ومنه ان الشاعرين ابن قلاقس وابن المنجم صعدا مع جماعة الى سطح الجامع في القاهرة عند مغيب الشمس في آخر يوم من شهر رمضان . فاقترحوا عليهما ان ينظم كل منهما في وصف مايراه من غياب الشمس وظهور الهلال . فأطرق كل منهما مفكراً . وميّز ماقذفه

اليه بحر خاطره متحيراً . ولم يكن الا كرجعة طرف ، أو كوثبة طِرف (١) ، حتى أنشدا .
فقال ابن النجم :

« وعشاءٍ كأنما الأُفق فيه لازوردٌ مرصّعٌ بنضارِ
قلتُ لما دنت من المغرب الشمـ ـسُ ولاح الهلال للنظّارِ
أقرض الشرق صنوه (٢) الغرب دينا راً فأعطاه الرهن نصف سوارِ »

وقال ابن قلاقس :

« لا تظنّ الظلام قد اخذ الشمسَ وأعطى النهار هذا الهلالا
انما الشرق أقرض الغربَ دينا راً فأعطاه رهنه خلخالا »

وكلاهما رائع بليغ . ولكن الاول أروع وأبلغ كما لا يخفى .

ومنه انه جرى نزاعٌ في الشعر بين ابن النروي وهبة الله ابن الوزير وهما في حمّام . واتفقا ان يحكم بينهما احد الأدباء . فاقترح عليهما ان ينظم كل منهما شعراً في وصف الحمام ، فيحكم بالأفضلية لمن يسمو وصفه على وصف الآخر . فقال ابن النروي :

« إنّ عيش الحمّام عيشٌ هنيءٌ غير أنّ المُقام فيه قليلُ
جنّةٌ تُكره الإقامة فيها وجحيمٌ يطيب فيها الدخولُ
فكأن الغريقَ فيها كليمٌ (٣) وكأن الحريق (٤) فيها خليلُ »

وقال ابن الوزير بعد ريث وابطاء :

« لله يوم بحمّام نعمتُ به والماء من حوضها (٥) ماببننا جارِ
كأنه فوق شفاف الرخام بها ماءٌ يسيل على أثواب قصّارِ »

فانتقد عليه الحكم تشبيهه الماء بالماء . واستبرده ابن النروي فقال فيه :

« وشاعرٍ أوقد الطبع الذكاءُ له بل كاد يحرقه من فرط إذكاءِ
فقام يجهد في نظم رويّته وفسّر الماء بعد الجهد بالماءِ »

---

(١) الطَّرف بفتح الطاء العين . والطِّرف بكسرها الكريم من الخيل .
(٢) الصنو الاخ الشقيق . (٣) كليم الله موسى . (٤) المحروق . ويراد بخليل ابراهيم خليل الله . (٥) الحمّام مذكر وقد يؤنث كما في هذا البيت .

ومنه ان المهديّ خرج يوماً للصيد ومعه عليّ بن سليمان وابو دلامة الشاعر · فرمى المهدي ظبياً فأصماه ورمى ابن سليمان فأصاب احد كلاب الصيد · فأمر المهدي ابا دلامة ان يقول بديهاً شيئاً في ذلك فارتجل :

« قد رمى المهديُّ ظبياً شكّ بالسهم فؤاده
وعليُّ بن سليما ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كلُّ م امرئٍ يأكل زاده »

ومنه ان تميم بن جميل التغلبي عاث في بعض الأعمال وأمر المعتصم فجيء به اليه · فلما مثل بين يديه ورأى السيف والنطع معدَّين لقتله أراد المعتصم ان يعلم كيف منطقه · فقال له « تكلم » فقال بعد ما حمد الله ودعا للمعتصم « ان الذنوب تُخرس الألسنة وتُعمي البصائر ، فلم يبق الا العفو أو الاقتصاص ، وأرجو ان يكون أقربهما مني أليقهما بك » · ثم ارتجل تسعة أبيات قال في مطلعها :

« أرى الموتَ بين النطع والسيف كامناً يلاحظني من حيث لا أتلفت »

ومنها :

« وما جزعي أني أموت وانني لأعلم ان الموتَ أمرٌ موقتُ
ولكن خلفي صبيةٌ قد تركتهم وأكبادهم من حسرةٍ تتفتتُ
كأني أراهم حين أُنعى اليهم وقد خمشوا تلك الوجوه وصوَّتوا
فان عشتُ عاشوا سالمين بغبطةٍ أذود الردى عنهم وان متُّ موَّتوا »

فعفا عنه المعتصم وقلده عملاً ·

ومنه ان جريراً دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده عديّ بن الرقاع العاملي ينشده القصيدة التي يقول فيها :

« غلبَ المسامحَ الوليدُ سماحةً وكفى قريش المعضلات وسادها »

قال جرير : « فحسدته على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية :

« تُزجي أغنَّ كأنَّ إبرةَ روقه »

ثم قطع الانشاد لتشاغل الخليفة عنه · فظننتُ انه قد أُرتج عليه · فقلت في نفسي

لقد وقع . وهو عاجز عن إتمام هذا التشبيه على وجه حسن مقبول ، ولكنه ما أبطأ ان قال : «قلم أصاب من الدواة مدادها» . واذ ذاك اخذ مني الحسد كل مأخذ وما قدرت أن أقيم فانصرفت» .

والحق يقال ان هذا التشبيه من اكبر معجزات البلاغة وسحر البيان ، ولو خامر قلب جرير أقل ريب في ارتجال ابن الرقاع لهذه القصيدة لم يتوقع عجزه عن اتمام البيت عندما أنشد صدره ولا حسده عليه بعدما أتمه .

ومنه أن ابا الفضل الدارمي سمر ليلة مع بعض أصحابه وبين أيديهم شمعة ، فأفضى حديثهم الى وصفها ، وأطرق بعضهم لينظم فيها . فارتجل ابو الفضل :

سمرنا فأذهبنا الهموم بشمعةٍ غنينا بها عن طلعة الشمس والبدر
أقول وجسمي ذائبٌ مثل جسمها ودمعتها الحرّي كما دمعتي تجري
كلانا لعمري ذوب نار من الهوى فنارك من جمرٍ وناريَ من هجر
وانكِ مثلي في مكابدة الأسا فصدرك في نارٍ وناريَ في صدري

وغير ذلك مما يضيق المقام دون استيفائه . وفي ديوان ابي الطيب المتنبي شيء كثير من مرتجلاته وإجازاته في مجالس بدر بن عمّار وابي العشائر وسيف الدولة وغيرهم . وكلها تشهد له بانه كان من المجلّين في مضمار هذين الفنين .

٨ – بعض الاجازات المرتجلة

اما الاجازات المرتجلة فمن اقدم الامثلة عليها في كتب الأدب ما نطالعه عن عبيد ابن الابرص المضري من فحول شعراء الجاهلية وحكمائها ودهاتها وأحد أصحاب القصائد المجمهرات المعدودة في الطبقة الثانية بعد المعلقات . فقد قيل انه لقي امرأ القيس يوماً وسأله «كيف معرفتك بالاوابد ؟» أي القوافي الشرد . فأجابه : – «ما أحببت» فسأله عبيد :

«ماحيّة ميتة قامت بميتتها درداءُ ماأنبتت ناباً واضراسا؟»

فأجابه امرؤ القيس :

«تلك الشعيرة تسقى في سنابلها قد أخرجت بعد طول المكث أكداسا»

ثم سأله عبيد :

« ما السود والبيض والاسماء واحدة لايستطيع لمن الناس تمساسا »

فاجابه :

« تلك السحاب اذا الرحمن انشأها روّى بها من محول الارض أيباسا »

ثم سأله :

« ما مرتجات على هول مراكبها يقطعن بعد المدى سيراً وإمراسا ؟ »

فاجابه :

« تلك النجوم إذا حانت مطالعها شبهتها في سواد الليل أقباسا »

ثم سأله بعد ذلك عن الرياح والمنايا والجياد والموازين فأجابه عن كل منها على المنوال المتقدم وكان مجموع أبيات السائل والمسؤول ستة عشر فاذا صحت هذه الرواية كان الفضل الاكبر فيها لامرئ القيس · فقد ابدى في أجوبته من شدة الذكاء وقوة العارضة وسرعة الخاطر مايحسد عليه ·

ومنها ان النابغة الذبياني زار رجلاً · فتناول هذا كاساً وقال :

« تطيب نفوسنا لولا قذاها ونحتمل الجليس على اذاها »

فقال النابغة :

« قذاها ان صاحبها بخيل يحاسب نفسه بكم اشتراها »

ومنها أن زهير بن أبي سلمى نظم بيتاً وصدر بيت آخر وهما :

« تراك الارض إما مت خفّاً [(١)] وتحيا ان حييت بها ثقيلا »

نزلت بمستقر العز منها »

ومر به — النابغة الذبياني فقال له : — « أجز ياأباأمامة » · فاكدى اي امسك عن الجواب ثم أقبل ابنه كعب وهو بعد غلام · فقال له « أجز يا بني » فانشد :

« وتمنع جانبيها أن يزولا »

فضمه الى صدره وقبله وقال له : — « أنت ابن زهير حقاً ! »

---

(١) خفيفاً ·

ومنها ما يحكى عن جرير والفرزدق حين اجتمعا عند بشر بن مروان فقال لهما : انكما لقد تعارضتما الاشعار وتطالبتما الآثار وتقاولتما الفخار وتهاجيتما . فاما الهجاء فلا حاجة لي فيه . فجددا الآن ما مضى . وجددا بين يدي الفخر متبادهين . » فقال الفرزدق :

(لنحن السنام والمناسم غيرنا ومن ذا يسوى بالسنام المناسما [١]

فقال جرير :

على معقد الاعجاز انتم زعمتم وكل سنام تابع للغلاصم [٢]

وقال الفرزدق :

(على محرض للفرس انتم زعمتم الا ان فوق الغلصمات الجماجما [٣])

فقال جرير :

(وانبأتمونا انكم هام قومكم ولا هام الا تابع للخراطم [٤])

وقال الفرزدق :

(لنحن الزمام القائم المقتدى به من الناس ما زلنا فلسنا لهازما [٥])

فقال جرير :

(فنحن بنو زيد قطعنا زمامها فتاهت كسار طائش الرأي عارم [٦])

فقال له بشر : « غلبته بقطعك للزمام وذهابك بالناقة . » ثم احسن جائزتهما وفضل جريرا . ويرى القاري ان جريراً جارى الفرزدق في البحر والقافية وخالفه في حركة الروي فقط .

ومنها ان هذين الشاعرين اجتمعا هما والاخطل في مجلس عبد الملك . فاحضر بين

---

(١) السنام حدبة في ظهر البعير . وفلان سنام قومه اي كبيرهم والمناسم جمع منسم وهو خف البعير .

(٢) جمع غلصمة وهي اللحم بين الرأس والعنق . وهي ايضاً السادة والجماعة .

(٣) المحرض اسم مكان من جرضه اي خنقه . والفرس دق عنق الفريسة .

(٤) واحدها هامة اي الراس . (٥) جمع لهزمة وهي عظم تحت الاذن .

(٦) اسم فاعل من عرم الرجل اذا فارق القصد وخرج عن الحد

بين يديه كيساً فيه خمسمئة دينار وقال لهم : ليقل كل منكم بيتاً في مدح نفسه . فأيكم غلب فله الكيس . فبدر الفرزدق فقال :

انا القطران والشعراء جربى وفي القطران للجربى شفاء

وقال الاخطل :

فان تك زق زاملة فاني انا الطاعون ليس له دواء

فقال جرير :

انا الموت الذي يأتي عليكم فليس لهارب مني نجاء

فقال له عبد الملك : خذ الكيس فان الموت يأتي على كل شيء .

ومنها ان هؤلاء الثلاثة حضروا مجلس هشام بن عبد الملك ، فأمر باحضار ناقة وقال لهم : « نظمت مصراعاً في هذه الناقة ، فأيكم أجازه كما أريد فهي له . وهذا هو المصراع : (أُنيخها ما بدا لي ثم أرحلها) » . فبدر جرير فقال :

(كأنها مُعْتَقٌ(١) تعدو بصحراء)

فقال له هشام (لم تصنع شيئاً) . وقال الفرزدق : (كأنها كاسرٌ بالدوّ فتخاء(٢)) فقال هشام : (ولا أنت) . فقال الأخطل : (تُرخي المشافر واللحيين إرخاء(٣)) . فقال هشام : (اركبها بارك الله لك فيها) . وقد خالف الفرزدق رفيقيه في حركة الرويّ .

ومنها ان ابا تراب هبة الله بن السريجي لقي يوماً الشريف العباسي . وكانا كلاهما شاعرين . فقال ابو تراب :

أسلوتَ حبّ بدور(٤) ام تتجلّد وسهرتَ ليلك ام جفونك ترقد ؟

فأجاب الشريف بديهاً :

لا بل همُ ألفوا القطيعة مثل ما ألفوا تزولهم بها فتبعّدوا ...

(١) من أعتق الرجل فرسه أي أعجلها . (٢) الدوّ المفازة ، والفتخاء العقاب اللينة الجناح . (٣) المشافر جمع مشفر شفة البعير ، واللحيان عظما الحنك اللذان عليهما الاسنان . (٤) علم لامرأة .

فقال ابو تراب :

فإلامَ تصبر والفؤاد متيمٌ ولظى اشتياقك في الحشى يتوقد ؟

فأجاب الشريف :

ما دام لي جلد فلست بجازعٍ إذ كان صبري في العواقب يحمد

فقال ابو تراب :

أحسبتَ كتمانُ الغرام فضيلةً لو كان دمع العين مما يجمدُ

فأجاب الشريف :

ان كان جفني فاضحي بدموعه أظهرتُ للجلساء أني أرمدُ

فقال ابو تراب :

فهبِ الدموع اذا جرت أخفيتَها فيقال لِمْ أنفاسه تتصعد ؟

فأجاب الشريف :

أمشي وأُسرع كي يظنوا أنها من ذلك المشي السريع تولَّدُ

وهي طويلة اكتفيت بذكر ما تقدم منها .

ومنها ان الشيخ الزنجبيلي دخل ذات ليلة على الفاضل المكي يعوده من مرض ، ولم يكن في غرفته مصباح ، فقال الزنجبيلي متمثلاً ببيت يقال انه لمنصور التميمي المعروف بابن الحلاج وهو :

ان بيتاً انت ساكنه غير محتاج الى السُرُجِ

فأجابه المكي من فوره :

ومريضاً انت عائده قد أتاه الله بالفرجِ

ومنها ان المعتمد بن عبَّاد صاحب قرطبة واشبيلية وما والاهما من الاندلس خرج يوماً يتنزه في مكان يقال له مرج الذهب ومعه وزيره ابوبكر بن عمَّار الملقب بذي الوزارتين فجلسا على شاطئ غدير ، واذا بالريح قد هبَّت على الغدير فتجعَّد ماؤه . فقال المعتمد :

« نسج الريح على الماء زرد »

وحاول ان يتم البيت فلم يستطع ، فأهاب بوزيره ابن عمار وكان شاعراً مجيداً ، وقال

له : « أجز ماقلت » ، فأقرد اي سكت عياً · وكان على مقربة منها جارية اسمها عماد وتعزف بالرمنكية ، فسمعت كلامهما وقالت من فورها : « ياله درعاً منيعاً لو جمد » فتعجب المعتمد من شدة بداهتها وجودة نظمها ، ولم يلبث ان تزوجها ·

ودخل يحيى بن خالد حديقة قصره ومعه جاريته دنانير ، فرأى ورداً نضيراً فقال : أجيزي يادنانير :

الورد أحسن منظراً   فتمتعوا باللحظ منه

فقالت مسرعة :

فاذا انقضت ايامه   فالورد انت تنوب عنه

وخرج الحسن بن الضحاك وابو العتاهية ، فاذا بامرأة تبكي ولداً لها · فقال ابو العتاهية :

فما تنفك باكية بعين   غزير دمعها كمداً حشاها

فقال الحسن :

تنادي حفرة أعيت جواباً   فقد ولهت وصم بها صداها

وسمع احمد بن يوسف الشاعر قينة تغني :

أناس مضوا كانوا اذا ذكر الأُلى   مضوا قبلهم صلوا عليهم وسلموا

فقال أحمد مجيزاً :

وما نحن الاّ مثلهم غير اننا   أقمنا قليلاً بعدهم فتقدّموا

وقال ابو نواس يوماً لجماعة من الشعراء : أجيزوا قولي — (عذب الماء وطابا) فأجابه ابو العتاهية على البديه : (حبذا الماء شرابا) ·

ورأى ابو نواس الجارية عنان في بعض ايام الربيع ، فقال لها : (أجيزي ياعنان)

كل يوم عن أقحوان جديد   تضحك الارض من بكاء السماء

فقالت من فورها :

فهي كالوشي من ثياب عروس   جلبته التجار من صنعاء

ورآها يوماً تبكي وكان مولاها قد ضربها فقال :

بكت عنان فجرى دمعها   كلؤلؤ ينسل من خيطه

فقالت : فليتَ من يضربها ظالماً تجفّ يمناه على سوطه

ودخل رجل ذات ليلة على ابي بكر البكيّ ، فأنكره وسأله عن صناعته ، فأجابه : (اني شاعر) فأراد ابو بكر امتحانه ، ونظر الى شيء يصفه فلم يجد غير المصباح ، فقال للرجل أجز :

ومصباح كأن الضوء فيه محيا من أُحب اذا تجلى

فقال الرجل مسرعاً :

أشار الى الدجى بلسان أفعى فشمر ذيله هرباً وولى

وهذه الامثلة على كثرتها ليست الا قطرة من بحر الاجازات الزاخر وكلها تشهد للشعراء الغابرين بقوة العارضة وسرعة الخاطر .

وكان الشاعران الشيخ ابو الحسن الكستي والشيخ ابراهيم الحوراني كثيراً مايجتمعان في بيت ثانيهما في بيروت يتبادهان الشعر في مواضيع مختلفة ومعهما جماعة من اهل الأدب حتى كان منزل الحوراني في تلك الايام اشبه شيء بسوق عكاظ . ومن الأسف ان طائفة كبيرة مما كانا يرتجلانه ويجيزانه فقدت ولم يعن الذين سمعوها بكتابتها . فمن ذلك أنه اقترح عليهما ان يصفا رجلاً طويل القامة ضخم الجثة كبير الملامح . فقال الحوراني :

(هزّ قدّاً علوه الف متر)

فاجازه الكستي بقوله : فوقه هامة كجلمود صخر

وقال الحوراني : (ذو ثغر كالبحر يفتر عجباً)

فاطرق الكستي هنيهة . واشفق الحضور ان يعجز عن التكملة . ولكنه ماعتم ان نهض واقفاً واسترعى السمع وقال :

(عن ثنايا تنسيك أهرام مصر)

وحقاً ان اجازة البيت الثاني من اكبر ضروب الإعجاز . لأن من يكون فمه في سعة البحر فأخلق بأسنانه ان تكون أضخم من اهرام مصر !

وفي ربيع سنة ١٩٠١ كنت في بيروت . فزرت سلفي الحوراني . فرأيته يتأهب للذهاب الى المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك لإلقاء خطبة في احتفالها السنوي

وكان استاذ البيان في تلك المدرسة فصحبته في المركبة · وفي اثناء الطريق نظرت اليه فاذا به واجم على خلاف عادته وهو يشكو صداعاً وضعفاً في ذاكرته فاردت مداعبته · وقلت اجز ياعديل [1] :

(أسفاً عليها ذاكرهْ)

فأجازه من فوره بقوله : (سكنت ديار الآخرهْ)

وقلت : (كانت تدور على النهى)

فقال : (دارت عليها الدائرهْ)

القاهرة : اسعد خليل داغر

---

(١) يطلق العديل عند بعض المتأخرين على السلف · وسلف الرجل زوج اخت امرأته ·

رحلة الى دير الزور والجزيرة[1]

—(())—

اذا انطلقت بك السيارة من دمشق تنهب الارض نهباً تحت ظلال سوق الشجر العظام في الغوطة فتذكرت قول ابن قيس الرقيات :

أحلك الله والخليفة بالغوطة داراً بها بنو الحكم
المانعو الجار ان يضام فما جارٌ دعا فيهم بمهتضم

ثم اشجاك قوله بعد حين :

اقفرت منهم الفراديس فالغو — طة ذات القُرى وذات الظلال
فضمير فالماطرون فحورا ن قفار بسابس الأطلال

ثم اجتزت دومة وودعت الغوطة في ثنية العُقاب حيث وقف خالد بن الوليد ساعة ناشراً راية العقاب في وجه ذاك السهل الأفيح وقلت مع حسان بن ثابت :

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الاول

وأعدت الى الذاكرة قصيدة حسان بن نمير وجعلتها وداعاً لدمشق والغوطة :

وكم ليلة بالماطرون قطعتها ويوم الى الميطور وهو مطير
سقى الله من سطرا ومقرا منازلاً بها للندامى نظرة وسرور
ولا زال ظل النيربين فأنه طويل ويوم المرء فيه قصير
ويا بردى لا زال ماؤك بارداً وماء الحيا من ساحتيك نمير
ابى العيش الا بين اكناف جلق وقد لاح فيها أشمس وبدور

(١) محاضرة القاها الاستاذ الامير مصطفى الشهابي في ردهة المجمع العلمي العربي في ٢١ شباط سنة ١٩٣٠

ثم داومت المسير الى القطيفة فجَرُودَ فالناصرية فانت اذاً في باب الصحراء قُبالة القسم الشرقي من سنير وهو الجبل الذي يسميه الفرنج «لبنان الشرقي» والذي قال فيه البُحتري :

وتعمدت ان تظلّ ركابي بين لُبنان طُلَّعاً والسنير
مشرفات على دمشق وقد اعـ ـرض منها بياضُ تلك القصور

فقل للسائق بعدئذ ان يغذي السيارة بالبنزين وان يدعها تسبح في فضاء الله الواسع، واغرق انت في أحلامك فان عينك لن تقع على منظر جديد حتى تبدو لك اشجار القريتين ، وانت على بعد ١٢٦ كيلو متراً من دمشق ، والقريتان هي البلدة التي عناها قيس الرقيات بقوله :

وسرت بِغلتي اليك من الشام وحورانُ دونها والعَوِيْرُ
وسُواءُ وقريتان وعين التَّمْرِ خَرْقٌ يكِلُّ فيه البعير

ثم عد الى أحلامك وذكرياتك لأن أمامك بين القريتين وتدمر ١٠٤ كيلو مترات من القفر يمتد على طولها من الجانبين جبلان صغيران لا ينتهيان الا في تدمر . ومتى أدركت تلك المدينة القديمة فقف خاشعاً لان هنالك كان المجد والعظمة والأبهة ورخاء العيش والثراء العريض ، تلوح كلها في بقايا قصور تدمرية ورومانية لم يقو الدهر على طمس أثرها حتى اليوم ، فالهيكل الكبير وعظمته ، والشارع الذي كان يُنصّف المدينة وعلى كل من جانبيه نحو ٣٧٥ عموداً يحمل كل منها تمثالاً لرجل من رجالاتها المشهورين ، ثم القبور التي فاقت القصور بفخامة بنيانها وجلاء رُخامها وزخرف تماثيلها ، ثم تلك الاصباغ المختلفة الألوان في جدران المدافن وسقوفها وفي اقراط التماثيل وقلائدها وذاك الكحال في عيونها وتلك الحمرة في خدودها حتى لكأن الصباغين قد خرجوا من وشيها البارحة ، كل هذه وأمثالها تسلب الانسان لبه وتدعه حائراً مشدوهاً ، فلا عجب إذن ان تزعم طائفة من الأقدمين ان تدمر هي مما بنته الجن لسليمان ، وان يقول فيها النابغة الذبياني البيتين المعروفين :

الا سليمان اذ قال الاله له قم في البرية فاحددها عن الفند
وجيِّش الجنَّ اني قد امرتُهمُ يبنون تدمر بالصفّاح والعَمَد

لقد أتى الدهر على من بنوا عروس الصحراء وسيأتي على مابنوه ، ولله در القائل في تلك التصاوير :

ومن كل أنواع الأنام مصوّر　　شباب وشمط يمرحون وشيب
ومجلس أنس يفسح الطرفَ ملؤه　　قيان تغني وسطه وشروب
وصرعي وقتلى في قتال عساكر　　تحول حصون دونهم ودروب
فمن جانب أضحت تُصب مدامة　　ومن جانب أضحت تُشَبُّ حروب
خليطان هذا للقراع معبس　　يصول وهذا للسماع طروب
وقد حققوا التصوير حتى وجوههم　　يبين لنا بشرٌ بها وقطوب
وكل يعاني شغله غير انه　　على فمه دون الكلام رقيب
ملاعب فيها الملك رامٌ بطرفه　　وكل ابن دنيا ان نظرت لعوب
وعاشوا طويلاً ثم فرق شملهم　　زمان اكول للأنام شروب
فلولا مكان الذين قلَّ لفقدهم　　بكاء لنا في إثرهم ونحيب
ملوك أقاموا ما أقاموا أعزة　　وقد شعبتهم بعد ذاك شعوب
وخيل للرائي ليذكر عهدهم　　خيال لعمري ان رأيت عجيب
خيال لهم يهدي الي كل أمة　　لقصد اعتبار ان رآه لبيب

وقم في صباح اليوم الثاني فودع اطلال تدمر وقل لسائق السيارة ان يغذّ السير فانت لاتزال بعيداً عن الدير ذلك ان بين تدمر وقرية السخنة ٧٥ كيلو متراً وبين السخنة ودير الزور ١٥٠ كيلو متراً كلها ارض تفراء لايهطل عليها الا قليل من المطر وليس فيها نهر او قناة ، فلا زرع ولا ضرع ولا شجر ولا انيس سوى ابل البدو المشرقين ، وهي في الحقيقة ادعى الى الوحشة في تلك البيداء الموحشة لأن الانسان يرافق الابل .

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى　　وصوت انسان فكدت اطير

وكيف لاتقول للسائق ان يطير بسيارته وهو فتى كالجمل وانت لاتحمل سكيناً تصلح لتقشير برتقالة ، وللبدو في مملكتهم الواسعة منظر كمنظر العفاريت المتوائبة ، وهم اذا ماحدقوا اليك خلتهم قاتليك لا محالة ، ولكنهم قوم فطروا على الذكاء وبعد النظر

فتكفيهم نظرة يلقون بها عليك من بعيد حتى يدركوا من يمكن ان تكون ، فيجمحوا عن الشر حاسبين للمستقبل الف حساب ·

ومتى تركت ورائك هذا القفر واشرفت على الفرات ومزارعه وسفنه، وبدت لك عن بعد مآذن دير الزور فقد آن لك ان تحط الرحال وتستريح وان تقول مع الصنوبري :

ايا سفن الفرات بحيث تهوي هُويّ الطير بين الجلهتين
تطارد مقبلات مدبرات على عجل تطارد عسكرين
ترانا واصليك كما عهدنا بوصل لا تنغصه ببين

ولواء دير الزور اوالفرات والجزيرة ارض مترامية الأطراف، كانت ولاية من ولايات الدول العربية · وهو يقع بين الدرجة ٤٣ و٤٦،٥ من درجات الطول الجغرافي والدرجة ٣٨،٢٥ و٤١،٢٥ من درجات العرض · وتزيد مساحته على ٦٠٠٠٠ كيلو متر مربع · اما عدد سكانه فمجهول لأنهم لم يحصوا الى اليوم ، ويقدرونهم بثلاثمائة الف نسمة ونيف من بدو وحضر ، فيصيب الكيلومتر المربع الواحد خمسة اشخاص وهو عدد ضئيل ·

وللجزيرة اسماء قديمة مشهورة منها ديار ربيعة وديار مضر ، وكان العرب يحلون بواديها قبل الاسلام وكثيراً ماخالطوا قراها وكثروا فيها وحاربوا سكانها · وقد استولى عليها العرب وانتزعوها من الاعاجم في السنة السابعة عشرة من الهجرة بقيادة عياض بن غنم الفهري ويقول المؤرخون إنها كانت من اسهل البلاد افتتاحاً لأنها تقع بين العراق والشام وكان كلاهما بيد المسلمين فاذعن اهلها بالطاعة ، وذكروا ان الروم حاصروا ابا عبيدة بن الجراح والمسلمين بحمص ، فامدهم سعد بن ابي وقاص بجيش من العراق يقوده عياض بن غنم فلما علم بهم الروم رجعوا عن حمص الي بلادهم فغزا عياض الجزيرة فافتتحها وقال :

من مبلغ الأقوام ان جموعنا حوت الجزيرة غير ذات رجام
جمعوا الجزيرة والغياب فنفسوا عمن بحمص غيابة القدام
ان الأعزة والأكارم معشر فضوا الجزيرة عن فراج الهام
غلبوا الملوك على الجزيرة فانتهوا عن غزو من يأوي بلاد الشام .

وخلصت الجزيرة للعرب الى يومنا هذا الا بعض القرى الشمالية الشرقية ، حيث يقطن بعض العشائر الكردية ، والا عدداً كبيراً من القرى الواقعة شمالي سكة بغداد الحديدية

فانها ظلت بيد الترك وهم جادون في تتريك سكانها تارةً بالارغاب وطوراً بالارهاب ·

قال ياقوت في معجم البلدان «والجزيرة صحيحة الهواء جيدة الريع والنماء واسعة الخيرات بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة ومن امهات مدنها حران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك · وقد صنف لأهلها تواريخ وخرج منها أئمة وفيها قيل :

نحن الى ارض الجزيرة قبلة وفيها غزال ساجي الطرف ساهره

يؤازره قلبي علي وليس لي يدان بمن قلبي علي يؤازره» انتهى

وجميع تلك المدن هي اليوم بلدان صغيرة او متوسطة عدا الموصل · ومعظمها تابعة للعراق او تركية ولا يتبع الشام منها سوى رأس العين والرقة والخابور · ومن الغريب ان نصيبين نفسها قد تركت لتركية في معاهدة انقرة مع انها واقعة جنوبي السكة الحديدية · ويقال ان سبب ذلك غلطة غلطها الذين نابوا عن الشام في وضع تلك المعاهدة ·

وكانت الجزيرة من اغنى الولايات في عهد الخلفاء والملوك العرب ، وكان فيها لبعضهم قصور يقيمون بها في بعض فصول السنة كقصر الرصافة الواقع غربي الرقة على طرف البرية ، وقد جدده هشام بن عبد الملك · وكقصر الرقة الذي يظن انه كان لهرون الرشيد وغيرهما ·

حدود اللواء وترابه وهواؤه ·— يحد لواء دير الزور والجزيرة شرقًا ارض العراق وشمالاً ارض الجمهورية التركية وقضاء جرابلس ، وغربًا قضاء منبج فلواء حمص وجنوبًا بادية الشام والعراق · واذا مررنا على خط حدوده مبتدئين من جنوبي ابي كمال ومتجهين نحو الشمال الشرقي فان اهم مانصادفه على تلك الحدود مملحة العذيد فجبل سنجار فالدجلة بالقرب من فيشخابور فجزيرة ابن عمر فنصيبين (وعلى الطريق الروماني القديم الواقع بينهما ثار الخلاف الذي تعلمونه بين فرنسة وتركية) فسكة بغداد الحديدية فحدود قضاء جرابلس بين كول تبه على السكة المذكورة وتل شمس الدين على الفرات فالفرات بين تل شمس الدين ودبسي جنوبي مسكنة فاسرية في الشمال الشرقي من جبل البلعاس فعين الكوم غربًا فالخان الجديد غربي قرية السخنة فحدود العراق جنوبًا ·

واذا امعنتم النظر في هذه المساحة الواسعة التي تزيد على ٦٠٠٠٠ كيلو متر مربع

كما قلت ادركتم ما يمكن ان يكون لهذا اللواء من الشأن اذا صحت العزيمة على تعهده بمختلف العنايات .

وتنسب معظم ارضه جيولوجياً الى العهد الميوسيني والبليوسيني من الحقبة الثالثة عدا وادي الفرات فأن ارضه من راسبات الحقبة الرابعة وعدا بعض ارضين بركانية متفرقة واخرى طباشيرية . وتراب وادي الفرات كامل من حيث بناؤه الطبيعي اي ان مقدار الكلس والطين والرمل فيه يجعله صالحاً لزراعة مختلف الزروع والأشجار . وهو غني بالعناصر الغذائية ايضاً من آزوت وحامض فسفوريك وبوطاس ، وسببه ما يحمله النهر منها في طميه . والتراب جيد ايضاً حول الخابور والبليخ والجغجغ والرد . اما في الانحاء السائرة فالتراب يختلف باختلاف المواقع فتراه رملياً في بعضها لا اندماج فيه ولا صلابة تطير به سافيات الريح فتتكون من مجموعه كثبان صغار . وتكثر هذه الأتربة الرملية بين السخنة ودير الزور وفي بقاع كثيرة من بادية الجزيرة بين الخابور والفرات . وترى التراب رملياً كلسياً أو رملياً طينياً حول الجغجغ والخابور أو كلسياً رملياً ابيض اللون بالقرب من الصالحية جنوبي الميادين أو بالقرب من الحسكة عند مصب الجغجغ في الخابور وفي اماكن أخرى عديدة . وهواء هذا اللواء جاف في الجملة وحرارته في الصيف شديدة ربما أربت في بعض الأيام على ٤٥ درجة في الظل . وهي تختلف فيه بين ٣٠ و ٤٠ درجة إجمالاً . لكنها في الشتاء تهبط الى مادون الصفر ببضع درجات أحياناً ولهذا لا ترى في ارض اللواء نخيلاً . وهو من حيث الأمطار ينقسم قسمين : الأول القسم الواقع شمالي خط يمتد من مسكنة الى تل السمن على البليخ فجبل عبد العزيز فالحسكة ، فامتداد نهر الرد ، فحدود الشام على ضفة دجلة . فأرض هذا القسم الواقعة شمالي الخط المذكور يبلغ ارتفاع أمطارها السنوية ٢٠٠ — ٥٠٠ ميليمتر فهي إذن صالحة في الجملة لزراعة الحبوب الشتوية عذياً بلا إسقاء . اما القسم الواقع جنوبي ذلك الخط فأمطاره قليلة لا تكفي لزرع الحبوب في البعل من الارض ولذلك ترونها مقفرة من السكان على اتساعها الا على ضفاف الأنهر الكبيرة حيث تسقى الزروع بمياه تلك الأنهر . وقد قيس ارتفاع الأمطار في مدينة دير الزور خلال ثلاث سنين وهي ١٩٢٦ الى ٩٢٧ و ٩٢٧ الى ٩٢٨ و ٩٢٨ الى ٩٢٩ فبلغ في كل منها ١٥٥ و ١٠٠ و ١٣٩ ميليمتراً وهي مقادير لا تكفي لزراعة الحبوب الشتوية .

والأمطار التي تهطل بين قرية القرمانيــة ونهر دجلة هي غزيرة تكفي لزرع زروع صيفية بدون إسقاء كالذرة البيضاء والسمسم والبطيخ والقثاء • لكن هذه الكورة ضيقة المساحة اذا قيست بمساحة اللواء العظيمة ومع هذا فان فيها عشرات من القرى العامرة • أما الأمطار بين رأس العين ومسكنة فهي متوسطة ويمكن هنــالك تأسيس مئات من القرى تعيش على المطر • ويعوز هذه الناحية استتباب الأمن على حدود الأتراك •

جبال اللواء وسهوله وأنهــاره — جميع ارض اللواء سهول لا يحدّها الطرف عدا ثلاثة جبال كبيرة المساحة قليلة الارتفاع وهي جبل البِشْر في الشامية اي في الجهة الغربية من الفرات ويظهر ان هذا الجبل يحتوي على معدن من الحمر والقار لم استطع درسه لضيق الوقت ، وفيه مياه كبريتية في بعض أطرافه • وجاء في معجم البلدان ان في جبل البشر اربعة معادن : معدن القار والمغرة والطين الذي يعمل منه البواتق التي يسبك فيها الحديد والرمل الأبيض كالاسفيداج الذي يعمل منــه الزُجاج في حلب • وقال إنه من منازل تغلب بن وائل • قال عبيد الله بن قيس الرُّقيّات :

أضحت رُقَيّة دونها البِشر فالرقّة السوداء فالغمر
بل ليت شعري كيف مربها وبأهلها الأيام والدهر انتهى

والجبل الثاني يسمى جبل عبد العزيز وهو يقع في قلب الجزيرة في الشمال الغربي من قرية الحسكة وفي جنوبي قرية رأس العين طوله نحو مائة كيلومتر وعرضه نحو ٢٠ كيلومتراً وقد صعدت في احدى نواحيه وسرت بين أشجار البطم النابتة نباتاً طبيعياً في ارضه • وذكر لي احد الذين اخترقوه انــ فيه حراجاً واسعة من أشجار البطم الملتفة تفوق حراج جبل البلعاس شرقي سلمية •

اما الجبل الثالث فهو جبل سنجار وقسم كبير منه تابع للعراق • وثمة جبــال أخرى لا شأن لها وتلال عديدة • وأهم الأنهار الفرات والخابور والجغجغ والبليخ • فاما الفرات فانه يجري في تركية (حيث منبعه) والشام والعراق • ويبلغ طول مجراه في الشام بين جرابلس والبوكمال نحو ٤٠٠ كيلومتر دون حساب تعرجاته الكثيرة وهي ضعفــا طوله ويسير في ارض قليلة الانحدار (١/١٣٥٠٠ تقريباً) ولهذا فلا تزيد سرعة مائه في الصيف والخريف على (٤) كيلومترات في الساعة • ومجراه عريض لا يضيق الا عند جبل البشر

بين قرية تبني وقصر معدان حيث القلعتان القديمتان اللتان كانتا ايام الفرس الأقدمين ، وهما تسميان اليوم حابية وزلبية . ويظن ان هنالك كانت مدينة الزباء . وعرض الفرات في غير ايام الفيضان ٢٥٠ — ٣٠٠ متر . فاذا طغى في الربيع زاد عرضه على ٦٠٠ متر وربما زاد على خمسة كيلومترات في بعض السنين وهذا نادر . ومقدار الماء الذي ينصب منه في الثانية يختلف مع شهور السنة . ففي ايلول وتشرين الاول لا يزيد هذا المقدار على ٣٠٠ متر مكعب اما في زمن ذوبان الثلوج أي في آذار ونيسان فانه يبلغ ٢٥٠٠ متر مكعب . ومن روافده الخابور والبليخ .

فالخابور نهر عظيم هو دون الفرات لكنه اكبر من العاصي نبعه في رأس العين وينضم اليه عدد من الانهار تأتيه من جبال الاناضول كالزرقاني وعرادة وجرجب والجغجغ وغيرها . والجغجغ هذا يُصب ماؤه في الخابور في بلدة الحسكة . ولعله النهر الذي كان يسمى نهر الهرماس قال ياقوت : « هو نهر نصيبين مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ مسدودة بالحجارة والرصاص ... وفاضل مائه يصب الى الخابور » . وقال : « وينضاف الى الخابور فاضل الهرماس ومدّ وهو نهر نصيبين فيصير الخابور نهراً كبيراً يمتد فيسقي هذه البلاد ثم ينتهي الى قرقيسياء فيصب عندها في الفرات » قلت ولعل نهر مدّ الذي ذكره ياقوت هو نهر الرد اليوم وهو من جملة الأنهر العديدة التي تصب في الجغجغ قبل ان ينتهي الى الخابور . اما قرقيسياء فانها بلدة البصيرة اليوم .

وطول الخابور من مخرجه الى مصبه ٢٦٠ كيلومتراً تقريباً وقد كان له في التاريخ شأن كبير حتى ان اسمه غلب على الارض التي يسقيها فنسبت اليه وكانت ولاية واسعة وبلداناً جمة . وورد ذكره في أبيات أخت الوليد بن طريف ترثي اخاها :

ايا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى ولا المال الا من قنى وسيوف

وقال الربيع بن ابي الحُقَيْق من بني قُريظة :

دور عفت بقرى الخابور غيّرها بعد الانيس سوافي الريح والمطرُ
ان تمس دارك ممن كان يسكنها وحشاً فذاك صروف الدهر والغيرُ

وقال ابن الأعرابي :

رأت ناقتي ماء الفرات وطيبه أمرَّ من الدِّفلى النقاف وامقرا
وحنت الى الخابور لما رأت به صياح النبيط والسفينَ المقيّرا
فقلت لها بعض الحنين فان بي كوجدك الا انني كنت اصبرا

واما البليخ فقد سمعت الفلاحين على ضفافه يسمونه نهر الذهب لأنه صغير يسهل انشاء سدود عليه وهو يعلو ارضين واسعة فيسقيها بأهون وسيلة · وهذا النهر دون الخابور لكنه اكبر من يردى · وهو مجتمع عيون كثيرة اهمها عين في حران · وتجتمع العيون في قرية عين عيسى او عين العروس · وطول البليخ مائة كيلو متر ونيف ومصبه في الفرات في الشرق الجنوبي من الرقة · وذكروا ان مسلمة بن عبد الملك بنى على هذا النهر حصناً اسفله قدر جريب وارتفاعه في الهواء اكثر من خمسين ذراعاً واجرى الماء تحته فاذا خرج من تحت الحصن يسمى بليخاً · وينشعب من ذلك الموضع انهار تسقي بساتين وقرى · وقال ابو نواس :

على شاطئ البليخ وساكنيه سلام مسلمٍ لقي الحماما

وكان عند مصب البليخ في الفرات دير يسمى دير زكّى وفيه يقول الرشيد ·

سلام على النازح المغترب تحية صب به مكتئب
غزال مراتعه بالبليخ — الى دير زكّى فجسر الخشب

حيواناته ونباتاته ومعادنه · — لا تختلف دواب اللواء البرية وطيوره عما يوجد منها في انحاء الشام · وتكثر الغزلان سواء في الجهة الشامية ام في الجزيرة · وغزلان الشامية تضرب الى اللون الرمادي اما غزلان الجزيرة فالى حمرة · ويوجد كلب الماء في الأنهار الكبيرة كالفرات والخابور والجغجغ · وهو احمر اللون يبلغ طوله ٦٠ — ٨٠ سنتيمتراً شعره ناعم مرغوب فيه ويساوي جلده اكثر من ليرة ذهبية · وفي جبل عبد العزيز قليل من الاوعال سائرة نحو الاندثار كما اندثر حمار الزرد · وفي بعض الادغال حول الفرات خنازير برية يجب اتقاء شرها · اما الحيوانات المفترسة فاهمها الذئب والضبع والثعلب وابن آوى · ويكثر من سباع الطير الصقر والبازي والشاهين والعُقاب والباشق ، ومن غيرها القطاة والكركي والحبارى والبط البري الاسود والوز ومالك الحزين والزرزور والحجل والحمام البري والزاغ وغيرها · والقطا تمشي في البادية اذ تجد ما تشربه في ذاك الفصل ·

وتربع وتصيف بالقرب من الانهار الكبيرة ، وهي تكثر في بعض السنين كثرة هائلة فتضر بالزروع ضرراً فادحاً . اما الزرازير والزاغ فانها تدأب على التنقير عن البزور التي بذرت قبل ان تنتش فتأكل منها مقداراً . وهي تكثر في اطراف الجزيرة شمالا .

ومن النباتات الطبيعية التي تلفت النظر حراج مهمة من الطرفاء حوالي قرية السبخة ومساحات واسعة من عرق السوس في اطراف الرقة من الجهة الشامية ، حيث تقتلع منه شركة فوربس الاميركية وغيرها مئات من القناطير سنوياً ، فتسحقها وتصدرها الى الولايات المتحدة الاميركية . وينبت الحور الفراتي « الغرب » طبيعياً على ضفاف الفرات وفي الجزر الصغيرة التي تتكون من تبدل مجراه فيسوّق ويتفرع بسرعة عجيبة . وهم يستعملونه وقوداً في الشتاء كما يستعملونه في بعض المصنوعات الخشبية . ومن النباتات المضرة التي تكسو الارض في وادي الفرات الجمبوط او « الخرينبة » Prosopis وهو من الفصيلة القرنية له جذور غلاظ تضرب في الارض الى غور بعيد فيشق على محراثنا استئصالها . ومما يصادفه المرء فيه الشوفان البري والبابونج والخردل البري وغيرها . اما في البادية فالشيح والسنيبلة والروثة والحرمل والعاقول واضرابها من نباتات بادية الشام التي تقتات منها الابل .

ولا يوجد في الجزيرة بل لا يوجد في بلاد الشام معادن مهمة اقتصادياً « خلا املاح البحر الميت ومعدن الحمر في حاصبيا » ولكن اشاد المؤلفون بذكر معادن الشام وأنواعها العديدة . والحقيقة أن هذه المعادن على كثرة انواعها ليست مما يلتفت اليه ، لان استخراجها وعزلها عن العناصر الاجنبية المختلطة بها ، ونقلها الى الاسواق التجارية ، يجعلها غير مفيدة من الوجهة الاقتصادية ، او تجعل فائدتها قليلة فالشام ليس بلاد معادن . وليست الجزيرة اكبر حظاً في هذا الصدد من انحاء الشام السائرة . ففي جبل البشر كما ذكرت يكون الحمر والمغرة ، وفي رأس العين الكبريت ، وفي قرية الصور نحاس غير خالص وفي بعض القرى يوجد ملح البارود فيصنعون البارود من خلطه بالفحم . ويكثر الجبصين في اماكن عديدة ولا سيما بالقرب من قرية ابي هريرة . واجمل ما يشاهده الانسان في بيوت دير الزور رخام غير خالص لكنه بديع الشكل يستخرج من مقالع قريبة من المدينة فتحلى به اقواس الابواب والشبابيك وارض الشرفات . وهذا المنظر يلفت نظر القادم من دمشق حيث يبني معظم السكان بالخشب والطين والآجر لغلاء ثمن الاحجار فيها . ولقد قلت مرة لرئيس

بلدية الدير اليس من غرائب الدهر ان تبنوا بيوتكم في الدير بالرخام ، ونحن نكاد لانجد في دمشق احقر الاحجار لبناء القبور بها . فاجاب على الفور الحمد لله الذي جعل الناس تحسدنا حتى على الحجر .

بلدانه ومصانعه ومدنه القديمة .— مركز اللواء ديرالزور وهي مدينة صغيرة على ضفة الفرات الغربية لايزيد سكانها على ٢٠٠٠٠ نسمة . وفيها جزيرة صغيرة يحيط بها الفرات يصلها بالمدينة جسر صغير . وتبني الحكومة جسراً عظيماً معلقاً على الفرات يصل بلدة الدير بالجزيرة . ويقسم اللواء الى خمسة أقضية وهي الميادين والبوكمال والرقة والحسكة والقامشلية . وأهم القرى الواقعة على الفرات من الجنوب الى الشمال هي البوكمال والعالجية وعشارة والميادين والبصيرة والتبنى والسبخة والرقة والحمام وابو هريرة . اما الخابور فأهم قراه من الجنوب الى الشمال البصيرة والصور والفدغمي والشدادي والحسكة وتل الرمان والجدل ورأس العين . وأهم قرى البليخ خربة الرز وتل السمن والتل الأبيض . وفي قضاء القامشلية عدد كبير من القرى مثل القرمانية وكرو وعمودة والعرادة والتنورية وعشرات غيرها .

ومن البلدان القديمة القريبة من حدود اللواء الحاضرة بالس جنوبي قرية مسكنة وهي اليوم خرابات واسعة كان فيها مسجد لاتزال مئذنته المثمنة الأضلاع قائمة الى يومنا هذا . ويستدل من كتابة عليها انها جددت ايام الملك العادل ابي بكر محمد بن ايوب المدفون بالعادلية في القبة التي هي بجانبنا . والملك المشار اليه عاش بين السنة ٥٤٠ و ٦١٥ الهجرية وكانت بالس من بلدان الروم الشهيرة وكانوا يسمونها (Barbalissos) . وقد جلا أصحابها ايام ابي عبيدة وأسكن فيها العرب . وعسكر فيها مسلمة بن عبد الملك في احدى غزواته وحفر نهراً يسقي أرضها وأرض صفين وقرى أخرى وكان يعرف بنهر مسلمة . وقد ورد ذكرها في أماكن عدة من صفحات تاريخ العرب . وصفين الشهيرة في التاريخ كانت بين بالس والرقة على الفرات .

ويشاهد في قرية دبسي على نحو ١٢ كيلومتراً جنوبي مسكنة أنقاض من الآجر الذي كان يستعمله البابليون والآثوريون . ويقال ان الاسكندر الكبير قطع الفرات منها لمحاربة دارا ملك الفرس . وعلى بضعة كيلومترات جنوبي ابي هريرة ترى قلعة جعبر في جهة الجزيرة . ذكر ياقوت أنها قرب صفين وانها كانت تسمى دوسر فملكها رجل من

بني قشير يقال له جعبر بن مالك وكان يخيف ابناء السبيل ويلتجيء اليها ثم استولى عليها السلطان جلال الدين ملكشاه بن ارسلان وأقطعها سالم بن مالك بن بدران بن مقلد العقيلي صاحب قلعة حلب عوضاً عن هذه القلعة . ووليهـا ولده الى ان أخذها نور الدين محمود بن زنكي ، ثم انتقلت الى بني أيوب . وفيها قبر احد الملوك العثمانيين ولهذا اشترطت الجمهورية التركية في معاهدة لوزان وضع شرذمة من الجنود الترك في قلعة جعبر لحراسة هذا القبر ، وربما كان الاجدر حراسة الأحياء من هذه الأسرة ، لكن هذه القضية لاتهمنا فالترك بها أدرى .

وعلى نحو اربعة كيلومترات شمالي مخفر الحمام تقع العين على أنقاض قلعة قديمة أثورية . ولعل هنالك موضع سُوراء الذي ذكره الأديبي . والرّقة من أعظم مدن الجزيرة في خلافة الأمويين وخلافة العباسيين خاصةً . وأنقاضها لا تزال بادية للعيان يحيط بها سور محيطه خمسة كيلومترات تقريباً . وفيها بقايا مسجد لا تزال بعض جدرانه العربية البديعة قائمة وفي احدها كتابة تدل على ان المسجد تجدد في أيام الملك العادل ابي القاسم محمود نورالدين زنكي (٥١١—٥٦٩ هـ) ومنـارة هذا المسجد لم تهدم وهي مبنية على قاعدة من الرخام والاحجار الأخرى المتينة . وقد صعدت الى رأسها فاذا هنـالك منظر من أجمل المنـاظر لخرائب الرقة القديمة ، ولبلدة الرقة اليوم والفرات والبساتين . وذكر بعضهم ان المسجد بني في خلافة عمر بن الخطاب وجدد ايام الملك العادل محمود نورالدين . ويوجد شرقيه بعض جدران من قصر عربي قديم يقال انه كان لهرون الرشيد ويقال انه كان للملك العادل على بعد ما بينهما من السنين ولا يوجد كتابة ترشدنا الى الحقيقة . وفي الجناح الجنوبي من سور المدينة باب لها من أجمل مابني على الطراز العربي يسمى باب بغداد . ويستنتج من هذه الآثار التي أبقى الدهر عليها انه كان لمدينة الرقة في تاريخ العرب شأن كبير ولهذا لانستغرب الأبيات التي وصفها بها ربيعة الرقّي :

حبـذا الرّقة دار أو بلد ... بلد ساكنه ممن تود
ما رأينـا بلدة تعدلها ... لا ولا أخبرنا عنها احد
انهـا برية بحرية ... سورها بحر وسور في الجدَد
تسمع الصُّلصل في أشجارها ... هدهد البر ومكّاء غرِد

لم تضمن بلدة ما ضمنت   من جمال في قريش وأسد

وكانت تسمى الرّقة البيضاء · وجنوبيها بالجانب الغربي من الفرات كانت مدينة ثانية تعرف برقة واسط وكان بها قصران لهشام بن عبد الملك · وعلى البليخ كانت الرقة السوداء وهي بلدة ذات بساتين كثيرة قيل وكان الجميع متصلا ·

ومن الخرائب المهمة الرُصافة وتعرف برصافة هشام بن عبد الملك وهي في الجنوب الغربي من الرقة على طرف البرية جنوبي قرية الحمام · كانت من المدن القديمة جداً جدد بناءها هشام وكان يسكنها في الصيف · وقد ورد ذكرها في شعر الفرزدق وجرير وغيرهما · وفيها بقايا دير من أعظم الديرة ·

وعند مصب الخابور أي عند قرية البصيرة اليوم كانت مدينة قَرقيسياء دمرها احد ملوك الآثوريين مع ما يجاورها من كورة الخابور ثم أعادها دارا الاول ملك الفرس الى سابق مجدها وحفر الأنهر على الخابور والفرات وجعل تلك الأصقاع أعظم مستغلات للحبوب في مملكته · وكانت قرقيسياء ايام الرومانيين مدينة فيها ٦٠٠٠٠ نسمة من السكان ولبثت كبيرة الشأن في الخلافات العربية ثم طاحت معها بعد ان هدمت الأسداد ورُدمت الأنهار في غزوات برابرة الشرق من مغول وتتر · ويشاهد منها اليوم بعض عمد من الرخام وحجارة رومانية وقلعة عربية ·

وعلى اربعة كيلومترات غربي الميادين تبدو لك قلعة عظيمة هي رحبة مالك بن طوق ولنسبتها الى مالك المذكور قصة طويلة جرت مع هارون الرشيد فأقطعه الرحبة فبنى فيها تلك القلعة · وموقعها من أهم المواقع على طريق بغداد ولهذا كان لها شأن في التاريخ قبل العرب اي في ايام الآثوريين فالفرس فالرومانيين ·

وفي العشارة مسجد قديم ينسب الى الامام علي لم يُبق الدهر منه سوى المنارة وبعض الجدران ·

ومن أعظم المدن القديمة الصالحية بين الميادين والبوكمال على الفرات ، لا تزال بعض جدرانها الضخمة قائمة مع بقايا من العمد وقواعدها ولم نشاهد فيها غير ذلك · وقد وجد الاثريون في طيات أرضها كثيراً من الأواني الخزفية وغيرها ونقلوا الى دار الآثار بدمشق قطعاً من الجبصين عليها رسوم ملونة كانوا يضعونها على الجدران ·

وفي شمال اللواء آثار عظيمة كُشف عنها في جهات رأس العين والتل الابيض وغيرهما وهي حثية أو رومانية · والخلاصة ان الجزيرة من البلاد التي قامت فيها مدنيات عديدة · ولم تبق الأيام على المصانع والديرة والمدن التي قامت في أنحائها لأنها سهل حجارة البناء فيه قليلة فكان السكان يعنون بالآجر غالباً وهي لا تقاوم نُوَبَ الدهر كالحجر ·

قبائل اللواء ·— أهمها قبيلتان وهما عنزة وشمر · فالاولى كثيرة الفروع والمنازل فمنها العمارات أو عنزة العراق ومنازلهم تمتد من كربلا الى جنوبي جبل سنجار ومنها البشر ورئيسهم محجم بن مهيد وهم الفدعان والخرسا والقمصة وفرع من السبعة ومنازلهم جنوبي حلب وفي القسم الغربي من لواء دير الزور، ومنها ايضاً عنزة الجزيرة ومنازلهم في الجهة الغربية الشمالية من الجزيرة بين مسكنة والرقة والتل الأبيض وشمالي الخط الحديدي ·

اما قبيلة شمر فرئيسها مشعل باشا الجربا ومنازلها حول الخابور وبين النهرين · ومنها فرقة كبيرة في جبل شمر في الشمال الغربي من نجد ·

وقبيلتا عنزة وشمر تقومان على تربية الابل والخيل والضأن وهما من القبائل الرحل التي يندر فيها المشتغلون بالفلاحة · ومن قبائل اللواء التي يكثر فيها الأكارون قبيلة الجبور ومنازلهم على طول الخابور والجغجغ وهم ردعاء أهل زرع وماشية · ويقسمون ثلاثة بطون ورئيسهم مسلط باشا آل ملحم ·

ومن القبائل التي يشتغل بعض رجالها في الأرض قبيلة الشرابين وقبيلة البقارة ومنازلها شمالي الحسكة الى رأس العين على ضفتي الخابور · ومن منازلها جبل عبد العزيز · وبين الدير والرقة على الفرات منازل عشيرة ابي شعبان · ويتبعها بعض عشائر فرعية كأبي عساف والسبخة وولد الجزيرة والشامية · وبين الميادين والبوكمال منازل قبيلة العقيدات ويتبعها عشائر فرعية كأبي خابور والشعيطات والشويطية وابي كامل · ومنها ايضاً عشيرة أبي السرايا شمالي الدير · وفي الشمال الشرقي من اللواء بعض قبائل كردية تقوم على تربية الضأن واستغلال الأرض وهي الكيكية والمرسينية والشيتية والدقورية والملية وغيرها · وهنالك ايضاً بعض قبائل عربية كطي وحرب ·

***

طرقه وصناعاته ومدارسه · — ليس في هذا اللواء المترامي الأطراف طرق معبدة في يومنا هذا الا بعض كيلومترات بين الدير والرقة وبينها وبين الصور (عرض وادي الفرات) وبعض منافذ قصيرة يشق سلوكها ، عبدتها وزارة الأشغال العامة لكي لا تكون عقبة تحول دون اجتياز السيارات · ورأيت العمال يعملون بجد بالترب من مسكنة على الطريق التي تمتد اليها من حلب · وأكثر الطرق تشعثاً التي على مقربة من الرقة · وقلة الأمطار مع كثرة السهول ونوع التربة لا تجعل ثمة حاجة كبرى الى تعبيد الطرق والسيارة تجتازها بسهولة · ويحول دون تعبيدها طولها الذي لا حد له فان بين دير الزور والبوكمال ١٢٥ كيلو متراً (منها ٤٥ كيلو متراً بين الدير والميادين) · وبين الدير والقامشلية على طريق قرية الصور ٢٦٥ كيلو متراً (منها ١٧٥ كيلو متراً بين الدير والحسكة) · ومن الدير الى الرقة ١٣٣ كيلومتراً · ومن الحسكة الى رأس العين ٩٠ كيلومتراً · ومن الرقة الى التل الأبيض ١٠٤ كيلو مترات وهكذا ·

واللواء خلو من الصناعات المهمة · وللحكومة في مدينة دير الزور مدرسة تجهيزية ناقصة الصفوف · ولها في مراكز الأقضية الخمس مدارس ابتدائية ناقصة الصفوف ايضاً · اما الحسكة وهي مركز اللواء اليوم ففيها للحكومة مدرستان احداهما للذكور والثانية للاناث · وسمعت تذمراً في دير الزور من نقص المدارس فأجبتهم بأن لادارة أملاك الدولة في حمص وحماة وحلب نحو ٩٠٠ قرية ومزرعة ليس فيها للحكومة سوى خمس مدارس مع ان حصة المعارف وحدها التي يدفعها سكان تلك القرى والمزارع من محاصيلهم تكفي لفتح خمسين مدرسة ولهذا لا أظن ان سكان لواء الدير أتعس حظاً من غيرهم من حيث قلة ماهو مخصص للمعارف في موازنة الدولة بل الجميع سواسية في ذلك · قلت ولو رأيت المتذمرين في هذه الآونة بعد ان ظهر في لبنان عقول ونيات قضت بلغو عدد كبير من المدارس الابتدائية والمستشفيات لأجبتهم بان يحمدوا الله الذي لا يحمد على المكروه سواه ·

على انها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

***

تجارته وزراعته — لا يوجد في اللواء منتوجات مهمة يصدرها · وحاجات سكانه قليلة ولهذا فهم لا يشترون من خارجه الا مالا غنى لهم عنه كالنفط (البترول) والمنسوجات والسكر وامثالها · وموقع اللواء بين الشام والعراق وشرقي الاناضول يجعله واسطة لنقل البضاعات بينهما · واهم تجارة تمر به تجارة الضأن من الأناضول والعراق الى مدن الشام الكبيرة · ويليها تجارة الخشب على الفرات بين الأناضول والعراق · اما ما يرد من العراق الى الشام عن طريق الدير فالعباآت والتمر خاصة ·

والجزيرة بلاد زراعية لا صناعية ولا تجارية · فقد دلنا التاريخ على ان الاقدمين كانوا يحتفرون الانهار ويحولون اليها مياه الفرات والخابور والجغجغ والبليخ فيسقون بها مساحات واسعة من الارض تعيش من محاصيلها سكان مدن وبلدان كثيرة · ولا تزال آثار بعض هذه المشتقات بادية للعين الى يومنا هذا لاسيا على الخابور حيث يشاهد من مخرجه الى مصبه آثار الأنهر الآتية وهي اولاً نهر تل حلف قريباً من رأس العين وهو يستفاد منه اليوم قليلاً · ثانياً نهر يبدأ بين سفح الجبل ورأس العين ويمتد غرباً نحو البليخ · ثالثاً نهر عُبَيَّانات اوهما نهران يحصلان من سد كان على الخابور بين تل الرمان وتل المجدل · رابعاً نهر سبع سكور وقد زرته برفاقة مشعل باشا الجرباء · وهنالك سد قديم على الخابور جنوبي الحسكة لا يزال قائماً في وجه الماء لكن ارتفاعه اليوم هو دون ما كان سابقاً ولذلك لا يشرب من النهرين اللذين ينشئان عنه الا مساحات صغيرة · خامساً نهر الطف وهو جدولان على خمسة كيلو مترات جنوبي طابان عند تل الذهب وهما مدروسان · سادساً نهر الحمراء شمالي تل الشدادة وهو يمتد الى قرب قرية مرقدة · سابعاً نهر دوارين وهو اهمها مخرجه من الخابور على نحو ٢٠ كيلو متراً شمالي البصيرة ومنتهاه على بعد نحو مائة كيلو متر عند قرية الباعوز على الفرات بالقرب من البوكمال ، ولا تزال آثاره بادية للعيان ·

هذا بعض ما كان على الخابور ومعظمه اليوم دارس ، اما البليخ والجغجغ فانه يستفاد من مياههما قليلاً لأنه يسهل انشاء سدود عليها وتحويل مياهها الى انهار اوجداول صنعية · ويوجد الآن على البليخ ٣٣ جدولاً تقريباً تسقي مساحات لا يستهان بها كما يوجد على الجغجغ عدة جداول · لكن ما يسقى ببعض مياه هذين النهرين لا يعد شيئاً مذكوراً

اذا قيس بما يجب ان يسقى بمياه الفرات والخابور . والفلاحون يستعملون واسطتين لرفع المياه من الخابور والفرات وهما اولاً بكرة عليها حبل يشد الى احد طرفيه قربة كبيرة والى الثاني ثور يجر الحبل فيرفع القربة مملوءة ماء . ثانياً الناعورة المعروفة وهي على قسمين التي تدور بقوة جري الماء كنواعير حماة ثم التي تديرها الحيوانات . فالاولى من هذه النواعير لا تشاهد الا على الخابور لأن قوة جري الماء فيه لا تجول دون استعمالها . اما نواعير القسم الثاني فيوجد منها قليل في بعض جزر الفرات . ولا يزيد عدد نواعير الخابور على ١٥٠ ناعورة تسقي واحدتها ١٠٠ — ٢٠٠ دونم . اما الدلو على البكرة فيسقي نحو ٤٠ دونماً ولم اشاهد محركاً واحداً لرفع الماء من الفرات أو الخابور او غيرهما من الانهار في الجزيرة واذا كان ثمة محركات لم ارها فهي بلا شك لا تتجاوز عدد الاصابع .

والخلاصة ان تراب الجزيرة وهواءها ووفرة المياه فيها جعلتها صالحة لزرع جميع الزروع والأشجار المثمرة التي تعرفونها ولاسيما القطن والكتان والسمسم وقصب السكر والشوندر السكري والتبغ وانواع الحبوب وأنواع الحوامض والزيتون وغيرها . ولا يستغل اليوم من ارضها الواسعة عشر ما يمكن استغلاله منها . ومن المستطاع اعادة بعض السدود وكري جداولها القديمة على الخابور واسقاء الوف من الدونمات بمبالغ لا يعسر على ابناء البلاد الشامية تدار كها ، كما انه من المستطاع فتح جداول جديدة على البليخ والجغجغ ووضع محركات على الفرات وغير ذلك من الأعمال . ولا يظن ان اعمال الري هذه تستلزم كلها بذل نفقات عظيمة قد لا تقوم بها الا رؤوس المال الأجنبية ، فان في طاقة ابناء البلاد القيام بكثير منها ، اذا اتحدوا واسسوا شركات صغيرة او كبيرة . ثم ان هواء الجزيرة صحي وليست الحرارة فيها اشد منها في العراق او في مصر . واهلها عرب مثلنا وهم غيُرٌ اذكياء ذوو نجدة يتمنون الاشتراك في اعمال كهذه مع ابناء الشام ويسرون بلقائهم ، بدلاً من اصحاب الأوجه الكالحة الذين يدلفون اليهم من الشمال ، وهم يرطنون بلغات لا تفهم ويأتون اعمالاً صغيرة يزاحمون بها الفقير على قوته .

هذه خلاصة مادونته في تلك الرحلة . ولقد ودعت الجزيرة بالابيات الآتية نظمتها في السيارة بين الرقة وحلب :

إطْرِ الجزيرةَ سكنها والدورا الشاربين من الفرات نميرا

واستودع الله البليخ وأهله ... فالمدّ فالهرماس فالخابورا
كور بها للعرب اكبر دوحة ... رسخت على وجه الزمان عصورا
ان أقفرت جنباتها فرحابها ... كانت تضيق حدائقاً وقصورا
أو أطفئت أنوارها فلطالما ... سطعت تضيء الحالك الديجورا
ايام كان العرب في إبانهم ... سدماً تشع كواكباً وبدورا

* * *

يا وقفة عند المغيب بحسكة ... والشمس تقذف تبرها المنثورا
والماء في الخابور يشكو علة ... والريح تسطر في المياه سطورا
أذكرتني اسداً هنالك قلمت ... اظفارها وتشاءماً وصقورا
وبعثت في النفس الأسى فتخيلت ... «فوزي[1]» يحدث جاثماً مسرورا
متهللاً في نفيه متيقناً ... من فوزه متفائلاً محبورا
لله ساعات مررن حوالكاً ... أضرمن في يبس الفؤاد سعيرا

* * *

كرمت منابتها ديار ربيعة ... وزكت على كر الزمان دهورا

مصطفى الشهابي

---

(١) هو الفقيد فوزي بك الغزي احد الزعماء الوطنيين الذين كانوا نفوا الى الحسكة وكان من أعز أصدقائي ٠

لباب الاستعارات والكنايات

والملاحن والالغاز

— التي وردت في كلام العرب —

—(()—

اما ماجاء في قول العرب من الاستعارات فكثير منه قولهم : هذا رأس الامر ووجهه ورأس المال · وهذا الامر في جنب غيره يسير · وهؤلاء رؤوس القوم وجماجمهم وعيونهم ووجوههم · وفلان ظهر فلان ولسان قومه ونابهم وعضدهم · وهذا كلام له ظهر وبطن · وخرج علينا عنق من الناس · وله عندي يد بيضاء · وهذه عين الماء · وحاجب الشمس · ولسان النار · وانف الجبل · وبطن الوادي · وكبد السماء · وساق الشجرة ·

ويقولون في التفرقة : انشقت عصاهم وشالت نعامتهم ومروا بين سمع الارض وبصرها ·

ويقولون في اشتداد الامر : كشفت الحرب عن ساقها · ابدى الشر ناجذيه · حمي الوطيس · دارت رحى الحرب ·

ويقولون في ذكر الآثار العلوية : افترّ الصبح عن نواجذه · نعر الصبح في قفا الليل · وهى نطاق الجوزاء · انحط قنديل الثريا · ذرّ قرن الشمس · بقل وجه النهار · نوّرت حدائق الجو · شاب رأس الليل · ويقولون : قام خطيب الرعد · خفق قلب البرق · انحلّ عقد السحاب · انحلّ شريان الغمام · تنفس الربيع · آن ان يجيش مرجل الصيف ويثور قسطله · دبّت عقارب البرد · شابت مفارق الجبال ·

ويقولون في محاسن الكلام : الأدب غذاء الروح · ويقولون : النار فاكهة الشتاء · النبيذ كيمياء الفرح · الوحدة قبر الحي · الدّين داء الكرام · النّمام جسر الشر · الشكر نسيم النعيم · الربيع شباب الزمان · الولد ريحانة الروح · الشمس قطيفة المساكين · ويقولون للمطر سماء · قال الشاعر :

اذا نزل السماء بارض قوم رعيناها وان كانوا غضابا

ويقولون : لقيت من فلان عرق القربة (وأصل هذا ان حامل القربة يتعب من ثقلها حتى يتصبب عرقاً) • ولقيت منه عرق الجبين • والعرب تقول : بارض فلان شجر صائح : وذلك اذا طال فتبين للناظر بطوله ودل على نفسه لان الصائح يدل على نفسه بصوته • ومما جاء ايضاً في هذا الباب في القرآن وكلام الصحابة وغيرهم مانصه : أذاقها الله لباس الجوع والخوف • اشتعل الرأس شيباً • وصبّ عليهم ربك سوط عذاب • قال علي : اما وقد اتسع نطاق الاسلام • وقال الحجاج : دلوني على رجل سمين الامانة أعجف الخيانة (والأعجف النحيل) • وقال عبدالله بن وهب : لاخير في الرأي الفطير والكلام القضيب (القضيب بمعنى المقضوب اي المقطوع والظاهر ان المراد هو الكلام المقطوع عما قبله أو عما بعده مما يحتاج اليه السامع ليفهم تماماً المقصود منه) •

ولما بايعوا علياً قال : دعوا الأمر يغبّ • فان غبوبه يكشف لكم عن محله (ومعنى يغب يبيت) • وقال اكثم بن صيفي : الحلم دعامة العقل • وقال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك فانه كان يقري العين جمالاً والاذن بياناً • وقيل لرؤبة كيف تركت ماوراءك • قال : التراب يابس والمال عابس • وقال المنصور لبعضهم : بلغني انك بخيل قال : ما أجمد في حق ولا أذوب في باطل • وقال ابراهيم الموصلي : قلت للعباس بن الحسين : اني لأحبك • قال : رائد ذلك عندي • وقال اعرابي : خرجت في ليلة حندس قدالقت على الارض أدراعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نتعارف الابالآذان • وقال أعرابي لآخر : يسار النفس خير من يسار المال ورب شبعان من النعم غرثان من الكرم (غرثان معناه جائع) • وقال آخر في حرب : جعلوا الحرب أرشية الموت واستقوا بها أرواح العدو (ارشية اي حبال مفرده رشاء) • وقال احمد بن يوسف وقد شتمه رجل بين يدي المأمون : رأيته يستملي ما يلقاني به من عينيك • ومدح رجل أعرابياً قال : كان يفتح من الرأي أبواباً منسدة ويغسل من العار وجوهاً مسودة وان للصنائع لغارةً على أمواله كغارة سيوفه على أعدائه (الصنائع أعمال المعروف ومفردها صنيعة) •

ومدح أعرابي آخر رجلاً فقال : انه ليعطي عطاء من يعلم ان الله مادته • وسأل أعرابي (أي سأل صدقةً) فقيل له عليك بالصيارف • فقال : هناك قرارة اللؤم • وذمّ

أعرابيٌ قوماً فقال : يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء · وقال بعضهم : مازال فلان يتحمل مرارة الاخوان ويسيغهم العـذب · وقيل لاعرابيّ : لمَ لاتشرب النبيذ · فقال : لا أشرب ما يشرب عقلي · وقال بعض الاطباء : الماء مطية الطعام ·

* * *

واما الكنايات فالعرب يلجأون اليها في عدة اغراض منها ارادة التعريض عمّا يُستقبح ذكره · فيكنون عن الاعور بالممتّع وعن الذي في عينيه نكتة بياض بالمكوكب ، وعمن في وجهه اثر ضربة بالمشطب · ولبعضهم في ابرص :

اخو لخم اعارك منه ثوباً هنيئاً بالقميص المستجدِ

اراد باخي لخم الملك جذيمة الابرص اللخمي · وللصاحب بن عبّاد في الجربّ :

ابا العلاء هلال المزل والجد كيف النجوم التي يطلعن في الجلد

ويكنى عن الحوَل بالتأخر · وقال الدؤلي كانياً عن الفقر :

بيض المطابخ لاتشكو إماؤهم طبخ القدور ولا غسل المناديل

ومثله قول الآخر :

ثياب طبّاخهم اذا اتّسخت انقى بياضاً من القراطيس

وقول ابي بكر الخوارزمي :

فتى مختصر المأكو ل والمشروب والعطر

نقي الكأس والقصـ ـعة والمنديل والقِدر

ويكنون عن الجاهل بانه من المستريحين · ويروى ان خلافاً وقع بين بعض الخلفاء وبين نديم له في مسألة فاتفقا على رأي بعض أهل العلم فأحضر · فوجد الخليفة مخطئاً فقال : القائلون برأي امير المؤمنين اكثر (يريد الجهال) · واذا كان الرجل أحمق قيل : نعته لا ينصرف · (لأن لفظ أحمق ممنوع من الصرف بالوصفية ووزن الفعل) · وكان قابوس بن وشمكير اذا وصف رجلاً بالبله قال : (هو من أهل الجنة) · ويقولون : فلان خفيف على القلب (يريدون مقلوب صفة الخفيف وهو الثقيل) ·

وكان الشاعر العربي الاطروش اذا خاطبه احدهم ولم يسمع قال له : ارفع صوتك فان باذني بعض ما في روحك (يريد ان باذنه بعض الثقل الذي في روح مخاطبه) ·

ونظر الهمذاني الى رجل طويل بارد فقال : اقبل ليل الشتاء · ودخل رجل على مريض يعوده وقد اقشعر فقال : ماتجد فديتك · قال : اجدك (يعني البرد) · ويقولون في الكذاب : فلان يلطم عين ميزان (ميزان رجل اشتهر بالكذب) · واذا كان الرجل ملولاً قيل : «هو من بقية قوم موسى» · واذا كان ملحداً قيل : قد عبر (اي عبر جسر الايمان) · وان كان سيء الادب في المؤاكلة قيل : تسافر يداه على الخوان ويرعى ارض الجيران · فان كان خفيف اليد في الطرّ والسرقة قيل :هو احدُ يدِ القميص (اي مقطوعها والسارق يقطع يد قميصه ليكون اقدر على مايريد سرقته) · فاذا كان قمل الثوب قيل : فلان يعرض الديد · قال الصاحب :

وجوشه ترتع في جنبه وظفره يركب للصيد

واذا كان الرجل يتشاعر وليس يجيد قالوا : هو نبي في الشعر · اشارة الى قول القرآن في النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) : «وما علمناه الشعر وماينبغي له» · ويقال فلان رابع الشعراء · اذا كان متخلفاً منحط الطبقة لقول الشاعر :

الشعراء في الزمان اربعه فواحد يجري ولا يجرى معه
وواحد يخوض وسط المعمعه وواحد لاتشتهي ان تسمعه
وواحد لاتستحي ان تصفعه

وسئل حائك عن صناعته فقال : كسوة الاحياء وجهاز الموتى · ويكنون عن القروي باخضر الاسنان من كثرة اكل البقول · ويقال في من يكثر الاسفار : فلان لا يضع العصا عن عاتقه ·

وجاء في القرآن : «أيحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً» · فانه كنى عن الغيبة لأن المغتاب يقع في العرض يمزقه كما يمزق الآكل اللحم · ويقولون : لبس لفلان جلد النمر وجلد الارقم (الافعى) كناية عن العداوة ·

ومن ظريف الكنايات ماجاء عن الجماز وقد قيل له : اي البقول احب اليك ؟ فقال بقلة الذئب · (يعني اللحم فان الذئب لا يأكل بقلاً) · ورأى رجل من اضافوه يطيلون الغناء ولا يأتون بطعام فقال :

خليليّ داويتما ظاهراً فمن ذا يداوي جوى باطنا

فعلموا انه جائع . وروي عن الجاحظ انه أكل مع محمد بن عبدالملك الزيات فالوذجاً فأمر ابن الزيات ان يجعل بين يدي الجاحظ مارقّ من الجام فأسرع في الأكل حتى نظف ما بين يديه . فقال له محمد : ياأبا عثمان سرعان ماتقشعت سماؤك . فقال : أصلحك الله لأن غيمها كان رقيقاً . ويقولون : ركب فلان الأغر الأشقر . أي قتل . ويريدون بالأغر الأشقر الدم . ويقولون : فلان عف الثوب أو عف الازار . أي مستقيم متزه عن العيب . وفلان غمر الرداء . أي كثير المعروف . وعرضت لفلان قترة اي وخطه الشيب . ومثله أقمر ليله . ونوّر غصن شبابه . وفضّض الزمان ابنوسه .

ويقال للدعي في بني هاشم : هو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم من الدلدل . والدلدل بغلة أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية الى الرسول وهي اول بغلة رؤيت في الاسلام .

ومن الكناية عن الموت قولهم : لحق باللطيف الخبير . لعق اصبعه . استوفى أكله . استوفى أجله . صُكّ به على ابي يحيى . وابو يحيى كنية ملك الموت . ويكنون عنه بهادم اللذات . ويقال : شالت نعامته . طارت به عنقاء مُغرب . ويقولون في الدعاء بالموت : لا عُدّ فلان من نفره . أي فُقد من بينهم بالموت .

ومن حكاياتهم في التورية تخلصاً من الكذب ما روي ان رجلاً من الخوارج ألزم رجلاً من الشيعة ان يبرأ من علي وعثمان فقال : انا من علي ومن عثمان بريء . أراد انه من علي أي من شيعة علي وأنصاره وانه بريء من عثمان . ومثله ما روي عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) انه قال : ان الله قتل عثمان وانا معه . وأراد : وسيقتلني معه . قاصداً بذلك تسكين الفتنة .

وروي انه أقبل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم مردفاً ابا بكر رضي الله عنه فيلقى الرجل ابابكر وهو يعرفه فيقول له : ياأبابكر من هذا الذي بين يديك . فيقول : رسول يهديني(١) السبيل . فيحسب السائل انه يهديه الطريق . وانما أراد ابو بكر سبيل الخير .

ومرض زياد بن أبيه فدخل عليه شريح القاضي فلما خرج سئل : كيف تركت الامير ؟ فقال : تركته يأمر وينهى . فقال السائل ان شريحاً صاحب عويص (عويص الكلام اي الصعب الغامض منه) فاسألوه ماأراد فقال : تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء .

(١) [المجمع] وكان ذلك اثناء هجرتها خفية من مكة الى المدينة المنورة .

وأتت دلالة قوماً تخطب اليهم فتاة لهم فقالوا لها : ماصناعة الخاطب فقالت : يكتب بقلم من حديد ويختم بالزجاج . فعلموا انه حجام . وسئل الشعبي عن رجل فقال : انه لنافذ الطعنة ركين العقدة . فاذا هو خياط .

ومن كناياتهم : ابومالك . عن الجوع (لانه يملك صاحبه) ورمح ابي سعيد اي العصا . وابو جعدة الذئب وكذلك ابو مزنة . وابو الحارث الاسد . وابو الحصين الثعلب . وابو أيوب الجمل . وأم عامر الضبع . وأم عوف الجرادة . وأم حبوكرى وأم طبق الداهية . وأم النجوم الثريا . وأم الخل الخمر . وأم الخر العنب . وبنت العنقود وبنت الخان وبنت الدنان وبنت الدوالي الخمر . وأم مرزم ريح الشمال . وعاصم بن حبة الخبز . وكذلك جابر بن حبة وابو جابر . وتحفة ابراهيم اللحم . ويقال ان مسلم بن قتيبة قال للشعبي ماتشتهي ؟ فقال أعز مفقود وأهون موجود . قال ياغلام اسقه ماء . ويكنون بابي مصلح عن الملح وابي ثقيف عن الخل وابي اليقظان عن الديك .

ويقولون فلان من قوم موسى اذا كان ملولاً . وفلان بيضة البلد كناية عن عزه وعن ذله . وفلان ليس له على الله حجة . اي متكامل فضله . وعاري الخوان اي بخيل . وكذلك يختنق كلبه (لكيلا ينبح فيدل الضيف على المنزل) . ويكنون عن الدرهم بالأخرس الفصيح . وعن القلم بالناطق الابكم .

ويقولون فلان له قرابات في اليمن . اي قبيح الصورة مثل القرود . (والقرود كثيرة في اليمن) . ويكنون عن الاعمى بالمحجوب . وعن خلو البيت من الطعام بقلة الجرذان . ويقولون فلان من تربية القاضي . اي لقيط لا يعرف له أب . وقيل للاستاذ الطبري : شعر فلان كالماء : فقال نعم ولكن كماء البئر في الصيف (اي انه بارد) .

ويقال فلان قد لبس شعار الصالحين . أي اتنفر . وجاءنا في قميص أكل الدهر عليه وشرب . كناية عن القديم والبلى . ومثل ذلك جاءنا في جبة تقرأ : (واذا السماء انشقت) ويقال فلان جاءه النذير . اي شاب . وكذلك : لاح الاقحوان في بنفسجه .

واما الملاحن والألغاز فقد كانت العرب تتعمدها اذا ارادت التعمية او التورية . والملاحن مأخوذة من اللحن وهو الفطنة . واصله ان تريد شيئاً فتوري عنه بشيء آخر . ومن هذا القبيل مارواه العنبري قال :

كان اسير في بكر بن وائل فسألهم رسولاً الى قومه فقالوا له لا ترسل الاّ بحضرتنا لانهم كانوا قدازمعوا غزوقومه فخافوا ان ينذرهم ،فجيء بعبد اسود فقال : ابلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلاناً (يعني اسيراً كان في ايديهم من بكر) فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد ادبى وقد شكت النساء ومرهم ان يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها وان يركبوا جملي الاصهب بآية ما اكلت معكم حيساً واسألوا الحارث عن خبري فلما ادى العبد الرسالة قالوا لقد جُنّ الاعور والله مانعرف له ناقةحمراء ولاجملاً اصهب . ثم سرّحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال : لقد انذركم . اما قوله : « ادبى العرفج » فيريد ان الرجال قد استلأموا اي ادّرعوا ولبسوا السلاح . وقوله : « شكت النساء » اي اتخذت الشكا وهي اسقية الماء للسفر . وقوله (عروا ناقتي الحمراء) اي ارتحلوا عن الدهناء) . « واركبوا الجمل الاصهب » اي اقصدوا الجبل . وقوله : « اكلت معكم حيساً » اي ان اخلاطاً من الناس يغزونكم لان الحيس يصنع من التمر والسمن والأقط . فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه وانتفعوا به . ومن امثلة التورية ماذكره ابن دريد قال : تقول «والله ماسألت فلاناً في حاجة قط » والحاجة ضرب من الشجر له شوك . « وما رأيته » اي وما ضربت رئته . « ولا كلمته » اي جرحته . « ولا اعلمته اي ماشققت شفته العليا . فمن كان مشقوقها فهو اعلم فاذا كان مشقوق الشفة السفلى فهو افلح . « ولا اخذت منه كلباً » وهو المسمار في قائم السيف « ولا فهداً » وهو المسمار في وسط الرحل . « ولا جارية » وهي السفينة . « ولا شعيرة » وهي رأس المسمار من الفضة . « ولا صقراً » وهو دبس الرطب اي التمر الناضج . « ولا كسرت له سناً » وهي القطعة من العشب تتفرق في الارض . « ولا ضرساً » وهي القطعة من المطر تقع متفرقة في الارض . « ولا خربت له رحى » وهو من الاضراس . « ولا لبست له جبة » اي جبة السنان وهو الموضع الذي يدخل فيه من الرمح . « وماظلمت فلاناً » اي ماسقيته ظلماً وهو اللبن قبل ان يروب . « ولا اخبرته » اي مارعيت له خبيرة وهي شاة يشتريها القوم ويقتسمونها بينهم . « ولا جلست له على حصير » وهي اللحمة المعترضة في جنب الفرس . « ولا رأيت سعداً » وهو النجم . « ولا سعيداً » وهو النهر يسقي الارض منفرداً . « ولا جعفراً » وهو النهر الكبير (ولا سهلاً) وهو ضد الوعر « ولا سهيلاً » وهو اسم نجم . « وما

وطئت لفلان ارضاً » وهو باطن حافر الفرس . « ولا اخذت له بيضة » وهي بيضة الحديد يضعها المقاتل على رأسه من أسلحة الدفاع « ولا عسلاً » وهو نوع من عدْوِ الذئب اي جريه . « ولا خلاً » وهو الطريق في الرمل . (وما عرفت لكم طريقاً) وهو النخل الذي ينال باليد . (ولا أتلفتُ لفلان تمرة) وهي طرف السوط . (ولا كسرت ساقة) وهو الذكر من الحمام . (ولا أخذت لفلان فروة) وهي جلدة الرأس . (ولا عرفت له وجهاً) اي قصداً . (وما عرفت لفلانة بعلاً) وهو النخل لا يسقيه أصحابه بل يشرب ماء السماء . (وما لي جمل) وهو من سمك البحر .

ومن الأبيات التي يتحاجون بها ويسمونها أبيات المعاني قولهم :

وزهراء إن كفنتها فهو عيشها وان لم أكفنها فموت معجّلُ

يعني النار وهي زهراء أي بيضاء . يقول ان قدحتها فخرجت فلم أدركها بخرقة أو غير ذلك ماتت . وقولهم :

وما ذكر فان يكبر فأنثى شديد الأزم ليس له ضروسُ

هو القراد لانه اذا كان صغيراً فهو القرد فاذا كبر سمي حلمة . وقولهم :

عافت الماء في الشتاء فقلنا برّديه تصادفيه سخينا

قوله (برديه) اي (بل رديه) ادغم اللام والراء ادغام المتقاربين فصار كلمة واحدة . وقولهم :

اقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

الاصل في قوله : (وهاشم) هكذا (وهي شم) . ومعنى وهي سقط . وشِمْ أنظر . وتحرير المعنى : اقول لعبد الله لما سقاؤنا وهى اي سقط ونحن بوادي عبد شمس شِمْ أي انظرْ .

وقولهم :

واشعثَ كفّارٍ غدا وهو مومنٌ وراح ولم يؤمن برب محمد

قوله مومن اي قاصد اليمن والفعل منه أيمن . فلم يبق في البيت إشكال أو غرابة بنسبة الايمان والكفر الى رجل واحد بين صباح ومساء اي عند غدوه وعند رواحه .

اللاذقية : ادوار مرقص .

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٧ —

حدثني ابو الحسن علي بن احمد الحاجب المعروف بابن الخراساني وكان يحجب لمعز الدولة قال كنت مع معز الدولة يوماً في دار الخلافة بحضرة المطيع لله فلما انقضى الموكب قال لي قل له اني أريد ان أطوف في الدار فأراها وأشاهد بساتينها وصحونها فيأمر من يطيفني فيها قال فقلت ذلك للخليفة بالعربية فأمر الخليفة شاهك خادمه وابن عمر(١) حاجبه ان يطيفاه فيها فلما مشيا بين يديه وانا وراءهما أمشي وبعدنا عن حضرة الخليفة وقفا فقالا أيها الامير انه لايصلح ان تطوف الدار الا ومعك نفسان أو ثلاثة أو نحو هذا فاختر لنفسك من تريد ورد أصحابك قال فأخذ الصيمري كاتبه معه ونحو عشرة غلمان من حجابه وغلمانه وترك باقي غلمانه وجيشه في صحن السلام فتوقفت أشد منطقتي فسبقني ودخل مع شاهك وابن ابي عمر ولم ينتظروني وأسرع في مشيه فشددت منطقتي ولحقته وجذبت ثيابه من ورائه فالتفت فقلت

---

(١) لعله : ابن ابي عمر .

بالفارسية في أي موضع انت مالك تعدو على وجهك وليس تعلم انك في دار قد قتلت الف امير والف وزير · أيش كان غرضك في طوف هذه الدار وحدك ما كان يؤمنك لو وقف لنا عشرة من الخدم او عشرون نفساً في هذا الممر الضيق فتقتل · قال فكنت أكلمه بالفارسية وأصحاب الخليفة لايفهمون فقال له الصيمري بالفارسية قد صدقك فقال لنا ان انا رجعت الساعة علموا اني قد فزعت فضعفت هيبتي في نفوسهم ونظروا الي بعين جبان (١) ولكن التفوا حولي فان مائة من هؤلاء لايقاومونا ولا صاحبهم يجسر ايضاً على الحيلة علي وتسرع في مشيه حتى اننا لم نثبت ماشاهدناه حق تثبيته حتى انتهينا الى دار فيها صنم من صفر على صورة امرأة وبين يديها أصنام صغار على صور الوصائف فما رأينا شيئاً قط أحسن من ذلك وخاصة المرأة قال فتحير معز الدولة وسأل عن ذلك وقالوا هذا صنم يقال له (شغل) حمل الى المقتدر من بلد من بلدان الهند وكان يعبده اهل ذلك البلد ففتحه صاحب عمان وملكه وحمل الصنم فقال معز الدولة قد والله عشقت هذا الصنم لحسنه ولو كانت جارية مع زهدي في الجواري لاشتريتها بمائة الف دينار · قال: أريد أطلبه من الخليفة يكون قريباً مني فأراه في كل وقت فقال له الصيمري لاتفعل فإنك تنسب في ذلك الى أخلاق الصبيان قال وأسرعنا الطوف والخروج فما عقلنا ولا رجعت نفوسنا الينا حتى صار مع عسكره وغلمانه

(١) الكلمة غير واضحة · [المجمع] بل المعنى انهم ينظرون اليه بالعين التي ينظرون بها الى الجبان أي يعدّونه جباناً ·

فلما نزل الى طيّاره التفت الى الصيمري وقال يابا جعفر قد زادت محبتي للخليفة لانه لو كان يضمر لي سوءًا وكان فيه شر لكان قد قتلني اليوم باسهل حيلة فقال له الصيمري الأمر كذلك فاحمد الله قال فلما رجع الى داره أمر ان يحمل الى الطالبيين عشرة آلاف درهم ليفرقها فيهم شكراً لله عزّ وجلّ على سلامته ففرقت ولم يعرفوا سبب ذلك ·

* * *

حدثني ابو محمد عبد الله بن داسة قال حدثنا ابو الحسين احمد بن الحسن ابن المثنى قال حدثنا ابي قال كان في بني منقر بالبصرة طبيب يختلف الى عيسى بن أبان القاضي ايام مقامه بالبصرة لسقيه في كل سنة دهن الخروع أياماً متوالية من كل سنة فاذا فرغ وقع الى وكيله بمائتي درهم قال فغلط سنة من السنين فوقع له بمائتي دينار فلما عرض الطبيب الرقعة على الوكيل استراب بها وقال حتى استأذنه وجاء اليه فأراه التوقيع فقال ما أردت هذا ما أردت الا المائتي درهم التي هي رسمه ولكن هذا شيء أجراه الله على يدي لا أرجع عنه اعطه اياه فأعطاه ·

* * *

وحدثني ابو محمد قال حدثني ابو سهل بن زياد العطار قال كان علي بن عيسى يدخل في كل اسبوع يوماً الى زوجته والدة ابي القاسم ابنه وكان ابو القاسم قد نشأ وترجل فلما كان يوم النوبة أدخل ابو القاسم أمه الى حجرة وقفلها عليها وأخذ المفتاح فوافى علي بن عيسى فانكر فعلها فقال له الجواري

ان ابا القاسم ابنه فعل ذلك فاستحيا وعرف غرضه فلم يدخل الى أُمه بعد ذلك الا لعيادة أو حال ظاهرة ·

* * *

وحدثني قال حدثني ابو الفرج منصور بن القاسم القنائي الكاتب قال دخل ابو عمر القاضي على ابي علي بن مقلة وهو وزير وعلي بن عيسى عنده جالس فرفع اباعمر عليه فامتنع فرفعه ثانية وامتنع وجلس دون ابي الحسن فانصرف فراسله الى طياره واستدعى ابنه ابا الحسين فجاء اليه فقال تقول لابي عمر اني ما رفعتك على علي بن عيسى فتخالف أمري وتمتنع من ذلك وتجلس دونه فعاد اليه ابوالحسين فقال له ما جرى فقال له ارجع اليه وقل له هذا رجل رَأَسَ عليَّ ثم أزال الزمان منه فكرهت ان ارتفع عليه فيتصورني الوزير بصورة من يرتفع على رؤسائه وما فعلت ذلك الا لك واعظاماً للرياسات فعاد ابوالحسين الى ابن مقلة وأعاد ذلك عليه فقال قل له أحسن الله جزاءك فمنك يتعلم العقل ·

* * *

حدثني ابو محمد قال حدثنا ابو الحسين محمد بن عبيد الله بن نصرويه عن شيوخه ان المعتضد لما قبض على اسماعيل بن اسحاق القاضي وقال له بلغني انك تعلم ان اسماعيل بن بلبل زنديق فما تقول في قتله فقال ما أقول في رجل تكنّى وسُمّيَ ابوه بالطيور فعلم المعتضد انه يدافع فقال ليوسف القاضي هل عندك من امره شيء فقال نعم أمرني الموفق بالنفقة على الموسم وتقدم الى اسماعيل ان

يعطيني المال فكنت الزم مجلسه أطالبه بذلك فلزمته يوماً منذ الغداة الى المغرب مارأيته صلى ولا نهض من موضعه ثم لزمته اياماً متتابعة وكانت هذه حكمه فقلت لعله يقضيها ليلاً فقال لي في آخر يوم بت عندي الليلة لاعطيك المال وجلس يتحدث وانا بين يديه الى ان نعس فأراد اكرامي فأمرني بالنوم بحضرته فنمت وما رأيته في خلال ذلك صلى . فقال له المعتضد انصرف فقد أخبرتني بما أردت منك وقتله .

***

حدثنا ابو محمد قال حدثنا ابوالحسن بن ابي نصر ان ابن ابي الوليد بن ابي عبد الله بن ابي داود قال حدثني ابي ان عمرو بن الليث كان له بيت ينام فيه ويحرسه غلمان له ليلاً فانتبه ليلة فوجد بعض الغلمان قد استند الى الحائط ونام قائماً فجعل مرفقه على صماخه وغمز عليه حتى قتله فما رأى في داره نائماً ممن كان يحرسه بعد ذلك .

***

حدثنا ابو محمد قال حدثني ابوالحسين احمد بن الحسن بن المثنى قال حدثني ابي قال حدثني عمي قال قال ابن عياش كنت آكل مع حميد الطوسي فضربت يدي الى دجاجة مشوية ثم رغبت عنها شبعاً فلم اكسرها وانقضى الطعام وغسلت يدي وخرجت فاذا بضوضاء في الدهليز واذا برجل يبكي فقام اليّ وقال يارجل أحي نفساً كنت انت سبب قتلها فقلت ما الخبر فقال أنا طباخ حميد وانك مسست دجاجة ثم لم تكسرها فقدّر حميد انني شويتها

ولم أنضجها فأمر بقتلي فعدت الى حميد فحين رآني قال والله لاشفعتك في الطباخ قلت يسمع الامير ما أقوله ويعمل ما يراه قال قل فحلفت بالايمان المغلظة ان الدجاجة كانت نضيجة وانما رغبت عنها ان الشبع صدني ثم اتبعت المسألة في امر الطباخ فقال أهب لك ذنبه على انه لا تدخل داري انا قد أيسنا من الآخرة وانما هي هذه الدنيا فلا نحتمل والله لأحد تنغيصها علينا ٠

* * *

وحدثني (١) قال حدثني ابو يحيى بن مكرم القاضي البغدادي قال حدثني ابي قال كان في جواري شيخ يعرف بابي عبيدة حسن الأدب كثير الرواية للأخبار وكان ينادم اسحق بن ابراهيم المصعبي فحدثني ان اسحاق استدعاه ذات ليلة في نصف الليل بعدة رسل قال فهالني ذلك وأوحشني لما أعرفه من زعارة أخلاقه وشدة اسراعه الى القتل وخفت ان يكون قد نقم علي شيء (٢) في العشرة او بلغه عني باطل فاحفظه فيقتلني فخرجت طائر العقل حتى أتيت داره فأُدخلت من دار الى أخرى الى ان أُدخلت دار الحرم فاشتد جزعي ثم أُدخلت الى حجرة لطيفة فسمعت في دهليزها بكاء امرأة متخافيا (٣) وهو جالس على كرسي وبين يديه سيف مسلول فذهب علي أمري وسلمت ووقفت فقال اجلس ياباعبيدة فسكن روعي وجلست فرمى الي قصصا فاذا هي رقاع أصحاب الشرط في الارباع يخبر كل واحد منهم بخبر يومه وفي أكثرها

---

(١) الفرج بعد الشدة ٢ : ٦١ (٢) يريد شيئا ٠ (٣) لعله : متخافتا ٠ وفي الفرج : ونحيبها ودخلت ٠

أخبار كبسات وقعت بنساء من بنات الوزراء والرؤساء من الكتاب وبنات القواد والامراء مع رجل على رتب (١) وانهن محصلات في الحبوس ويستأذن في امرهن فقلت قد وقفت على هذه الرقاع فما يأمرني الامير فقال ان هؤلاء كلهن أجلّ آباء مني واكثر حسباً (٢) ومالاً وقد أفضى بهن الدهر الى ما قد رأيت وقد وقع لي ان بناتي سيبلغن الى هذا وقد جمعتهن وهن خمس بالقرب من هذا الموقع لاقتلهن كلهن الساعة واستريح فماذا ترى في هذا . فقلت أيها الامير ان آباء هؤلاء المحبسات اخطأوا في تدبيرهن لانهم خلفوا عليهن النعم ولم يحفظوهن (٣) بالأزواج فخلون بانفسهن ففسدن ولو كانوا علقوهن على الاكفاء (٤) ماجرى هذا منهن والذي أراه ان تستدعي فلاناً القائد فله خمسة بنين كلهم جميل الوجه حسن النشوة (٥) فتزوج كل واحدة منهن بواحد فتكفى العار والنار فقال أحسنت يابا عبيدة أنفذوا الساعة اليه وافرغ لي من هذا قال فراسلت الرجل فما طلع الفجر حتى حضر وأولاده وعقدت النكاح لهم على بنات اسحاق في خطبة واحدة وحمل اسحاق بين يدي كل واحدة خمسة آلاف دينار عيناً وشيئاً كثيراً من الطيب والثياب والدواب والبغال والغلمان فأعطاني كل واحد من الأزواج شيئاً مما وصل اليه وأنفذ لي أمهات الاولاد هدايا في الحال وشكرنني على تخليص بناتهن وانقلبت الحال الى السرور

(١) لعله : على ريب . وفي الفرج : نساء وجدن على فساد من بنات الوزراء والامراء والأجلاء الذين بادوا وذهبت مراتبهم . (٢) بالاصل : حيثا وعبارة الفرج غير هذه .
(٣) بالاصل : يحفظهن . (٤) بالاصل : الاكناء .
(٥) يريد النشوء او النشأة . وفي الفرج : النشوء .

فخرجت وقد حصل لي ثلاثة آلاف دينار عيناً وشيء كثير من الطيب والثياب (١) .

* * *

حدثني الحسين بن محمد الجبائي قال حدثني ابو القاسم بن عمرو بن زيد البزاز الشيرازي المقيم ببغداد قال حدثني ابو حمدون (٢) النديم عن آبائه ان احدهم أخبره ان المتوكل كان مشغوفاً بالعود الهندي فشكا اليه ذات ليلة إعوازه فقلت له ياامير المؤمنين الملوك لا تستقبح ان تستهدي من الملوك طرائف ما في بلادها فلو أنفذت الى ملك الهند هدية حسنة واستهديت منه عوداً هندياً ما كان ذلك عيباً قال فتكون أنت الرسول فأبيت فألزمني الى ان أجبت فتمنيت اني لم اكن أشرت عليه بالرأي وان كان صحيحاً لاجسر على الخطر بالنفس وقلت في نفسي قد كان يسعني السكوت واعدّ المتوكل الهدايا وتأهبت للخروج ووصيت لإياسي من الرجوع فلما أجدّ بي الخروج قلت ليس الا ان احمل معي شراباً كثيراً فاذا اشتدت الأمواج شربت وسكرت ولا أعقل ان غرقت ولا احس بعظم الأمواج مع السكر فاستكثرت من الشراب القطربلي والغناء (٣) الحسن والتفاح الشامي وجعلت بعضه في العسل ليبقى وخرجت فأقمت بالبحر شهوراً وعاينت أهوالاً عظيمة الى ان وصلت الى الساحل من بلد الهند فأركبت الظهر وسرت من بلد الى آخر

(١) قد غير المؤلف عبارة الفرج بعد الشدة في مواضع كثيرة .

(٢) كذا بالأصل والنديم المشهور هو ابن حمدون وكان اسمه محمد أو احمد واسم صاحب الحكاية زيد . (٣) لعله : العنب

الى ان دخلت بلهور (١) وهو الملك الاعظم من ملوك الهند وهو اسم الملك الاعظم هنالك فوصلت الى البلد مع أصحابه وقد تُلقيت واكرمت وخُدمت وأنزلت دارا حسنة من دورهم ثم جلس مجلسا عامًّا فدخلت اليه وهو في حفله وتأهبه وجيشه ورعيته وقد جلس على سرير ملكه وعليه مئزران حرير صيني وقد اتشح باحدهما واتزر بالآخر وفي حلقه خيط فيه صرة من ذلك الخرز (٢) لا أدري ما فيها وكلمني بترجمانه وقال يقول لك الملك لأي شيء قصدت فقلت له ان امير المؤمنين أحب صلة الحال والمودة بينه وبينه فبعثني لذلك وحمل على يدي هداياه وسألت ان يأمر بتسليمها فأعاد الترجمان عنه جوابا حسنا جميلا فانه قد أمر بقبض الهدية وانصرفت ورسله معي فتسلمها وترددت الى المجالس العامة دفعات فلما كان بعد ايام استدعاني في نصف نهار وكان الزمان حارًّا فدخلت دار العامة التي كنت أصل اليه فيها فلم اجد فيها كثير احد فأُدخلت من موضع الى آخر حتى أُدخلت اليه وهو جالس في حجرة في غاية الحسن والسر والظرف والملاحة وفخر الآلات كأنها من حُجَر دار الخلافة ودست طبري في نهاية الحسن والملك جالس فيه وعليه قميص قصب في نهاية الخفة والحسن وسراويل دبيقي بتقطيع بغدادي وعلى مسورته ردى (٣) قصب فاخر جداً وبين يديه آلات ذهب وفضة وصياغات كثيرة عراقية كلها حسنة مملوءة بالكافور والماورد والعنبر والند والتماثيل (٤) فلما دخلت كلمني بالعربية

---

(١) يريد لاهوز . وفي الجملة اضطراب ولعل المراد : وهي حضرة الملك الاعظم الخ وسقط اسم الملك . (٢) لعله : الخز . (٣) يعني رداء . (٤) هي قطع من الند .

بلسان طلق ذلق وقال كيف انت من قشف بلادنا فشكرت انعامه وقرظت بلاده وذكرت له اني في ريف من تفقده وبرّه فباسطني وطاولني واستطاب حديثي وأفضت معه في فنون من الأمور حتى تكامل انبساطه اليّ وتأملت أمره كله فاذا رجل عراقي متأدب · فسقاني من شراب بين يديه أصفر في قدح في صينية وقال إشرب هذا وقل لي هل عندكم مثله فقبّلت يده وقبلت القدح وشربته وقلت هذا في غاية الطيب والحسن والجودة فقال اصدقني هل عندكم مثله فوصفت الشراب القطربلي وذكرت منافعه وفضائله وطيبه وزدت في الوصف وبسطته فرأيت في عينه استبعاداً لقولي فقلت له اني كنت استصحبت منه شيئاً في طريقي وقد فضل منه فضلة لا أرضاها لحضرة الملك ولكن ان أمر باحضارها ليعتار (?) بها صحة ما ذكرته له أحضرتها فقال افعل · فقلت لغلامي احمل كلما بقي عندنا من الشراب فجاء الغلام بادّن (١) يسيرة وقلت له ان يحمل شيئاً من التفاح الشامي فحمل مما كان في العسل عدة تفاحات ومسحها من العسل وكان في بعضه قد بقيت منه بقية صالحة · فلما وضعت الدنان بين يديه أمرت غلامي ببزلها في قدح وشربت منه اولاً ثم دفع اليه فاستحسن ذلك ثم أخذ التفاح فلما رأى لونه رأى شيئاً غير ما عنده وشمه فكاد ان يشهق استطابة وشربه وتقدح (٢) بشيء من التفاح وقد كنت كسرت واحدة وأكلت نصفها في حال شربه وتركت النصف الآخر بين يديه فتنقل به ومسح فاه ثم قال لي ما ظننت ان في الدنيا مثل هذا الشراب ولا مثل هذا النقل ولقد

(١) يريد ادنان · (٢) يريد تنقل اي اتخذ نقلاً ·

بَعُدَ في نفسي ماالخبرتني به فلماشاهدته صدقتك وعظم في نفسي بلد يكون مثل هذا فيه مبتذلاً ولم أُصدق ذلك لولم أُشاهده . ثم قال لي ويحك تشربون مثل هذا وتنتقلون بمثل هذا وتموتون ان هذا لامر عجيب . ثم صار يستدعيني كل يوم الى تلك الحجرة فآكل معه ونشرب ويخرج اليّ بالأحاديث فلما أنست به قلت له أيها الملك أتأذن لي أن أسأل عن شيء ؟ قال قل : قلت ان الله عزّ وجلّ قد جمع لك من الملك العظيم انك جالس في هذه الحجرة في قطعة من دار الخلافة بالعراق بلا فرق ولاشك وقد أُعطاك من حسن الرأي والفهم واللسان العربي ماجعلك به كأنك رجل من اهل بغداد فمن أين لك هذا ؟ فقال ويحك ان ابي كان من اولاد الملوك وقُتل ابوه وابتز على ملكه بعض قواده ثم خرج عليه (١) ولم يكن من اهل بيت الملك فهرب ابي خوفاً على دمه الى عمان فدخلها مستخفياً وتنقل في البلدان الى ان وقع ببغداد في زي التجار ومعه من يخدمه ويكتم امره وطاف بلد العراق وكانت المادة تُحمل اليه من هاهنا فأقام بالعراق سنين حتى تفصح بالعربية وعاشر اهل العراق ونكح منهم وخالطهم وتطاولت السنون به ومات ذاك الخارجي الذي قتل اباه وغصبه الملك فأوقف اهل المملكة الملك عليه وكاتبوه بالصورة واستقدموه وامدّوه بالأموال فاستصحب قوماً من العراقيين من اهل الأدب والعشرة واهل الصنائع فقدم فملك الأمر وجعل غرضه طلب العراقيين واسنى لهم العطايا فكثروا عنده فبنوا له هذه الحجرة وخدموه بهذه الآلات . فكان يجلس لادا

(١) لعله : وابتز ملكه بعض قواده قد خرج .

المملكة في زيهم لئلا يشيع عليه مخالفتهم في الزي وينقص بين ملوكهم فيهون امره عندهم ويجلس في خلوته هكذا . فلما ولدت اسلمني الى العراقيين والهنديين فكلموني باللغتين فنشأت أتكلم بهما ثم أدبني العراقيون وغلبوا عليّ فلما مات سلم الملك اليّ فاتبعت طرائقه في الجلوس العام لأهل المملكة بزيهم والانفراد عنهم في الخلوة بهذا الزي . قال فقلت له فما ذلك الذي تعلقه في حلقك والصرة ؟ فقال هذه الصرة فيها عظم من عظام الرجل الذي جاء بعبادة البدّ (الوثن) واقام هذه الشريعة لهم وله كذا وكذا الف سنة وذكر عشرة الوف سنين وقال ان الرجل لما مات وصى بان يجعل في تابوت بعد تابوت كذا وكذا الف سنة فما يزال كلما بلي شيء من عظامه احتفظوا بالباقي ونحوا البالي لئلا يسرع الفساد الى الصحيح الى ان لم يبق منه الا هذا العظم الواحد فخافوا ان يبلى ايضاً فجعلوه في حق من ذهب وجعلوهما في صرة وصارت الملوك تعلقه في حلوقها في خيط تعظيماً وتبركاً به وتشرفاً بمكانه وصيانة له عن البلى . فقد داق في حلق كذا وكذا ملك مدة ايام ملكهم كذا وكذا سنة وذكر امراً عظيماً وقد صار عندنا كالبردة التي لصاحبكم يلبسها خلفاؤكم . قال : فلما طال مقامي وضجرت سألته الاذن في تسريحي وأعلمته إعجاب الخليفة بالعود الهندي واشرت عليه بالاستكثار منه وقلت هو احب اليه من جميع ما تهديه اليه من غيره فأنفذ منه شيئاً عظيماً هائلاً كثيراً وفيه من الطرائف مالم يسمع بمثله وانفذ مع (١) الجواهر واليواقيت والتوتيا وطرائف بلاده مايكون قيمته

(١) لعله : معي من

مالاً جليلاً واضعاف ما حملناه اليه · فلما اردت توديعه قال اصبر · ثم دعا بصندوق ففتحه واخرج منه مفتاح ذهب (١) واخرج منه قطع عود هندي لطافاً فأعطانيها وقد كان قد (اي قدر) ما اعطانيه نصف رطل ودعا بدرج وجعله فيه وقفله وسلمه ومفتاحه الي وقال هذا خاصة توصله من يدك الى يده · قال : فأنكرت ذلك في نفسي وقلت ابت الهدية (٢) الا الحمق قال فبان له التنكر في وجهي فقال اظنك احتقرته فقلت وما هذا حتى توصني فيه بمثل هذا · فقلت الملك يقول · فقال يا غلام هات مجمرة ونارا فأتي بهما ودعا بمنديل لطيف للكم فأتي به واخرج من ذلك العود شظية مقدارها اقل من نصف دانق فضة فطرحها على النار وبخر بها المنديل ثم قال شم فشممت شيئاً لم ادر ماهو لا يشبه الند ولا العود ولا شيئاً طيباً نتبخر به ماشممت مثله قط فقلت يحق لهذا ان يوصيني به الملك بما وصى فقال اصبر حتى اريك منه اعجب مما رأيت ودعى بطشت وماء فأحضرهما وامر بغسل المنديل بالصابون فغسل بين يديه ثم امر ان يجفف في الشمس ويحضر قال ففعل ثم قال شمه فشممت الرائحة بعينها لم تتغير ولا نقصت فأعاد الغسل بالصابون والتجفيف دفعات تقارب العشرة الى ان انقطعت الرائحة في الاخيرة فهالني ذلك فقال اعرف الآن قدر ما معك واعلم انه ليس في خزائن ملوك الهند كلها من هذا رطل واحد غير ما اعطيتك وعرف صاحبك فضيله · قال فودعته وانصرفت ورزق الله السلامة ودخلت على المتوكل فسر بقدومي وأكرمني وسلمت اليه الهدايا فحسن موقعها منه واعدت عليه اكثر حديثي مع

(١) لعله : ففتحه بمفتاح ذهب · (٢) لعله المندية ·

الملك الى ان بلغت الى خبر النصف رطل عود واخرجته فسلمته اليه ولم اشرح له خبر الخرقة فاستحمق الرجل كما استحمقته فقصصت عليه الشرح واخرجت المخمرة والنار وخرقة وفعلت كما فعل الملك فهاله ذلك امراً عظيماً وسُرَّ به سروراً شديداً وقال هذا النصف رطل بسفرتك . قال الحسين فقال لي ابو حمدون زيد فاستبعدت امر هذا العود الى ان حدثني بعض التجار الثقات المشهورين بدخول الهند دفعات بحديث هذا العود ووصفه لي فخرج الحديثان واحداً على اتفاق . فقلت هل سمعت ما سبب قلته فقال سألتهم عن سبب ذلك فقال ليس ينبت الا في موضع واحد في قُلّة جبل بيننا وبينه مشاقٌ وغرر واخطار ووحوش ضارية كثيرة فالملوك تتكلف انفاق الأموال العظيمة على مرور الايام والشهور والأعوام حتى يصل اصحابهم الى ذلك الجبل ويصعدون منه الى حيث يمكن فيبلغون الى حيث لا طريق فيه ولا حيلة ويرون تيوساً كالتيوس الجبلية التي هاهنا ترعى في تلك الأشجار من بعد فربما اتفق ان يروا الواحد وهو في الذروة وفي فيه قطعة من هذا العود يأكله فيرمونه بالسهام فان اتفق ان يصيبه السهم فيسقط التيس اليهم بحمية السهم وفي فمه ذلك العود فيتناولوه من فيه والا فلا سبيل الى شيء من حصول (١) العود البتة ففي سنين طوال تتفق هذه القطعة اليسيرة بعد المشقة العظيمة على مراصدة الرجال بذلك فبهذا السبيل يقل .

« للبحث صلة »

---

(١) لعله : من الحصول على شيء من العود .

آراء وافكار

(تَنْ)

كلمة فارسية بمعنى (بدن ، جسد) وفي اللغة العربية (القديمة والحديثة) عدة كلمات مبدوءة اومختتمة بكلمة (تَنْ) مما يدل على ان اصلها أعجمي . من ذلك :

« تنبل » بكسر اوله على وزن (درهم) معناه في اللغة الفصحى القصير . وأما هو بفتح التاء على وزن (جعفر) فقد قال صاحب التاج في مستدركه إنها كلمة عامية يريدون بها البليد الثقيل قال السيد (أدي شير) الكلداني إن (تنبل) بمعنى بليد كسلان فارسي معرب.وهو محرف عن(تنبول) وتنبول محرف عن(تنپرْوَر) وهما كلمتان : (تن) بمعنى جسد بدن و(پرور) بمعنى مربي مغذيه . فالبليد الكسلان تراه مشغولاً براحة بدنه مكثراً لتغذيته بألوان الطعام فيسمن ويضخم ويصبح غير قادر على السعي ولا نشيط الحركة في العمل .

(تجفاف) بكسر اوله كلمة عربية واردة في فصيح كلام العرب ويراد بها ما يُلْبَسُه الفرس في الحرب وقاية له من وقع الأسنة كالدرع للانسان . قال ابن الجواليقي : التجفاف معرب ومعناه ثوب البدن . وقال العلامة الخفاجي في (شفاء الغليل). (التجفاف) لفظ معرب عن الفارسية واصله (تنپناه) أي حارس البدن اهـ . ولا أراني مرتاحاً الى ماقالوه من تعريب التجفاف فانه بالكلمات العربية أشبه . والى صيغها ومعانيها أقرب : فالتجفاف بفتح اوله بمعنى التيبيس كالتجفيف . ويؤيده ماقاله صاحب المصباح في تعليل تسمية تجفاف الفرس تجفافاً — وقيل سمي بذلك لما فيه من الصلابة واليبوسة .

(تُبَّان) السراويل القصيرة يلبسه الملاحون والمصارعون قالوا وهومعرب عن الفارسية واصله (تنبان) . فالظاهر انه مما نحن فيه ويكون مركباً من (تن) بمعنى بدن و(بان) بمعنى حارس أو حافظ .

(منتان) ثوب معروف كالصدار الا انه بكمين ويكون قصيراً لايتجاوز مراق البطن . وقد وقع فيه تحريف كثير إذ أن اصله (الفارسي) كما في كتاب (كنز اللغات) — (نيمتن) : (نيم) بمعنى نصف و (تن) بمعني بدن فهو ثوب يستر نصف البدن ثم ان نيمتن تحرف الى (نيمتان) ثم الى (مينتان) و (منتان) ومن المستبعد ان يكون (منتان) عربي الأصل من النتن وهو الرائحة الخبيثة ويكون محرفاً عن (منتن) وجمعه مناتين يقال رجال مناتين وآباط مناتين أي ذات نتن والثوب المسمى (منتان) يكون له رائحة كذلك . هذا بعيد والاول أحسن وأقوم .

(تنوره) ثوب على عكس المنتان اى انه يخيط بالجسم من الوسط الى القدمين وهو بتشديد النون . أما أصله الفارسي فبتخفيفها . وهو مركب من كلمتين (تن) بمعنى بدن و(نوره) لم اهتد الى معرفتها . وكلمة (التنورة) من الفاظ العوام المتأخرين .

(تنباك) اسم النبات المعروف الذي يمص دخانه بواسطة الاركيلة أو النارجيلة وقد قال بعض الكتاب المعاصرين ان كلمة (تنباك) فارسية وهي مركبة من كلمتين (تن) بمعنى بدن و (باك) بمعنى مطهر (أوطاهر) أي مطهر البدن . وهذه التسمية ناشئة عن أسطورة إيرانية تفسر لنا اصل اكتشاف التنباك . وذلك أن رجلاً ابتلي بقروح في بدنه تولدت فيها الديدان واعيت الأطباء فهام الرجل على وجهه في البراري حتى اهتدى اخيراً الى هذا النبات المسمى (تنباك) فجعل يربط أوراقه على قروحه فامتصت رطوباتها ونقتها من الديدان وهكذا شفاه الله فسمي الناس هذا النبات (تن پاك) اي مطهر الجسد ومنقيه من الآفات .

هكذا قال بعضهم ولا أراه صحيحاً وانما الصواب فيه ان كلمتي (التنباك) و(التبغ) اختان وهما محرفتان عن كلمة Tabogo اسم جزيرة من جزر الانتيل في أميركا اجتلب هذا النبات منها وهو لم يعرف قبل اكتشاف اميركا ويشهد لهذا ان اسمه باللغة الافرنسية (Tabac) .

المغربي

مطبوعات حديثة

—(1)—

معجم الحيوان

« بقلم الدكتور امين باشا المعلوف ص ٢٧١ من قطع المقتطف »

الدكتور امين باشا المعلوف هو في هذا القرن اول من بحث عن الألفاظ العربية للحيوان متحرياً مايقابلها من الأسماء العلمية حتى صار مؤلفه جديراً بأن يدعى معجماً مضبوطاً لبعض اسماء هذا القسم من الأحياء . وقد كان العلامة المشار اليه نشر هذه الأبحاث تباعاً في المقتطف بأسم « معجم الحيوان » بدءاً من عدد تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٨ ، ثم جمعها اليوم من اجزاء المقتطف العديدة واضاف اليها ما حققه حديثاً ، ورتبها كلها على حروف المعجم وطبعها كتاباً جعله المقتطف هدية للمشتركين فيه . والمؤلف من انصف العلماء لكل اصحاب الأسانيد الذين اقتبس منهم سواء أكانوا على قيد الحياة ام من طواهم الدهر في طياته ، وسواء أأحسنوا اليه على اعتقاده ام اساءوا . فتراه مثلاً ينقل عن معجم شرف المطبوع سنة ١٩٢٨ استعمال لفظة « غثراء » لأحد انواع الضباع ولفظة (كُدَيْع) للحوت المسمى جمل البحر ويشير الى هذا الإسناد على حين انه متأكد كل التأكيد ان الدكتور محمد شرف بك نقل الى معجمه عشرات من الفاظ « معجم الحيوان » المنشور في المقتطف دون ان يذكر معجم الحيوان في جملة الأسانيد التى اعتمدها بل تخطاه الى الأسانيد الأصلية التي لقي امين باشا من مراجعتها عرق القربة . وهذا لايجوز بين العلماء . وقد كنت اشرت اليه في هذه المجلة (1) . ولا شك عندي ان عالماً يقدر الاجتهاد حق قدره كالدكتور شرف

(1) مجلد ١١ صفحة ٥٠٢ .

لم يهمل ذكر « معجم الحيوان» في جملة المراجع التي استقى منها الا سهواً ، ولو كنت مكانه لأعلنت هذا السهو على الناس مادام كل حي عرضة للنسيان ·

ويمتاز معجم الحيوان بصحة التحقيق العلمي ودقته وبكثرة المراجع التي رجع اليها المؤلف في تأليفه واهمها في نظري حديقة الحيوانات ومفتشها وهنالك يستطيع الانسان المجد ان يضع الاسماء في مواضعها امام الحيوان نفسه حياً أو محنطاً أوميبساً · وتأتي بعد ذلك كتب علماء اجانب مشهورين من رواد البلاد العربية الذين تحروا حيواناتها ودوّنوا اسماءها العلمية كما دونوا مااتصل بهم من أسمائها العربية بالفصحى أو العامية مثل فورسكال وشوينفورث وسنت هيلر ودرمر وبولنجه وميترتزهاجن وبوست وغيرهم ومن علماء العرب مثل الأب أنستاس الكرملي واحمد فارس الشدياق واحمد كمال باشا واحمد ندا ويعقوب صروف ومحمد حلمي السماع من المعاصرين والجاحظ والدميري والقزويني والمسعودي والادريسي وابن سيده وغيرهم من الأقدمين · ولا أظن انه فات المؤلف كتاب يعول عليه في هذا الباب دون ان يراجعه حتى انه ماكاد يتصل به صدور كتاب جديد في حيوانات الشام المائية لمؤلفه الفرنسي غروفل (Gruvel) حتى بحث عنه لعله يجد في هذا الكتاب الجديد لفظة ما جديدة ·

فلهذه الاسباب جميعها جاء معجم امين باشا آية في التحقيق العلمي ومرجعاً مهماً ومضبوطاً لكل معجم افرنجي عربي يؤلف وبخاصة لمعجم المصطلحات العلمية الذي طالما تمنينا ان يتكاتف العالم العربي على اصداره في المستقبل القريب · واذا شاء المطالع الوقوف على فرط التحقيق في معجم الحيوان فليراجع ما كتب صاحبه عن الببر والنمر ، والنسر والعقاب ، والخلد والطوبين (الخلد الأوربي) والبُخْت هل هي عربية ام لا الى عشرات من الألفاظ التي لم يكتف المؤلف بوضعها مقابل اسمائها العلمية بل ناقش وقارن واستدل الى ان استنتج ان اللفظة العربية الفلانية يجب ان تدل على الحيوان الفلاني بلا تردد او جدال · ولهذا لا يعد كتاب امين باشا معجماً لألفاظ الحيوان فحسب بل هو معجم لغوي لكل مايتصل بالحيوانات الواردة فيه من اسماء عربية مما جاء في كتب علماء العرب الأقدمين · وربما ملأ المؤلف صفحة كاملة أو صفحتين في مناقشة ماأورده العلماء من الأسماء لحيوان واحد ·

ونجلي ذكر البخت وهي لفظة يطلقونها على الإبل الخراسانية تنتج من جمل عربي ذي

سنام واحد وفالج ذي سنامين) نقل المؤلف عن التاج : ان بعضهم يقول ان البخت عربي وينشد لابن قيس الرقيات :

« إن يعش مصعب فانا بخير قد أتانا بعيشنا ما نرجي
يهب الألف والخيول ويسقي لبن البخت في قصاع الخلنج» انتهى

قلت ولدي دليل آخر على أصالة هذه اللفظة بسبب استعمالها قديمًا وهي ابيات احفظها عن معجم البلدان في مادة (حاسر) في وصف طغيان الأنهر العظام (وهو الفرات في الأبيات) وتشبيه كرم يزيد به ، قال الشاعر :

وما مزبد يعلو جلاميد حاسر يشق اليها خيزرانًا وغرقدا [1]
تحرز منه اهل عانة بعد ما كساسورها الأعلى غثاء منضدا
باجود سيبًا من يزيد اذا بدت لنا بخته يحملن مجدًا وسؤددا

ولقد قطعت البادية بضع مرات بين دمشق وحدود العراق على مقربة من عانة فلم اشاهد الفالج ولا الأولاد الناتجة من الفالج والعربي لأن هذه يكون كلها او معظمها ذوات سنامين ، ونستبعد استعمال مثل يزيد لها . ولهذا نرجح مع صاحب معجم الحيوان ان لفظة البخت كانت تطلق ايضًا على بعض سلالات الإبل العراب كما حققه .

وأظن ان المعجم على كبره لا يحوي اكثر من الف نوع ونيف (وهو ماوضع أجدادنا له اسماء) مع ان دوحة الحيوان اليوم تحتوي على مئات الألوف من الأنواع ولا سيما الحشرات فالمعجم يكاد يكون خاليًا منها على حين ان فيها نحو مائة نوع على الأقل اشتهرت بما توقعه من الأضرار في النباتات الزراعية ومن المفيد ذكرها وتسميتها باسماء عربية وهو ماقمت به في المقالة التي تنشر في العدد التالي .

ولفت نظري ايضًا ان العلامة امين باشا اهمل في المعجم الأسماء الفرنسية للحيوانات مع انه كان ذكر كثيرًا منها يوم نشر المعجم في المقتطف . وهذا لا يسر الذين تعلموا في مدارس فرنسية . ولعل ضيق الوقت المحدد للطبع جعله يقتصر على الأسماء اللاتينية والأنكليزية دون الفرنسية . وضيق الوقت جعله يسهو ايضًا عن ذكر بعض الأسماء في اماكنها فلفظة البخت مثلاً لم اجدها في الفهرس العربي كما انني لم اجد لفظة (Otis)

(١) الغرقد نبات يكثر حول الفرات وهو باللاتينية (Nitraria tridentata) .

اللاتينية في مكانها وهي تدل على جنس الحبارى مع انه لم يسه عن ذكر البحث ولا الحبارى امام الامم الانكليزي . وهذه الهنات الطفيفة لا تقدح بهذا المصنف الخالد ، اثاب الله المؤلف على مابذله من جهد مضن في خدمة اللغة العربية .

مصطفى الشهابي

﴿ أمالي ابن الشجري ﴾

هو الشريف ابو السعادات هبة الله توسيف سنة ٥٤٢ هـ ولم يقم بعد علماء اللغة والنحو الأولين من يشبهه في تحقيق مسائل هذين العلمين اذ كان اماماً مبرزاً فيهما وقد قال ابن خلكان ان كتابه (الأمالي) اكبر تآليفه وأكثرها إفادة . املاه في اربعة وثمانين مجلساً . وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب وختمه بمجلس قصره على ابيات من شعر ابي الطيب المتنبي . وبين ايدينا الآن نسخة مطبوعة من هذا الكتاب مصححة ومضبوطة بعناية احد علماء الازهر (الاستاذ عبدالخالق مصطفى محمد) . وتولى نشره جماعة برأسهم الشيخ (عبد الحفيظ سعد عطية) بالازهر نشروا الجزء الأول منه في (٣٨٦) صفحة بلغوا فيه المجلس التاسع والاربعين . ووعدوا بنشر الجزء الثاني . وطريقة المؤلف في مجالس هذا الكتاب هي طريقة المتقدمين من علماء اللغة في أماليهم كالمبرد والقالي فهو يفتتح المجلس ببيت شعر من كلام العرب أو بآية كريمة او بمسألة من مسائل النحو واللغة أشكل أمرها فيشرح كل ذلك شرحاً وافياً ويذكر من الشواهد ونصوص اللغة والأدب ما يستدعيه المقام . فالكتاب كتاب تطبيق وتمرين لا يستغني عن الاستفادة منه طلاب اللغة والنحو وكل من أراد الاخصاء في علوم الآداب العربية . وقد افتانا المؤلف أحسن الله اليه بجواز تفسير الكلمة اللغوية بمرادفها من كلام العامة . فانه في بحث حذف لام حرف الجر (على) الواقعة قبل لام التعريف كراهة اجتماع المثلين فيما حكاه سيبويه من قولهم (عَ الماء بنو تميم) يريدون (على الماء) ومثله قول قطري بن الفجاءة :

(غداة طفت عَ الماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم)

— فسر المؤلف ابو السعادات فعل (طفت) بقوله (قفت) وقد وجد على هامش الأصل ما نصه :

«(تفسير طفت بقفت وهم . لأن الطفو علو الشيء فوق الماء وضده الرسوب . والقفو تتبع الشيء الا أن هذه الكلمة يخطئ فيها العامة في بغداد فتقول (قفا) أي (طفا) فذكرها (أي المؤلف) على عادتهم فيها اهـ ». والاستاذ المولع بالتعليم والتفهيم أمثال ابن الشجري لا يبالي ان يودع كتابه المملوء فصاحة وعروبة كلمات عامية ما دام فهم المعنى يتوقف عليها وغموضه يتجلى بها فاذا أريد مثلاً ان تفسر كلمة (ثدي) بمرادف يفهمه السامع بسهولة فلا بأس على مذهب ابن الشجري ان يقال (الثدي هو البز) . والبز بكسر اوله وتشديد زايه يستعمله العامة كثيراً بمعنى الثدي ولا يُدرى من اين تسرب الى لغتنا وقد قال التاج في مستدركه (والبز بالكسر ثدي الانسان هكذا يستعملونه ولا ادري كيف ذلك) .

المغربي

(كتاب الإفصاح)
« عن معاني الصحاح »

تأليف الوزير ابن هبيرة المتوفى سنة ٥٦٠ هـ طبع سنة ١٣٤٨ هـ بالمطبعة العلمية في حلب صفحاته (٤٤٨) .

موضوعه الأحكام الشرعية على المذاهب الأربعة في العبادات والمعاملات في مائة واثنين وعشرين باباً يبين في كل منها ما اتفق عليه وما اختلف فيه بين الأئمة الأربعة وهو أقدم ما ألف في هذا الموضوع من الكتب المتداولة بين الأيدي في عصرنا كبداية المجتهد لابن رشد الحفيد ورحمة الامة للقاضي العثماني والميزان للشعراني . وعبارة الافصاح بعيدة عن التكلف روعي فيها جمع المعاني الكثيرة بالكلمات اليسيرة مع السلامة من الإفراط والتفريط في الايجاز والتطويل . ولا جرم ان للوزير مؤلف الإفصاح هذا عناية بهذا الموضوع . قد حاز فيه القدح المعلى ، وبذ الأقران في ميدانه وجلى ، وله كتاب بمعناه أيضاً سماه الإشراف على مذاهب الأشراف . والوزير ابن هبيرة كان يهتم بكل ما له مساس بالمصالح العامة . فلا عجب اذا رأيناه قضى معظم حياته وهو يدرس هذا الموضوع الذي خدم به الأمة الإسلامية جميعاً . ولم يجعل لكتابه الافصاح هذا مقدمة اكتفاء بما الفه قبله

من الكتب الجامعة للفروع وادلتها تحرياً لصحة أحكام الفروع التي اقتصر عليها في الإفصاح على انه قد يذكر الأدلة في بعض المباحث اذا اقتضاها الحال ·

وقد استهله ناشره الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي بتصدير أودعه فوائد الكتاب ووصف ما عثر عليه من مخطوطاته وترجمة مؤلفه الوزير ثم ختم تصديره بصورة صفحة الإفصاح الأولى نقلاً عن نسختين قديمتين من مخطوطاته احداهما محفوظة في خزانة المكتبة الظاهرية بدمشق والأخرى عن نسخة في خزانة كتب المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا · وقد وقع في الكتاب من السهو والخطإ المطبعي ماعسى ان يتلافى في طبعته الثانية كالأشتري في الصفحة الثالثة عشرة وصوابه الأشيري بالمثناة التحتية وكمنصور التميري في الصفحة الحادية والاربعين والصواب نصر بن منصور وكقوله في اول باب تفرقة الزكاة : إلا أن يقدم منهم أحد والصواب إلا أن يفقد او يعدم منهم أحد فيوفر حظه على الباقين الخ · وكقوله في الصفحة (٢٩٠) قال الوزير رحمه الله تعالى انه (أي العزل) مكروه عندي لانه جنس من الوذاء والصواب جنس من الوأد · هذا ولو رأيت سقم خط المخطوطات التي نقل الاستاذ ناشر الكتاب عنها لعذرته بل لشكرته لما بذل في هذه السبيل من جهد جاهد ·

عبد القادر المبارك ·

المجلد الثالث عشر الجزء ٣

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

شباط سنة ١٩٣٣ م
الموافق شوال وذي القعدة سنة ١٣٥١ هـ

دمشق :
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكا

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى السادسة الى كل سنة منها
« ٣٠٠ « السابعة الى الثانية عشرة «
في الخارج ٦٠٠ « الاولى الى السادسة «
« ٣٥٠ « السابعة الى الثانية عشرة «

حفلة تأبين

« امير الشعراء »

— احمد شوقي بك —

لم يكد يرقأ الدمع على شاعر النيل حافظ بك ابراهيم حتى فجأنا نعي امير الشعراء وعضو مجمعنا العلمي العربي احمد شوقي بك رحمه الله ، فنكئ الجرح ، واشتد البرح .

ولقد اراد المجمع ان يُعرب — باسمه واسم السوريين كافة — عما خامر نفوسهم من الوجد والأسى على الراحل العظيم ، فأقام يوم الاربعين من وفاته (٢٥ رجب سنة ١٣٥١ و٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٣٢) حفلة تأبين كبرى في ردهته في دار المجمع تحت رعاية صاحب الفخامة رئيس جمهورية سورية محمد علي بك العابد المعظم شهدها فخامته وطائفة من وزراء سوريا وعلمائها واعيانها وجمهور كبير يبلغ الفاً وخمسمائة نفس من فضلاء البلاد وأدبائها ونحو مائة سيدة من عقائل دمشق وأوانسها المهذبات .

فافتتح الحفلة الاستاذ الشيخ عبد الله المجد بعشر من القرآن الكريم ثم تلاه الاساتذة محمد كرد علي بك رئيس المجمع العلمي بخطاب موضوعه (حياة احمد شوقي) ثم فارس بك الخوري (خطاب : فجيعة العرب بشوقي) ثم خليل بك مردم بك (قصيدة : خلود شوقي) ثم عز الدين بك التنوخي (خطاب: شوقي واللغة) ثم الدكتور اسعد الحكيم (خطاب: شوقي والمسرح) ثم الامير مصطفى الشهابي (خطاب : شوقي والنزعة العربية) ثم شفيق بك جبري (قصيدة : في ظلال كرمة ابن هانئ) ثم ختم الحفلة صاحب الفخامة محمد علي بك العابد المعظم بكلمة تلاها عنه سعادة الدكتور نجيب بك الارمنازي رئيس الغرفة الخاصة وبعد ذلك وقف صاحب السعادة محمد سري بك قنصل المملكة المصرية في سوريا ولبنان فالقى كلمة شكر وها نحن ننشر الخطب والقصائد حسب الترتيب :

❊ خطاب صاحب الفخامة محمد علي بك العابد ❊
« رئيس جمهورية سورية المعظم »

أيها السادة

دلت الأمة السورية بما قامت به من إظهار عواطفها يوم فقدها أعظم شعراء العرب احمد شوقي بك على قدرها عظماء الرجال أقدارهم ، وانها لا تبكي من المحسنين الا من تعدى إحسانهم الى الجماعة . واي احسان أعظم من احسان شوقي حسّان هذا العصر .

ليست الفجيعة بامير الشعراء خاصة بمصر ، بل خطبه خطب كل ارض عربية ، لان شعره كان من الشعر الشريف بمقاصده ، يدعو الناس فيه الى الخير ، ويجمع بحكمته الاهواء المتفرقة . وبه طالما أدب وأطرب وأعجب ، وتنطوي كل نغمة من نغماته على ما يأخذ بمجامع القلوب والعقول .

أذكر لشوقي منقبتين في جملة المزايا التي تحلى بها : غرامه بصناعته ، وتفانيه باتقانها . عرفت منه هذا يوم كنا في سن الطلب نتلقى العلم في معهد واحد في باريز ، وكنا على اتصال وثيق على ما يكون الترب مع تربه . وكان من رفاقنا من يعترض على شوقي لصرفه الأوقات في نظم الشعر ، ولكن الشاعر العبقري ما كان يبالي بالاعتراض ، بل هو على الدوام يتقن شعره ، ويدرس ويمعن في درسه . وما كان يخطر بالبال ان هذا الفتى المصري الذي كان يتلهى بالشعر في صباحه ومسائه ، يحمل بين جنبيه شاعراً ستطبق شهرته الشرق والغرب . وتبكي لنبوغه اليوم الشعوب العربية جمعاء ، لأنه أرواها من منهل بيانه العذب نحو خمسين سنة ، وعلمها من علمه ما لم تعلم ، وأسمعها وتراً جديداً وتلحيناً غريباً ، فكان في عمله المجد الخالد له ولأمته .

كلف شوقي بالشعر وكلف بتجويده ، وبثقافته العالية التي تلقاها في مصر وفرنسا ،

وبطول تجاربه وبعد نظره ، شرّف فنه كل التشريف ، وكان كثيرون ينظرون الى الشاعر نظرهم الى طالب عطاء لاشأن له الا ان يعيش من الصدقات لامن كدّه وجدّه .

ولقد كان من ظهور مثل محمود سامي باشا البارودي واسماعيل باشا صبري اول المجددين لحياة الشعر بمصر ثم نبوغ شوقي وحافظ ، ان دخل الشعر في طور جدّ حببه الى القلوب . وما غزل الشعراء المحدثين وفي طليعتهم شوقي الا صورة أخرى غير الغزل الذي كنا نستظهره ايام الصبا . وكذلك مديح شوقي هو غير تلك الاماديح المعهودة لانه يرمي الى غاية نبيلة ، منها بعث الهمم الخامدة ، ونهج طريق الخير للعالمين ، وهكذا يقال في جميع أوضاع شوقي وموضوعاته .

ما أظن بيننا احداً لم يطرب لقصيدة شوقي التي يقول في مطلعها :

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

هذه القصيدة الفريدة التي رواها ووعاها كل من يحب الشعر والموسيقى ، نظمها شوقي في باريز ، وهو في التاسعة عشرة من عمره . فان كان في تجويده الشعر على هذا الطراز وهو فتى يافع ، فالى اين يا ترى بلغت به مواهبه السامية ، وماذا فتحت عليه قريحته الوقادة في دوره الاخير ، وكان كل يوم يتعلم ماينبغي للشعر ، وهو ابداً يبالغ بالتأنق في معانيه ومبانيه . وليس من المستغرب بعد ذلك ان أقبلت عليه الدنيا ، فعاش بجده مرفهاً منعما ، ومات عزيزاً مكرما .

نعم كان شوقي مغرماً بالشعر ، مغرماً باتقانه ، وهذا ماتمناه لابناء بلادنا ، بل يتمناه كل وطني يهتم لارتقاء أمته . نتمنى ان يحب كل انسان صناعته حباً جمّاً ، ويجد في إتقانها حق الإتقان . علماً منا بانه متى كثر مثل هؤلاء الأفراد في كل قوم فهناك السعادة ، وهناك النعمة ، وهناك الحضارة ، وهناك الخير كل الخير للبلاد وساكنيها . ولا راحة قليلة الا بعد تعب كثير ، وما كان الخامل كالعامل ، ولا الجاهل كالعالم والله لا يضيع عمل عامل .

ومن الغريب في سيرة شوقي انه ظلّ على الإجادة الى آخر ايامه ، ما غيرت السنون من رواء شعره ، بل زادته متانة ورقة ، خلافاً لعادة أكثر الشعراء في الدهر الغابر والحاضر . فقد رأينا الشاعر الافرنسي كورنيل يضع في شبابه أجمل رواياته التمثيلية ،

وبها خلد اسمه في تاريخ الآداب الفرنسية ، مثل رواية السيدواوراس وسينا وبوليوكت .
وللماشاخ شاخ شعره ، وحاول ان يضع روايات أخرى ، فلما أخرجها للناس لم يكن لها ذاك
القبول الذي كان لقصصه في الشباب . هذه هي القاعدة المطردة في الشعراء على ما أري
أما نابغتنا فشذ عنها ، وابدع وامتع .

شوقي ياسادتي مثال مجسم من النبوغ الشرقي ، نكبر فيه عنايته بصناعة الشعر ،
وجعله منه أداة للنهضة ، وسبيلاً الى التهذيب والتربية . وانا لنرجو ان يكون لأمتنا
من تراثه الثمين ماتستعين به على تعليم ابنائها وبناتها ، واذا فجعنا بفقد الرجل الخالد فعزاؤنا
فيما تعلمناه من أدبه ، وفيما ستتناقله الايام من أدبه ونظمه ، ويدعو كل عربي
لصاحبه بالرحمة .

﴿ حياة احمد شوقي ﴾

«للاستاذ محمد بك كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي»

حدثني امير الشعراء احمد شوقي بك ان اصل جده لابيه وجد العلامة احمد تيمور باشا من اكراد الجزيرة ، هبطا مصر في سن الصبا يحملان وصاة من احمد باشا الجزار والي عكا الى محمد علي باشا والي مصر فضمهما الى جملته ، وابانا عن ذكاء ومضاء وامانة فنبلا ونسلا . وجد والدة شوقي تركي الجنس اسمه احمد بك النجده‌لي (ولعله النيكده‌لي) جاء من الاناضول فاستعمله والي مصر ابراهيم باشا في حكومته ، ثم زوجه بمعتوقته تمراز وهي يونانية أسرتها الحملة المصرية من بلاد المورة ، وكانت في العاشرة من عمرها ، ونشأت في القصر العلوي وكان لها بأخرة مكانة بين اهله . وتمراز هي التي كفلت شوقي فأحسنت كفالته ، وكان لها اثر في تخريجه ، ولما مضت لسبيلها في التسعين من عمرها رثاها شوقي وندبها . ويقول شوقي عندما ترجم لنفسه انه عربي تركي يوناني چركسي بجدته لابيه ، اصول اربعة في فرع مجتمعة تكفله لها مصر كما كفلت ابويه من قبل فهو من حيث دمه سامي آري يافثي .

ولد في القاهرة في سنة ١٨٦٨ في بيت عز ونعمة ، ولما ترعرع دفعه ذووه الى الكتاب ولم يتجاوز الرابعة ، ومنه انتقل الى المدرسة الابتدائية فالثانوية ، وتخرج في العلوم العربية باستاذه الشيخ حسين المرصفي صاحب الوسيلة الادبية ، ثم التحق بمدرسة الحقوق فدرس سنتين ، ودرس فن الترجمة فأحرز شهادتها . وكان في خلال الدراسة ينظم بعض القصائد في مدح الخديوي توفيق باشا فنحه مشاهرة حتى يتم تحصيله ، وارسلته الحكومة المصرية الى فرنسا يحكم الحقوق ويطلع على ادب الفرنسيس . ولما رجع الى مصر عين رئيساً للقلم الافرنجي في ديوان عباس حلمي باشا الخديوي السابق ، وظل في هذا المنصب حتى نشوب الحرب العامة فارادته السلطة الانكليزية على الخروج من مصر فاختار

المقام في اسبانيا ، وعاد الى القطر عقبى الهدنة لينصرف الى ادارة املاكه ، وفي سنة ١٩٢٤ عين عضواً في مجلس الشيوخ .

هذا شوقي من حيث المادة ولم يرزق مالم يصل اليه غيره ، فان مئات من الشبان مثله يدخلون المدارس ، ويستمتعون بطيب العيش ، ويعنى اهلهم بتربيتهم ، ويعاشرون ارقى الطبقات ، وتدر عليهم الدنيا اخلاف الرزق ، ويشرفون بالرتب والمناصب والاوسمة ، ولكن لا ينبغون كشوقي ، ولا يعملون عمله ، ولا يخلدون خلوده . ذلك لان الفاطر اودع فيه سراً لم يودعه غيره من ابناء العربية ، وخلقه شاعراً استجمع ادوات الشعر . واستوفى اسباب محاسنه ، وصعبت مساماته في اخيلته البديعة وبيانه الرائع .

لم يخرج شوقي على اساليب العرب وقوالبهم في شعره ، بل رعاها كلها وحرص على احيائها ، وزاد في موضوعات الشعر بابتداع المعاني الجديدة في قصائد مديحه ، وفي تشبيبه يطالع الناس بطريف من القول ، ويلبس الشعر حلة العصر ، وقد نقل لأول امره قصصاً منثورة ماعلت كثيراً عن مستوى القصص المتعارفة باسلوبها وبلاغتها . ثم الف واحتذى حكايات للاطفال فاستجادها الناس واستظهرها فتيان المدارس .

واعتذر عن نظم المديح فقال انه لم يجد امامه لأول نشأته غير دواوين للموتى ، لامظهر فيها للشعر ، وقصائد للأحياء يحذون فيها حذو القدماء ، والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر الا ما كان مدحاً في مقام عالٍ ، ولا يرون غير شاعر الخديوي صاحب المقام الاسمى في البلاد ، فما زال يتمنى هذه المنزلة ويسمو اليها مخلصاً في حب صناعته ، صائناً لها عن الابتذال حتى وفق الى ماأراد . ولذلك أنفق معظم مديحه في الخديوي عباس ، ووفى له وهو صاحب الشأن الاول في مصر ، فكان يوالي من والاه ويعادي من عاداه ، وكذلك كان على الوفاء له بعد ان اعتزل الحكم . وقد نظم قصائد في حسنات محمد علي واسماعيل والسلطان حسين كامل وجلالة الملك فؤاد الاول الى غيرهم من آل محمد علي ممن لم يجد حرجاً في التنويه بهم ، وأشار الى اعتزازه ببيت محمد علي بقوله :

أأخون اسماعيل في ابنائه ... ولقد ولدت بباب اسماعيلا
ولبست نعمته ونعمة بيته ... فلبست جزلاً وارتديت جميلا
ووجدت آبائي على صدق الهوى ... وكفى بآباء الرجال دليلا

وقال في مدحه احد أعيان القبط دفاعاً عن مذهبه في الاشادة بالمناقب :

يظهر المدح رونق الرجل الما جد كالسيف يزدهي بالصقال
رب مدح أذاع في الناس فضلاً وأتاهم بقدوة ومثال
وثناء على فتى عم قوماً قيمة العقد حسن بعض اللآلي
انما يقدر الكرام كريم ويقيم الرجال وزن الرجال

وفي الحق ان أماديح الشاعر انطوت كعامة موضوعاته على حكم وأغراض اجتماعية وأخلاق وتربية ، واشارات تاريخية وفلسفية وأدبية . أما المسائل الوطنية الكبرى التي تستهوي قلوب الناس ، فما كان يخوض عبابها الا بالقدر الذي لايخرجه عن الرسميات ، لأنه كان مضطراً بحكم عمله ان لايحرج مقام مولاه مع المحتلين ، ولا يقول الا ما يروقه من عامة نواحيه . وكان محيطه وهو من عمال البلاط الخديوي مشبعاً بروح الرسميات ، وهو على اتصال دائم بالاجانب من رجال السياسة والمال والأدب والفن ، فحذق بذلك مداخل السياسة ومخارجها وأوامرها ونواهيها . وغريب في شاعر هو أسير خياله والهامه في ليله ونهاره ، ان يخضع مختاراً لهذه القيود والتقاليد ، ولكنه لو لا ذل الخدمة أعواماً طويلة ما ذهب الشاعر بهذا العز ، والعز في الشرق ينبعث عن طريق صاحب السلطان ، والناس لا يرون فوق ذلك مظهراً .

ثم ان اتصال مصر بالصلة الرسمية مع السلطنة العثمانية ، وغرام المصريين يومئذ بالعثمانيين والخلافة ، دعا الشاعر الى ان ينظم عدة قصائد في مدح السلطان عبد الحميد الثاني ، كما مدح بعض الأعيان ممن كانت لهم صلة به ، او منزلة في المجتمع أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وعبد الخالق ثروت ، وان لم يشاركهم في دعاياتهم وأحزابهم ، بل كانت مشاركته لهم في مصريتهم وقوميتهم فقط . وكان من دواعي التنويه بهم مجاراة الرأي العام . وقد يجيش صدره في موضوع ويرده عن وروده حوضه مقامه في الدولة ، كما وقع له ان قال من قصيدة يخاطب بها قبط مصر ، يوم هاجوا لمقتل احد رجالهم بطرس غالي باشا ، فقال يخاطبهم وهو مما لم ينشره في حياته :

بني القبط إخوان الدهور رويدكم هبوه « يسوعاً » في البرية ثانيا
حملتم لحكم الله صلب « ابن مريم » وهذا قضاء الله قد غال غاليا

ومنها :

قضاء ومقدار وآجال انفس اذا هي حانت لم تؤخر ثوانيا
نبيد كما بادت قبائل قبلنا ويبقى الأنام اثنين : ميتاً وناعيا

ولقد صان شعره عن الهجر والهجو فعد ذلك من مفاخره . وذكر مظالم عون الرفيق امير مكة لان المسلمين ضجوا من ادارته ، وعدد سيئات حكم لورد كروم بعد ماغادر مصر وذكر حادثة دنشواي ، وما حاول محاربة الظلم مباشرة ، ولا جابه أعداء المجتمع مجابهة ، ولو صحت نيته على الضرب بسهم في هذا الضرب من القريض ، لما عدم كل يوم عن يمينه وشماله ، أمثلة يطيش لها حلم الحليم ، ويضيق بآلامها صدر الحكيم ، هذا وهو المتجائل في كل فنون الشعر ، المجلى في معظم حلباته .

د ــ من أوائل قصائده التي خرج بها عن مألوف الشعراء ملحمته التي ألقاها في المؤتمر الشرقي في جنيف عام ١٨٩٤ وكان مندوباً فيه عن الحكومة المصرية ، اتى فيها على تاريخ وادي النيل منذ عرف الى اليوم ، وضمنها حكماً وعبراً وسياسة ، ومنها قصيدته الكبرى نهج البردة التي مدح بها الرسول على طريقة البوصيري وعرض فيها لما صح من معجزاته وآياته بأسلوب عصري خال من الشوائب . ومن قصائده ملحمته في وصف الحرب العثمانية اليونانية . ومن بدائعه سينيته في الاندلس التي عارض فيها سينية البحتري في وصف إيوان كسرى ، ومنها قصيدته [illegible] في معارضة قصيدة ابن زيدون المشهورة الى ولادة ، وموشحته في صقر قريش [illegible] نسج فيها على منوال الموشحات الاندلسية . وكثيراً ما كان يتحدى [illegible] الشعراء [illegible] . وله عشرات من القصائد في موضوعات [illegible] واجتماعية وخلقية مثل الهجرة النبوية ، توت عنخ آمون ، ذكرى [illegible] اياصوفيا ، على سفح الاهرام ، [illegible] أنس الوجود ، طوكيو ، [illegible] على قبر نابليون ، الاندلس الجديدة ، [illegible] به كبريات حوادث [illegible] التركية ، ومدح [illegible] مصطفى كمال باشا بثورته

فلما قضى على الخلافة تأثرت نفسه فعاتبه ، وهنأ انقره ان اصبحت عاصمة وكان معجباً بفروق ، ولطالما ردد آيات جمالها . كل اولئك تغنى به وندبه ، بنفس طويل وابداع غير قليل . وتراه على الغالب يرسم الصور الجميلة ، ويترك لغيره ماوراءها ، علماً منه بان الشعر شعر مهما حمل من الحقائق ، ويغتفر للشاعر مالا يغتفر للناقد المؤرخ . ولو تم لشعره ان نقل الى احدى لغات العلم الحديث نقلاً صحيحاً لسقط فيه الغربيون على ابتكارات وغرائب قد تروقهم ، كما راقهم ديوان عمر الخيام لخروجه على المألوف واتيانه بالجديد احياناً .

قال بعض من ترجموا لشوقي انه تحامى الدخول في بعض المسائل الاجتماعية الكبرى من مثل مسألة المرأة ، فلم يرسل عنان فكره في اصلاحها ولم يمعن في نصحها وارشادها ، بل شفق عليها لما رأى بعض أغنياء مصر يتزوجون في سن عالية فتيات الاستانة يطمعون بالمال على غير كفاءة بين الزوجين ، ويترك المصري زوجه واولاده . ولعله ازاد ان لا ينغص على المرأة عيشها ، وحافظ على عادات لا يرى الاقتراب من نزعها ، وابقى هذا الموضوع للزمن يختمر في رأس غيره ، فيواجه وحده صعابه ، وليس من المحتم على كل شاعر ان يعاني كل شأن من شؤون العالم ، على ان جريدة اعماله في الشعر طويلة ، ربما كان يحسن اختصارها ايضاً ، ويضاف الى هذا ان المعروف من خلقه التلطف مع كل احد ، فلا يرى ازعاج غيره ولا نفسه ، بل يكتفي بأن يعظ وينصح ويسلي ويطرب .

لاجرم ان الشعر انقاد باعنته لشوقي . واسلس له قياده اي اسلاس ، وما كان يعجز عن إلباس كل معنى اللباس الذي يحاول ان يكسوه به . وهو نسيج وحده غير مدافع ولا منازع ، وقد سهلت عليه منافذ النظم ، بقدر ماثقف من ادب القدماء ، وجنى من تراكيبهم واحيى من الفاظهم ، وما لقف من علم المحدثين ، وأخذ من معانيهم وأغراضهم .

ومن اهم ماعاناه شوقي بعد عودته من الاندلس ، وقد تحرر من رق عمله ، ونامت فيه النزعة السياسية قليلاً ، تأليف روايات مسرحية صنف بضعاً منها بشعره المرقص واسلوبه الرقيق ، ليكون في العرب بمثابة شكسبير عند البريطانيين . ونظم مقاطيع في الغزل مؤنثه ومذكره ، وجرى تلحينها لخدم بها الموسيقى ، وأُدخلت في اسطوانات الحاكي ، فسمعها ووعاها ابن القاصية والدانية . وهذا مما لم يكتب لشاعر عربي قبله . واثبت بقصصه ومقاطيعه وملاحمه ان اللسان العربي بل الشعر العربي لا يضيق ذرعاً بكل المعاني والصور القديمة

والحديثة ، وانه يصلح لأكبر الملاحم صلاحه للابداع في البيتين والثلاثة ، على شرط ان يكون الشاعر متمكناً من لغته ويتسع له أفق النظر بما تلقفه من المعارف اللازمة . ولقد خدم برواياته المسرحية فن التمثيل ، وبمقاطيعه الملحنة خدم الموسيقى ، وبجمال خياله ، واشراق ديباجته ، وانتقاء الفاظه ، برز على كثير من المشار اليهم بالبنان من القدماء .

هو يرتجل الشعر اذا أراد ، ولكنه يؤثر ان يجوّده قبل ان يخرجه للعالم ، ويختار للنظم في العادة الهزيع الثاني من الليل ، وقد رقدت العيون وعم السكوت والسكون ، كأن الزهرة ربة الجمال لا تتجلى له فتملي عليه الا في تلك الساعات الهادئة . ويقول فيه صديقه وعشيره خليل مطران بك انه ينظم بين أصحابه ، فيكون معهم وليس معهم ، وينظم في المركبة وفي السكة الحديدية ، وفي المجتمع الرسمي ، وحين يشاء وحيث يشاء ، ولا يعرف جليسه انه ينظم الا اذا سمع منه بادئ بدء غمغمة تشبه النغم الصادر من غور بعيد ، ثم رأى ناظريه وقد برقا ، وتواترت فيهما حركة المحجرين ، ثم يبصُر به وقد رفع يده الى جبينه وأمرّها عليه إمراراً خفيفاً هنيهة بعد هنيهة فاذا قوطع في خلال النظم انتقل الى أي حديث ، يباحث فيه حاضر الذهن صافيه ، جميل البادرة كعادته في الحديث ، ثم استأنف ذلك المنظوم ولو بعد ايام طوال ، وعاد اليه كأنه لم ينقطع عنه مستظهراً ما تم منه ، حافظاً لبقية المعنى الذي يضمره ، يكتب القصيدة بعد تمامها وربما نسيها شهراً ، ثم ذكرها فكتبها في جلسة واحدة .

وقال انه يكلف أحياناً بمعارضة المتقدمين ولا يندر عليه ان يبذّهم ، لا يجهد فكره ولا يكده في معنى أو مبنى ، فأما المعنى فيجيئه على مرامه ، أو على أبعد من مرامه ، ولا ينضب عنده ، لانه يستخلصه من عقل فوار الذكاء ، ومعارف جامعة الى أفانين الآداب في لغات الافرنج والعرب : فلسفة حقوق ، حقائق التاريخ ، وغرائب السير التي يحتفظ منها غير يسير ، الى مشاركات علمية ، وتنبيهات فنية ، استقاها من مطالعته صنوف الكتب ، واتخذها من ملحوظاته ومسموعاته في جولاته بين بلاد الشرق والغرب . وأما المبنى فله فيه أذواق متعددة بتعدد مقامات القول ، ترى فيه من نسج البحتري ، ومن صياغة أبي تمام ، ومن وثبات المتنبي ، ومن مفاجآت الشريف الرضي ، ومن مسلسلات مهيار ، وفي المجموع تجد صفة عامة للنظم ، وهي انه من نظم شوقي ، ذلك شعر العبقرية والتفوق .

ومن جميل بديهته المطواعة ما شهدته منه ليلة تكريه في المجمع العلمي العربي ، فقد نظم قصيدة ثم أبطلها لانه ماارتضاها ، ونظم في الحال غيرها بمحضر من أصحابه في دار فخري بك البارودي ، وأجمع العارفون بالشعر انه لم تمدح دمشق بمثل هذا اللسان ، ذلك لان الشاعر مدحها بل رثاها ، متأثراً بغابرها وحاضرها فبكى واستبكى . وقصيدته في الثورة التي خاطب بها دمشق وقصائده في لبنان تذوب كلها عذوبة وسلاسة ، سارت في البلدان على كل لسان . ومن أمعن في شعره المنشور المتداول ، يوقن ان شوقي كان يحب الشام كما يحب مصر ، ويعشق الترك كما يعشق العرب ، ويعطف على المسيحيين كما يعطف على المسلمين ، ويعجب بالمدنية الغربية كما يعجب بالمدنية العربية ، ويحنو على الانسان والانسانية ويدعو باعتدال الى الكمال ، ويردد ابداً ذكرى الاسلام والمسلمين ، وعلى معظم قصائده تتجلى مسحة جميلة من هذا المعنى تستهوي أفئدة الخاصة والعامة .

نشر شوقي خلال هذا العام كتاباً في النثر أسماه « أسواق الذهب » جرى فيه على نمط « أطواق الذهب » للزمخشري و « أطباق الذهب » للاصفهاني وقصد من تقليدهما في كتابيهما باسمها ورسمها ، ان يقول انه عزّ عليه ان يقطع مع عهد الأسجاع ، وشاء ان يقول وها كم أكبر شعراء العصر يقوم على احتذاء مثال الاقدمين في منثورهم ، بقصره على الحكم العملية الجليلة لا على الزهد المضعف للنفوس ، وأكثر سجعات هذا السفر مرصعة موزونة ، ومنها ما جاء شعراً مقفى على غير قصد ، ومنها ما جاء مع الطبع وعفو الخاطر وهو قليل ، وأجمل ما في أسواق الذهب هذا الجزء اللطيف من حكمه المرسلة التي أوردها في آخره وفيه زبدة تجاربه وعنوان أدبه البارع .

وهناك ظاهرة غريبة في معاناة شوقي للشعر ، وهو انه بقي يجيده ايام الهرم على نحو ما كان يبدع هذا الابداع النادر في كهولته وصباه . ومن العادة ان ينقطع الشاعر في الشيخوخة عن قول الشعر ، اما نابغة الشعر العربي فكان على مثال بعض المعمرين من شعراء الافرنج أمثال كيتي وهوغو ممن بلغوا سناً عالية وظلوا ينتجون أجمل إنتاج ، وما عاقتهم مراحل الأعوام التي قطعوها عن السبق في مضمار الإجادة ، بل كأن الشيخوخة فتحت أمامهم كل مغلق من أبواب القريض ، فصار نظمه طبيعة ثانية فيهم ، وكلما أسنوا عرفوا كيف يصلون به الى مراتب الإحكام والإطراب .

لاحظت عيون السعادة شوقي منذ صغره إلى ان شبّ وشاب، فما اهتم منذ وعى على نفسه بشيء من هموم الدنيا : أضاع والده ثروة جده فعاش شوقي مع هذا موسعاً عليه ، تفتح أمامه الطرق الصعبة بذكائه ولطيف حيلته ، وقد بسمت له الدنيا فارتاش وأثرى . وقل ان كتب لشاعر عربي في المحدثين والأقدمين مثل غناه ورفاهيته ، اللهم الا مايروى عن بعض شعراء الانكليز وكتابهم اليوم وعن طاغور شاعر الهند . وفي القصر الفخم الذي بناه في الجيزة ودعاه كرمة ابن هانئ مثال من هذه النعمة السابغة . قال المنصور لمن استنجحه (البلاغة والغنى اذا اجتمعا لامرئ أبطراه) بيد ان شاعرنا لم تبطره ، وعرف كيف ينفقها .

وكان على نعمته صاحب ترتيب في كسبه وعطائه ، يحاسب غريمه حساباً مدققاً ، وينزل عن مال كثير ينفق على الادباء والشعراء وأرباب البؤس . وقد رأيناه مع شدة حرصه على خدمة الفن حباً بالفن ، لم تسمح نفسه ان يتساهل مع مديري الجوقات فأغلى ثمن رواياته المسرحية ، وتقاضاهم أكثر ما يكون من أجر ، ليعلمهم — كما قال لي بصراحة — احترام الأدب فيؤدوا لأهله بعض قيم قرائحهم ، وكانوا من قبل يعيشون بهضم حقوق المؤلفين . ومن شدة كلفه بالبلاط أحب ان يستأثر بهذه الخدمة لا يشاركه فيها أحد ، ولذلك حاول ان يحول بين البلاط وبين من أراده أو أراد التقرب منه .

تمتع شوقي بطيب العيش طول عمره ، وتهنأ بالنعيم فلم يفلت منه شيئاً ، وتذوق مباهج الحياة تذوق شاعر عملي قدّر له ان يحقق الخيالات ، ويجعلها قيد حسه ، دانية من نظره . وأحسن الانتفاع بشعره ، ونهج السبيل للعرب ليعجبوا بما يقول ويتداولوه ويتدارسوه . وأكثر نقّاد الشعر ورجال العلم باللغة والأدب وفي مقدمتهم أستاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري ، يجمعون على انه لم يقم بين أبناء العربية منذ عهد المتنبي والبحتري وأبي تمام ، أسلم ديباجة ، وأمتن لغة ، وأرق عاطفة ، وأجمل خيالاً ، وأشرف منزعاً ، من شاعري مصر في هذا العصر شوقي وحافظ ، أجزل الله ثوابهما .

وصف الأمير شكيب أرسلان شعر شوقي الذي كان بشعره خلال خمسين سنة مجداً للشعر والعرب والشرق فقال :

يتمثل العصر الحديث بشعره   حق التمثل من جميع جهاته

ولرب بيت يستقل بجملة — تغني عن التاريخ في صفحاته
لم يفتتن من عصره بمساوئ — كلا ولم يغمطه من حسناته
ما حلّ بالاسلام حيف مصيبة — إلا وكان بها لسان شكاته
كانت قصائده هي الصوت الذي — سرّى عن الاسلام ثقل سباته
بعثت به روح الحياة كأنها — هي صور إسرافيل في زعقاته
قد كان أدرى الناس بالداء الذي — قد حط هذا الشرق عن صهواته
داء هو الاخلاق في اضمحلالها — فلذا ترى الاخلاق رأس وصاته
أشعاره تحيي وتحيي أمة — تجد الحياة الحق في كلماته

﴿فجيعة العرب بشوقي﴾

«وإمارة شوقي على الشعراء»

— للاستاذ فارس بك الخوري —

كلما يذكر أخبار تلك الحفلة التاريخية التي شهدها منذ بضعة أعوام في مصر القاهرة نخبة مختارة من أدباء العرب وشعرائهم وعقدوا فيها لواء إمارة الشعر لأحمد شوقي وكيف تلقت الأقطار العربية هذا النبأ بالغبطة والارتياح .

واذا كانت فئة قليلة من أعلام الأدب العربي في مصر والعراق والمهجر قد انكروا هذه البيعة وزعموا ان الرجل غير اهل للمنزلة العاليـة التي بوّأه إياها فريق من أصدقائه المعجبين بشعره فان القطر الشامي كان باجماع حملة الأقلام فيه موافقاً على إقامة احمد شوقي اميراً للشعراء ومقراً له بالجدارة والاستحقاق لاحتلال هذا المقام الذي لم يكن بين شعراء العصر من يجرأ ان ينازعه إياه أو يزاحمه عليه . كما كان المعارضون أنفسهم يقفون واجمين عندما يقال لهم إيتونا بمن هو أجدر منه ان كنتم صادقين .

وكأن تلك المشاغبات الخفية والأصوات الضعيفة التي كانت تسمع بين حين وحين من الناقدين الناقمين كان لها عند شوقي ما يكون لمثلها عند أصحاب النفوس الكبيرة والأخلاق النبيلة فلم يقابلها بالجدل العقيم والنقاش الذميم ، ولا تصدّى لنقد شعر خصومه، وتفنيد مزاعمهم ، ولا عمد الى المشاحّات والمهاترات بل اتخذ من الشعر وسيلة ناجعة ليحج المكابرين ويقنع غير القانعين بانه صـاحب الحق البارز بإمارة الشعر ، فكان يطلع على الناس كل يوم برائعة جديدة من روائع قريضه ، ويقيم لهم حجـة أصرح ودليلاً أوضح على انه أمير الشعراء غير منازع ولا مدافع ، يريهم غبـاره ويدعوهم للحاق به ، ان كانوا يريدون النضال حتى بلغ ما جادت به قريحته الفياضة في خمسة أعوام بعد البيعة أضعاف ما أنتجته في الأربعين عاماً قبلها . وأخذت أصوات الإنكار تخف وتتلاشى حيال تلك

الحملات الجبارة والكرات القهارة التي توالت بلا فاصلة وفي كل منها من نفاسة الأسلوب وبدائع الإبتكار مما لا يدع مجالاً للمكابرة والإنكار ، خرج شوقي من المعركة ظافراً وعاش هذه السنوات الأخيرة من حياته المباركة وهو متربع في دست الامارة بلا منازع مستوٍ على عرش الأدب العالي محاط بالتكريم والإجلال .

لماذا اجمع العرب في هذا العصر على تلقيب شوقي باميرالشعراء ، ولماذا خصوه به دون غيره من فحول القريض ؟

انظروا الى الشعر العربي قبل هذا العصر وما كانت اهدافه واغراضه . هل كان فيه غير المديح والرثاء والنسيب والهجاء والفخر والدعاء .

انه كاد يكون خالياً من غاية التعليم والارشاد ، وتنبيه الامة الى مواطن الضعف في عاداتها واخلاقها ، واحياء النعرة القومية في نفوس ابنائها ، وتوجيه ميول الشعب نحو الوحدة العربية واصلاح الفاسد من المناهج الاجتماعية ، وقلما تجد فيه شيئاً من الاغراض السياسية العالية الرامية لاستنكار الظلم والتحريض على الطغاة الظالمين ، ودعوة الامة للنهوض من كبوتها ، واليقظة من غفلتها ، وتذكيرها بامجادها الغابرة ، ومفاخرها العابرة . الى ان جاء عصر شوقي وهو في طليعة حملة اللواء يبعث في العرب روح الحرية ، ويدعوها الى ماهي بحاجة اليه من فك القيود ونفض غبار الجمود واعداد العدة لهذا الكفاح العمراني الصعب المراس ، فكانت قصائده السياسية والاجتماعية اشدحافز للعرب للتنبيه الى مايكاد لهم ، والاستعداد لاحباط مايراد بهم .

وكان الأدب العربي خالياً من الشعر القصصي خلواً ينكره علينا ناقدو الغرب الى ان جاء شوقي وسدّ هذه الثلمة فوضع قصة كليو بترا ومجنون ليلى وعنترة باسلوبه الرائع ، واستن لشعراء العرب سنة حسنة رفعت الشعر العربي الى المستوى الموفور الجانب .

فلا ريب اذن ان البيعة التي احرزها شوقي بالحق والانصاف لاتنحصر بالامارة على الشعراء المعاصرين ، بل تتعداها الى من سبقهم في العصور الماضية . فبعد ان استقامت له هذه الامارة على شعراء القرن الرابع عشر للهجرة لاغرو في امتدادها الى شعراء القرون السالفة ، اذأن هذاالعصر الذي عاش فيه شوقي قدازدهرت فيه دولةالادب في المنظوم والمنثور ازدهاراً لم تعهد له هذه اللغة مثيلاً في تاريخها الماضي ، بما اغدق عليها من شيق النثر والشعر

في الاجتماعيات والآداب والفنون وسائر ضروب معايش الناس حتى اذا دعوناه عصر اللغة الذهبي لانكون مغالين ٠

لااظن احداً يرتاب في حقيقة التفوق الذي احرزه شعراء هذا القرن على شعراء الف سنة قبله اذ ان الشعر العربي منذ مطالع القرن الخامس للهجرة بدأ فيه عهد التراخي والانحطاط في مهبط متدارج، الى ان تولاه الجمود واذعن لعوامل الاندراس التي اجتاحته بضعة قرون لم يظهر فيها الا نزر يسير من المقلدين الضعاف في مذاهب التصوف والمدح والنسيب ٠وبعد ان انصرم عهد ابي تمام والمتنبي والبحتري والشريف الرضي وابي العلاء المعري لاتعود تعثر في تاريخ الادب العربي على أثر للنمو والتجدد الذي هو علامة الحياة ، بل تستشعر التقهقر والتدني نحو الفناء حتى مطلع هذا القرن الرابع عشر حين بدت بوادر النهضة الادبية الحديثة وكان شوقي مرافقاً لها ومستفيداً من بواعثها السياسية والاجتماعية وحاملاً لواءها في مقدمة الناهضين بها حافظاً لنفسه الزعامة فيها الى ان لبى دعوة ربه ، وهي في أعلى مرتبة عرفها لها مؤرخوها ٠

اكثر الرجال في هذا الشرق العزيز يبلغون قنة مجدهم ويتكبدون سماء ازدهارهم في عهد شبابهم وكهولتهم ، ويندر بينهم من يستمر في شوطه صعداً الى دور الشيخوخة والهرم ٠ خصوصاً اذا بلغ الدرجة العليا فوق اقرانه في سلم ارتقائه ، فيتولاه الكسل ولا يعود يرى به حاجة للجد والعمل ، بعد ان أقر له الناس بالتفوق والنبوغ ٠ ومن أحرز البطولة الاولى في امر ما يبدأ دور تقهقره بما يستولى عليه من الفتور بعد بلوغ الغاية على حد قولهم :

اذا تم شيءٌ بدا نقصه توقع زوالاً اذا قيل تم

اما احمد شوقي فقد افلت من هذا القيد ، وشذ عن هذه القاعدة ، وبقيت همته في صعود وقريحته في نهوض ، غير مبالية بهبوط قواه الجسمية ، وتداعي صحته الغالية ، وغير مغرور بلقب امير الشعراء ، ولا متوان عن اقتحام المشاريع الشاقة بتأليف الروايات الشعرية الكبيرة على اسلوب لم يسبقه اليه احد من شعراء العرب الاولين والآخرين ٠ وهذه معجزاته التي انتجها ذهنه الوقاد بعد الستين تملأ دفات الدواوين وتبعث حياة جديدة في مسارح التمثيل وقاعات الغناء ومجالس الطرب ومحافل الحكمة والأدب ٠

لو ان غيره احرز هذه المرتبة ربما كان اكتفى بها ، فحطم بعدها اليراع ، واخلد الى

الراحة والدعة ، ونام على الثقة التي نالها بجدارة واستحقاق ، ولكن شوقي رجل الجد والطموح ، ومثال العزم والاقدام ، يوم اقر له الناس بامارة الشعر ، أقرلهم بالواجب المحتوم عليه ليبقى مستحقاً لهذا اللقب وجديراً بالاحتفاظ به ، فكان بعد بلوغه السدة اكثر نشاطاً واجرى بياناً وافعل سحراً منه قبل ان يبلغها ، واضاف الى مجموعة الشعر العربي هاتيك التحف النفيسة التي سدت فراغها ، وشغلت الخالي من رفوفها .

منذ عهد حسان والشعراء يزورون دمشق ، وينعمون باكرام اهلها وحفاوتهم وتقديرهم لاعلام الادب ، كما ان هذه المدينة الخالدة كانت ومازالت منبتاً طيباً لجهابذة المنظوم والمنثور في كل عصر ، ولكننا لانجد شاعراً غير شوقي خصها بالقصائد الخالدة ، والبسها من نتاج خياله العالي حللاً ابقى على الدهر من جنائنها وغياضها . لو جمعنا كل ماقيل في دمشق في هذه القرون الاربعة عشر لماوجدناه يقاس بمقطع واحد من نونية شوقي أو قافيته في وصف امجادها ، واستعراض تاريخها ، وايقاظ الهاجع من إباء سكانها ، ونخوة ابنائها . فهو قد اضاف الى خلودها في مطاوي التاريخ خلوداً آخر في صفحات الادب العالي والقريض الباقي ، وكان له من العطف على هذا القطر الشامي العزيز ، والحب لارجائه وقطانه ، ماجعله بعده وطناً ثانياً ويحله من نفسه في مستوى واحد مع وطنه الاول . فاذا اكبر العرب المصاب بمصرع شوقي فبلاد الشام بعد مصر اولاهم بهذا الاكبار ، واجدرهم بعرفان جميله وتخليد ذكراه بين حنايا الصدور .

يتهامس الناس في من يكون خلفاً لشوقي ويلقب بعده باميرالشعراء ، فهل اخلى شوقي مكانه ليحتله امير آخر ، ان امارة الشعر ليست منصباً ادارياً يتعاقب عليه طلاب المناصب الواحد بعد الآخر ، وانما هي عرش قائم في النفوس والقلوب ، لايجلس عليه الا من يستحقه ولا فرق بين ان يكون هذا الجالس عليه في عداد الاحياء المعاصرين ، اولاحقاً بالاموات الغابرين ، فهو لايخلي هذا العرش الالشاعر اكبر منه ، ومتى ظهر هذا الشاعر يتنزل له شوقي عن تخت الامارة ، وكما جلس ابو الطيب المتنبي على هذا العرش نحو الف سنة الى ان ظهر شوقي وازاله عنه ، ربما يبقى امداً طويلاً متفرداً بهذه الامارة ، قبل أن يظهر للعرب شاعر يزحزحه عن سدة المجد التي تبوأها .

ولعل الوثبات السريعة التي يثبها العلم والادب في هذا العصر لن تدع عهد الدولة

الشوقية طويلاً ، ولا بد أن يأتينا هذا الجيل الناشئ بعجائب النبوغ ومعجزات الابداع ، ويجعل حظ الشعر لا يقل عن حظ غيره من الفنون الجميلة والصناعات النفيسة فينسخ الآتي آية الماضي .

رب قائل يقول ان الذين لقبوا شوقي امير الشعراء لم يطلقوا له هذه الامارة على شعراء العرب كافة منذ نشأة الشعر الى هذا اليوم ، بل ارادوا بهذا النعت انه أشعر معاصريه فليس له ان نجعله فوق الفحول الاولين من الشعراء ، ونقدمه على المتنبي وابي تمام والبحتري وبشار والفرزدق وجرير والأخطل وامرئ القيس وزهير ولبيد وطرفة وامثالهم من الافذاذ الخالدين . غير أن الذين نعتوا شوقي هذا النعت ، لم يقيدوه بعصر دون آخر ، بل تركوه مجرداً عن قيود الاحتراز ، والمطلق يجري على اطلاقه . هذا فضلاً عن ان اصحاب هذا الاعتراض لا يسهل عليهم ان يأتونا بشاعر واحد من الذين يعدونهم . يرجح احمد شوقي في كثير من المزايا الشعرية وربما رجحه المتنبي في حكمته وامثاله والمعري في فلسفته وغيرهما بأمر آخر ، ولكن اين هذا من غزارة المادة وامتداد الشوط وسعة المواضيع ، وانطلاق الجولة في كل فن ، ولو اتسع هذا الافق للتنظير بين شوقي وافذاذ الشعراء الاقدمين واحداً واحداً ، لما عدمنا الدليل على رجحانه ، وتفوقه على كل من سلف . ولا بد أن يتصدى جهابذة الادب لهذه المقايسة ويأتونا بما فيه الغنية والقناع .

اما الآن فنهدي الى روح شوقي تحية قومه العرب الميامين به وهو الحي بينهم بشعره الخالد يسامرهم في العزلة ويؤنسهم في الوحشة .

فهو الذي اوقد النار التي خمدت	وسلّ ستر الونى عن معشر الضاد
وايقظ الكامن المرموس من همم	شدّوا عليها باغلال واصفاد
واطلق الجذوة الميمون طائرها	من ريف طنجة حتى شط بغداد
لولا قصائده ما كنت منتبذاً	غياهب السجن في اغوار ارواد
ولا طويت على الرمضاء بادية	يهماء تخرس فيها نأمة الحادي
فلنبك شيخاً تملينا بنضرته	في جارة النيل او في جارة الوادي .

خلود شوقي

« للاستاذ خليل بك مردم بك »

أنا لست أدري كيف أرثي واحدا   أمسى برغم الموت حيّاً خالدا
أبقى من الأهرام في آثاره   وأجلّ مأثرة وأبلغ شاهدا
دبّ الفناء له فعاد بخيبة   خزيان ينظر مستشيطاً حاقدا
ما نال منه ولو علاه سكونه   فالبحر بحر زاخراً أو راكدا
شوقي وهل أرثيه يوم خلوده   فالسيف يبغي شاهراً لا غامدا
دعني أشِدْ بالعبقرية انها   كالشمس ان غربت أرتك فراقدا
العبقرية نفحة قدسية   تحيي الرميم وتستثير الخامدا
أو شعلة لمعت فجلّت غيهباً   وهدت اخا جور وردت حائدا
تتمخض الأجيال اعصاراً بها   حتى يتيح الغيب منها وافدا
كالبحر يندر ان يجود بدره   وتراه بالأصداف يقذف جائدا
فاذا أراد الله نهضة أمة   أهدى اليها العبقرية قائدا

* * *

شوقي وأنت رسالة عُلوية   مرت على سمع الزمان نشائدا
روح من الله الكريم ورحمة   أحيا بها ميتاً وأيقظ هاجدا
رضت القريض على اختلاف فنونه   في كل واد همت كنت الراشدا
اما القديم ففزت منه بروعة   وجلوت من آي الجديد مشاهدا
فرفعت للفصحى بمصر دولة   كانت تطالع فيك نجماً صاعدا
توجت مصر وشدت عرش فخارها   وعقدت في جيد الشآم قلائدا
للعرب والاسلام في آلامهم   كنت اللسان مترجماً والساعدا

أضحى بيانك جامعاً أهواءهم ومن الخمول الى النباهة رائدا
ما أقلق الاسلام خطب فادح الا نهضت مواسياً أو ذائدا
ودعوت للخلق الكريم ؟ وشرُّ ما أودى بنا قد كان خلقاً فاسدا
ما زال فينا من يكيد لقومه كم ذا نطيق مداجياً او كائدا ؟

* * *

كم موقف لك في دمشق وأهلها قد هزّ يقظاناً ونبه راقدا
غنيتها لحناً يفيض صبابة فتمايلت فيها الغصون تواجدا
وشركتها في بؤسها ونعيمها يا من رأى ولداً يشاطر والدا
في الجامع الأموي قمت مكبراً وذكرت مجد بني امية ساجدا
خلفت في الزهراء دمعك جارياً وتركت في الفيحاء قلبك واجدا
واسيت جلق في عظم مصابها ونضحت عنها بالبيان مجاهدا
صعدت أنفاساً وجدت بادمع في يوم محنتها فكنّ قصائدا
أشجاك ان تمسي الجنان بها لظىً وتبيت دارات النعيم مراقدا
جعلوا منيفات القصور ومن بها للنار في غلس الظلام حصائدا
وأشد من هذا الزبانية الأُلى كادوا لها يلقون عيشاً راغدا
من كل عبد للطغاة وحزبهم وتراه شيطاناً علينا ماردا
كم متعة في عيشها لو أنهم ما كدروه مصادراً وموارداً
ديهات لا تنسى صنيعك انها جعلت بلابلها لساناً حامدا

* * *

والآن دع جفني يبح بشؤونه فالدمع أثقله كميناً جامدا
وذر الحزين يبث بعض شكاته فالصدر يحرج بالهموم حواشدا
لكن أخاف تليك تريح الأسى يوري على جنبيك جمراً واقدا
فاربط على قلب وطامن لوعة واشدد على كبد وصابر جاهدا
يا ناشداً بالأمس نوماً شاردا هلاً نشدت اليوم صبراً نافدا
خطبان نال العرب قاسي منهما جرحاً يسيل دماً وسهماً قاصدا

ما جف دمعهم لمصرع حافظ حتى استهل بيوم شوقي واردا
لم أنس مؤتمر النساء[1] وقد نعي شوقي فظل من التفجع مائدا
ربع العقائل، والاوانس اعولت، ونثرن من عبراتهن فرائدا
أوجعن لي قلبي وهجن مدامعي وتركن جفني للفجيعة ساهدا

***

سر الحياة يدق عن فهم الورى حار اللبيب به فأطرق سامدا
لولا رياض الشعر في صحرائها كانت حياتك محنة وشدائدا
تدنو باسباب الحياة الى الردى أنى اتجهت رأيت منه راصدا
والمرء في دنياه طير ما نجا من صائد الا ليلقى صائدا
دع عنك تمحيص الحقيقة انها تدع الفتى في كل شيء زاهدا
وانصت الى وحي الخيال فانه لولاه كان العيش معنى باردا
واذا بكيت على امرىء فابك الذي ملك البيان طريفه والتالدا

---

(١) اتفق ان اول برقية وردت الى دمشق بنعي شوقي قرئت في المؤتمر النسائي الذي كان معقوداً في دمشق اذ ذاك .

لغة شوقي

« خطاب الاستاذ عزالدين بك التنوخي »

بلغ في القرن الماضي انحطاط البيان العربي شعره ونثره أسفل دركاته في جميع الأقطار العربية ولولا من تداركه من أمراء الشعر وزعماء النثر الذين تعهدوا روضه بالحرث والتشذيب والتهذيب لما اكتست لغتنا حلتها العصرية الزاهية ، ولما عادت الى مكانتها السالفة ، فعدت من اللغات الحية السامية ، ولما ظهر في مصر والشام والعراق من الشعراء المتصرفين في فنون الشعر الحي والكتاب الابيناء من أعانوا من تقدمهم في الأخذ بناصر هذه اللغة العذبة المباركة فأعادوا اليها شبابها بما أحيوه من آدابها ، والا فان سخنة عين الأدب ما كان عليه البيان منثوره ومنظومه قبل الشيخ محمد عبده وابراهيم المويلحي والبارودي وصبري وحافظ وشوقي : تعابير سوقية مبتذلة ، وكلف بالصناعة وشغف بالتصنع ، والفاظ لامخولة ولا معسولة ، ومعان سقيمة مرددة مملولة ، والغالب مع ذلك على النثر انطباعه على سجع ليس تحته رجع ، ولنا ان نعتبر البارودي هو المهلهل الثاني لأن الاول قد هلهل الشعر وقصده ، والثاني قد أنعشه وجدده ، وعرض للناس أسلوبه الجزل المستقطر من أساليب البحتري والمتنبي وأبي تمام والرضي وصريع الغواني وسائر من اختار لهم في مختاراته من حذاق القريض ورواض القوافي ، وقد حذا صبري حذوه في تنقيح الشعر وتنويقه ، الا انه قد فاقه بتقصيره وترقيقه ، وقد باراهما حافظ وأخذ أخذهما في شد اسر الشعر وتجويد حبكه ، واما راحانا الكريم فقد كان بادي الرأي يخشب الشعر في شبيبته بينا كان حافظ يبالغ في تنقيحه وتحكيكه ، فكان المولعون يومئذ بصناعة الشعر يفضلون في ذلك حافظاً على قريعه شوقي ، واما المولعون بقوة الشاعرية وسمو المعنى ، وسعة الخيال وخلود الحكمة والأمثال وبعد الشعر عن التعسف وقربه من الطبع والطلاوة فكانوا في ذلك كله يفضلون شوقي على خدينه ، وكأن لسان حالهم يقول :

« اذا صح ان شوقيــاً يخشب الشعر وحافظاً ينقحه ، فان خشب شوقي خير من تنقيح حافظ ، كما قيل مثل ذلك في جرير والفرزدق ؛ والحقيقة ان شوقي ما كان يخشب الشعر في شبيبته الا لسرعة خاطره ، وفيض قريحته التي كانت تحمله على قول الشعر على البديهة لا بكد فيه طبعاً ولا يسهر عليــه جفناً ؛ مع انا رأيناه بعد كهولته يعني بتنقيح لغة شعره حتى أوشك ان يجاري في ذلك أخاه حافظاً ذلك الذي كاد لفرط تنقيحه وتحكيكه للشعر يشبه الحطيئة الذي يقول : خير الشعر الحولي المنقح المحكك ، وبذلك حق لشوقي ان يقلد إمارة الشعر بمبناه ومعناه معاً ، وقد كان العرب كما ذهب اليه صاحب الوساطة « انما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب ، وبده فأغزر ، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة . ولا تحفل بالابداع والاستعارة اذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض . » وشوقي في الكثير من ذلك وبوفرة انتاجه ، وازدياد شعره شباباً وفتوة بازدياده شيخوخة وضعف قوة يتفوق على سائر المعاصرين .

تخرج شوقي في اللغة على الاستاذ النابغة المرصفي صاحب الوسيلة ، وكان احب الشعراء اليه — كما اجاب به سائلاً — هو المتنبي قال مانصه : « وانا اعده استاذي الاول ثم يلي المتنبي ابن الرومي ، واحب شعراء الغرب اليّ فكتور هوغو ودي موسه الذي لا أمل القراءة فيه » ؛ ومن ذلك نستنتج ان لغة امير الشعراء قد تأثرت كل التأثر بلغة نبي الشعراء ابي الطيب المتنبي ، الذي كان يذكره في شعره قائلاً :

ولو مشت بي الليالي تحت كوكبه غادرت احمد نسياً وابن حمدانا

وتأثرت بعده بلغة ابن الرومي ، ثم بلغة من عارضهم من فحولة الشعر وصاغة القريض كالبحتري الذي عارضه في سينيته ، والحصري في داليته ، والابوصيري في البردة والهمزية ، وابن زيدون في اندلسيته النونية ، وامثالهم ممن يمر كلامهم العذب على الآذان مر الصبا على عذبات الاغصان ، وانما تأثرت لغة شوقي بمعارضة قلائدهم المشهورة لان المعارضة تدعو الى المضارعة ، فان كان المعارض جيد الحبك نقي المستشف اقتبس المعارض ذلك منه طبعاً وارتاض على طريقته ، وان كان المعارض رديء السبك ، ضعيف التأليف متجافياً عن مضاجع الرقة ومتجانفاً عن مذاهب السلاسة اثرت لغته بمقدار زمن المضارعة

والتقليد ذلك ان العبارة السقيمة اعلق بالنفس كما ذهب اليه الجاحظ من العبارة القوية ، واسهل مراساً واهون اقتباسا ، والحقيقة ان المتأمل في شعر شوقي واسلوبه وتعبيره وتركيبه ، يوقن انه خلاصة اساليب فحولة القريض ، هذا في الشعر ، واما النثر فقد كان يعجبه اسلوب ابن خلدون كما يظهر ذلك من شعره وتروقه لغة المبرد في كامله قال في تحليته لكتاب فتح مصر الحديث لحافظ عوض :

لغة الكامل في استرساله وابن خلدون اذا صح وصابا

ولغة المبرد امتازت بمتانتها وابن خلدون بطلاوتها ، فشوقي على ذلك تعجبه لغة المجودين من امراء الصناعتين وان كان لا يحسن استرسالهم الى تكلف في سجع يرد الطبع كثيراً منه ، ولا يعجب بلغاء الكتاب المترسلين .

ان الشعر على مذهب شوقي لا يسمى شعراً ما لم يكن عاطفة وحكمة وذكرى ، فاذا مانحن حللنا شعر ديوانه ، وأنعمنا النظر في أسلوب تفكيره وبيانه ، حكمنا بان ذكراه وعاطفته الذائبة في شعره الوجداني قد قويتا فيه بتأثره بشعر ابي تمام والرضي وابن الرومي والبحتري وبشار ومهيار وأضرابهم ، وان حكمته التي اكثر منها في شعره ، وكثيراً من أساليب بيانه قد احتذا فيها طريقة أستاذه الاول ابي الطيب ، كما قال في حكمة الشعر :

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة او حكمة فهو تقطيع وأوزان

ومن الأمثال الدالة على تأثير المتنبي في أسلوب شوقي قوله مثلاً :

ولا تبال بشعر بعد شاعره قد افسد القول حتى احمد الصم

وشوقي يقول محتذياً أستاذه :

ولا تبال بكنز بعد مبتسمه اغلى اليواقيت ما العطيت والدرر

والمتنبي يقول في ابن العميد :

عربي لسانه فلسفي رأيه فارسية أعياده

وتلميذه شوقي يقول في الخديوي سعيد :

عربي زمانه عمري عهده فيه رحمة ووفاء

وانظر الى قول شوقي في حور دمر والهامة :

والحور في دمر او حول هامتها حور كواشف عن ساق وولدان

تجد انه في تشبيهه الحور بالحور وقد كشفن عن ساق ينظر الى قول مهيار في الاشجار :

وعزت فصانت سوى ساقها   وما ان اباحته الا اضطرارا
تشمر عنه جلابيبها   لعادته ان يخوض الغمارا

ثم انظر الى تأثره بشعر المعري مثلاً :

لعلاك المذكرات عبيد   خضع والمؤنثات إماء

وابو العلاء يقول من قبله :

لليك المذكرات عبيد   وكذاك المؤنثات اماء

وكذلك يقول شوقي :

ومهد المرء في أيدي الرواقي   كنعش المرء بين النائحات

مثلما قال المعري من قبله :

وشبيه صوت النعي اذا قيـ   ـس بصوت البشير في كل ناد .

وألفت نظرك بعد ذلك كله الى قول شوقي وهو يصف الأطلال المندثرة والرسوم المبعثرة :

فلا تستبين سوى قرية   اجدّ محاسنها ما اندثر

فتحسبه ينظر الى قول ابي نؤاس في وصف الرسوم :

لمن دمنٌ تزداد حسن رسوم   على طول ماأقوت وطيب نسيم

ولا نكران أن تأثر الشاعر بمن تقدمه من فحولة الشعر امر طبيعي ، وقلما نجا منه احد من رواض القوافي ، بيد أن من التأثر مايبعث اليه التقليد والتقديس مما لا يدعو اليه مقتضى حال ، ولا يولده صدق عاطفة ، وهو ما يجب ان يخلى منه الشعر المعبر عن الشعور ، ولولا مثل هذا التقليد الناشيء عن تقديسه لاساليب الجاهلية لجب عن نفسه غيبة من تهجم عليه من المجددين ، ولاضعف من حجتهم عليه وان كان فيها كثير من روح التحامل ، فما انتقد عليه قوله :

ريم على القاع بين البان والعلم   أحل سفك دمي في الاشهر الحرم

قالوا : لقد كان بامكانه ان يشبب بريم مصري يرتع بين الجيزة وحلوان أو النيل والاهرام فيقول مثلاً :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الاشهر الحرم !

ولكنه جرى تقليداً على أسلوب من سبقه من شعراء الجاهلية الذين كانوا يتغزلون بما يعرفون في جزيرة العرب وما يشاهدونه ويشعرون به ، واما من ترسم آثارهم من التابعين فأية علاقة لهم بالبان والعلم وكاظمة وذي سلم ، والروحاء ودارة العلم ، وأي ذكرى تهيجهم لذكرها ووصفها ، فان قلنا لهم ان شوقي ماتشوّق الى البان والعلم — وهو في هذا الموطن صحيح — الا لاتصال هذين الموضعين بمدينة النبي العربي المبين ، قالوا : فما باله إذن لا يترك مثل هذا التشبيب في قصيدة يقولها في مشروع ملنر :

اثن عنـان القلب واسلم به من ربرب الرمل ومن سربه

وما باله يقول في قصيدة أخرى أنشدت في حفلة تكريم لمعتقلين يخرجون من السجن :

يحدجن بالحدق الحواسد دمية كظباء وجرة مقلتين وجيدا

مقلداً في ذلك قول امرئ القيس وبينهما ما بينهما من القرون :

تصد وتبـدي عن اسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل

الا سمعت ما قاله القاضي في وساطته : « ولا تلتفتن الى مايقوله المغويون في وجرة وجاسم ، فانما يطلب به بعضهم الاغراب على بعض ، وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها الا كغيرها من الظبـاء ، وسألت من لا أحصي من الأعراب عن وحش وجرة فلم يروا لها فضلاً عن وحش ضرية وغزلان بسيطة ، وقد يختلف خلق الظباء والوانها باختلاف المنشأ والمرتع ، واما العيون فقلّ ان تختلف لذلك . »

وهذا لايمنع ان شوقياً كان واقفاً على أسرار العربية ، عارفاً بفرائدها الفصحى ، مميزاً بين معسولها ومرذولها ، وانه كان لا يستعمل الوحشي الغريب الا اذا عز وجود الانسي القريب ولم يقم مقامه في دقة التعبير وفي وضوح الدلالة والاشارة ؛ وكثيراً ماتجيئه للغريب المهجور ضرورة القافية كالقنا المشتجر ، واقام الصعر ، والخميس الدثر او ما هو أغرب من ذلك كجرضى وحضوضى والبوغاء بمعنى التراب والعماء بمعنى السحاب وهلم جرا ، ولعله لولا طول نفس القافية في طوبلاته التي يختلف عدد الواحدة منها ما بين مائة وثلاثمائة بيت تقريباً ، لولا ذلك لما اضطر الى استعمال غريب القوافي المهجور ، وترك القريب الحبيب

المشهور ، نعم ان من الموضوعات مايلجئ الشاعر بطبيعته الى الإسهاب ، وانه مازالت الصلة بالشعر القديم وثيقة العرى ، غير ان الخلود في الشعر بهذا العصر لا يكتب الا للقصائد ، التي لا يلجأ فيها الشاعر الى التعمل والضرائر ؛ على أن له من القصائد الخالدة لامتيازها بالفاظها المتخيرة ومعانيها العلوية وعواطفها المتأججة ما يتغنى به العاشق الشاكي والصندوق الحاكي في الشوارع والجامع .

وفي لغة شوقي مفردات عامية كان يتجوز في استعمالها ايثاراً لوضوح الدلالة ، وما ذا كان عليه لو نقى لغته من أمثال طار بمعني اطار الواردة في قوله بصف قرص الشمس طالعاً :

فسمت فكانت نصف طار مابدا حتى اناف فلاح طاراً اكبرا

اذ لم ترد طار في الفصحى بمعنى اطار الذي هو حلقة الشيء وما احاط به ومنه اطار الدف والمنخل ، واطار البيت كالمنطقة حوله ؛ ومنها فعل حرق بمعنى اضرم فيه النار اذ لم يرد متعدياً الا بالهمزة ، واما الثلاثي فقد ورد بمعنى آخر وهو حك بعض الاسنان ببعض من الغيظ والحنق نحو حرق عليه الارم ومنه قول الشاعر :

نبئت احماء سليمى انما باتوا غضابا يحرقون الأرما

ويقال : حرق الرجل مبنياً للمجهول فهو محروق اذا انفصلت حارقته وهي العصبة الجامعة بين رأس الفخذ والورك ؛ كأنه جاء بمعنى برد الحديد بالمبرد ، فالافصح إذن ان يقال أحرق لاحرق كما يقال اغلق لاغلق ؛ ومن هذه الالفاظ العامية لفظة دهان بمعنى نقش في قوله :

صحب الزمان دهانها حيناً عهيداً بعد حين

فالدهان جمع دهن ، وقد وردت في قوله تعالى : فكانت وردة كالدهان ، قال الفراء : شبهها في اختلاف الوانها بالدهن واختلاف الوانه ؛ ويطلق الدهان على الجلد الاحمر ، فالدهان على ذلك لم يرد بمعني النقش والطلاء Peinture ، الا اذا اعتبرنا الدهان من قبيل المجاز المرسل لحلول الدهن في الصبغ وهو زيت الدهانين المعروف ، ولو قال : « صحب الزمان نقوشها » لاستقام الوزن ولاصاب شاكلة الفصحى .

ومنها لفظة المعية بمعنى الحاشية والبطانة في قوله :

قامت السراة به والمعية النجب

فان البطانة تحل محل المعية ويستقيم الوزن معها ، والمعية من مصطلح النحو بمعنى المصاحبة

واما استعمالها بمعنى البطانة فمن المصطلحات التركية لا العربية ، وفي استعمالها التباس ينافي التخصيص ولا حاجة في التعبير اليها .

يبدان من الالفاظ العامية مايحتاج اليها لعروبة مادتها ورشاقة صيغتها ، ولعدم ما يقوم مقامها كلفظة مرفع بمعنى كرنفال ، فقد استعملها شوقي في قوله يخاطب النفس :

كم بنت فيه وكم خفيت كأنه ثوب الممثل او لباس المرفع

واذا نحن ابينا ان نستعملها فقد حجرنا واسعاً وحملتنا الحاجة الى استعمال « كرنفال » ، كما انا لو لم نستعمل جريدة لاضطررنا الى استعمال « جورنال » .

هذا وقد امتاز بما وفق اليه من حسن استعمال الاعلام الاعجمية مع المحافظة على رنة الشعر الموسيقية ، فتسمعه في مطلع قصيدة « طوكيو » التي وصف بها نكبة اليابان بزلزالها بقول :

قف «بطوكيو» وطف على «يوكاهامه» وسل القريتين كيف القيامة

وتصغي اليه في قصيدة اخرى يخاطب اللورد كرومر :

هل من نداك على المدرس انها تذر العلوم وتأخذ الفوتبولا

فتجد للفظة الاعجمية في هذا البيت مع بشاعتها حسن الشيء يحل محله ، ثم يذكر لك وزيرين انكليزيين ومدينة انكليزية في بيت واحد وهو :

واحمل بساقك ربطة في لندن واخلف هناك غيراي او كيبيلا

ومع ان الاكثار في الشعر من الالفاظ والاعلام الأعجمية الثقيلة مما ينافي لغة الشعر وسلامته ، وهي اجمل حلاه ، ويجافي رنته الموسيقية وهي نشوة طلاه ، نجد الشاعر بحسن تصرفه وتأتيه وتلطفه يكاد يعرب لنا تلك الطمطمانية حتى نسيغها ، من ذلك التلطف قوله :

أأم المالكين بني أمون ليهنك انهم نزعوا امونا
ولدت له المآمين الدواهي ولم تلدي له قط الامينا

فقد اتبع البيت الاول المنتهي بأمون بالثاني المنتهي بالأمين ، ومن هذه القوافي التي احكم وضعها قوله :

لك الاصل الذي نبتت عليه فروع المجد من « كرنارفونا »

خليلي اهبطا الوادي وميلا الى غرف الشموس الغاربينا
وخصا بالعمار وبالتحايا رفات المجد من « توتخمينا »

واما قوله في وصف ينبوع « كوك صو » بالاستانة فهو من مائه اعذب وتحيته منه اطيب :

تحية شاعر ياماء « ككسو » فليس سواك للأرواح انس

وله من التعابير مااختص بها ، او احياها واذاعها بشعره كقوله في دمشقيته المشهورة :

و « للحرية الحمراء » باب بكل يد مضرجة يدق

وأعاد « الحرية الحمراء » في قصيدة أخرى بقوله :

لا بد « للحرية الحمراء » من سا ـ وى ترقد جرحهـا كالبلسم

وأورد هذا التعبير والحرية موصوفة بوصف آخر في قوله :

سلوا « الحرية الزهراء » عنا وعنكم هل أذاقتنا الوصالا

فهذا التعبير مما اقتبسه شوقي من أستاذه الاول ابي الطيب ، وله فضل إذاعته ، فقد قال المتنبي يصف الحدث بالحمراء لانصباغها بالدماء :

هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أي الساقيين الغمائم

ومن تعابيره الشوقية المبتدعة قوله : « العلم بدري » فانه نسب العلم الى بدر مشيراً الى الأثر القائل : « ان اهل بدر مغفور لهم هفواتهم » :

والعلم بدري احل لأهله ما يصنعون

ومنهـا كلوبترة المكايد وايزيس الندى وعيسى الشعور وعمرو الامور ، ونعته لابي الهول بديدبان القدر أي حارسه ورقيبه ، وأمثالها كثيرة في شعره ، وآخر ماصنع من ذلك تلقيبه لصديقه حافظ بحافظ الفصحى .

ومن المفردات التي يظن ان شوقيًا اول من استعملها ونشرها لفظة « مثّال » أطلقها على نحات التماثيل وصناعته « المثالة » ولم تنتشر هذه الكلمة الا بدافع الحاجة اليهـا ، ولا كتب لها البقاء الا بمقتضى ناموس بقاء الأصلح ، ونحن أحوج مانكون في هذا العصر الى أمثـال هذه المفردات المخصصة التي تعين على التدقيق في التعبير العربي ، وقد أحياها أو أذاعها شوقي باستعمالها ، واللغة تحيا بالاستعمال وتموت بالاهمال ، ومن أحق من الشاعر

النابغة او الكاتب البليغ بالأخذ بناصر اللغة بما يحييه او يذيعه من مفرداتها .

وهذا لا يمنع اللغوي الضليع كشوقي أن يسجد في محراب اللغة سجدة السهو كقوله في أسواق الذهب يتحدث عن التزوج باثنتين : وان التيس لو عقل ما اتخذ نعجتين ، فكيف يتزوج الفقير العاقل باثنتين ، والصواب ان يقول : مااتخذ عنزتين ، اذا التيس ذكر المعزى لا الضأن الذي يطلق الكبش على ذكره والنعجة على انثاه .

ومن ابلغ من عني بلغة شوقي ونقدها في مصر محمد المويلحي ، وفي الكثير مما نقده مايدل على ذوق سليم وملكة في الادب قوية مثال ذلك قول شوقي :

وقطعة خد بينا هي جنة — لعينيك يارائي اذا هي نار

قال المويلحي : « لو قال صفحة خد لكان التعبير أحسن وأجمل لان القطعة بغير الخد انسب » .

وتنقحت لغة شوقي ، ورقت عبارته وازداد شعره رصانة وانسجاماً واين قوله ايام كان يخشب الشعر :

كم يا جماد قساوة — كم هكذا ابداً جحود
نطوي اليك دجى الليا — لي والدجى عنا يذود

من قوله ايام تنقيحه وتهذيبه :

الله في الخلق من صب ومن عاني — تفنى القلوب ويبقى قلبك الجاني
صوني جمالك عنا اننا بشر — من التراب وهذا الحسن روحاني

ولئن قيل ان امرأ القيس قد سبق الى اشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعه عليها الشعراء ، وعدوا منها استيقافه صحبه في الديار ، فان شوقي قد سبق معظم شعراء عصره في كثرة الاستيقاف وطلب القيام في مطالع قصائده كقوله مستوقفاً :

قف ناج اهرام الجلاد وناد — هل من بناتك مجلس او ناد
قف بالممالك وانظر دولة المال — واذكر رجالاً ادالوها باجمال
قف بروما وشاهد الامر واشهد — ان للملك مالكاً سبحانه
قف على كنز بباريس دفين — من فريد في المعاني وثمين
قفي يا اخت يوشع خبرينا — أحاديث القرون الغابرينا

ومما سأل به القيام وهو كالاستيقاف من أساليب تعبير شوقي ولغته الشعرية :

قم ناج (جلق) وانشد رسم من بانوا   مشت على الرسم أحداث وأزمان

قم ناد (انقرة) وقل يهنيك   ملك بنيت على سيوف بنيك

قم في فم الدنيا وحي الازهرا   وانثر على سمع الزمان الجوهرا

قم سابق الساعة واسبق وعدها   الارض ضاقت عنك فاصدع غمدها

قم حي هذي النيرات   حي الحسان الخيرات

واما لغة مطالع قصائده فمنها الركيك بمعناه ومبناه كقوله مثلاً :

يا بارك الله في الدنيا بعباس   وبارك الله في عمات عباس

ونحن اذا جارينا في هذا البيت من انتقد مطالع شوقي ، لانجاريه في النقد على اطلاقه فان لشوقي من المطالع ما يعد من الروائع كقوله مثلاً :

ضمي قناعك يا سعاد او ارفعي   هذي المحاسن ماخلقن لبرقع !

رمضان ولّى هاتها يا ساقي   مشتاقة تسعى الى مشتاق

قلب يذوب ومدمع يجري   ياليل هل خبر عن الفجر ؟

بالله يانسمات النيل في السحر   هل عندكن عن الاحباب من خبر

يا نائح الطلح اشباه عوادينا   نشجى لواديك ام نأسى لوادينا

وقد يستعين الانسان لتوضيح عبارته بالتشبيه ولا يستغني عنه احد من العامة ولا الخاصة ، والاصل الذي يعتمد عليه فيه ان يشبه المتكلم المجهول بالمعلوم لدى المخاطب ، فاذا انعكست القضية خفي المقصود وهو المشبه على المشبه له ، وبذلك يكون التشبيه ركناً خطيراً من أركان البيان ، وعوناً مليباً للمصوّر الواصف ، ولكن التشبيه قد خرج في عصور انحطاط البيان العربي عن محوره ، وبعد عن غايته ، وأصبح مطمح الشاعر ومسمى خياله ان يشبه شكلاً بشكل ولوناً بلون وطولاً بطول ، وان لم يكن وجه الشبه واضح الملامح لان المشبه لم يقصد في محاكاته تصويراً ولا تبيينا ، وانما أراد تزويقاً وتحسينا ، وبذلك لم يصبح التشبيه من أركان البيان فأمسى من محسنات البديع اللفظية ، وقد انتبه الشاعر الى ذلك فأنقذ كثيراً من شعره وشفاه من هذه العلة وهذا النوع من العي والحصر ، واذا أردت مصداق ذلك فانظر مثلاً الى ذلك التصوير البارع في التشبيه التالي :

بِنّا فلم نخل من روح يراوحنا   من بر مصر وريحان يغادينا
كأم موسى على اسم الله تكفلنا   وباسمه ذهبت في اليم تلقينا
ومصر كالكرم ذي الاحسان فاكهة   لحاضرين وأكواب لبادينا

ومنها :

نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا   ولم يهن بيد التشتيت غالينا
ولا يحول لنا صبغ ولا خلق   اذا تلون كالحرباء شانينا

وأنعم النظر في تشبيهه للحمام الأسود المغرّد بالراهبات المرتلات في سود الجلابيب وتأمل ما في ذلك من جمال البيان ولطف المحاكاة :

بيض القلانس في سواد جلابب   حلين بالأطواق والأوضاح
رتلن في أوراقهن ملاحنا   كالراهبات صبيحة الإفصاح !
يخطرن بين أرائك ومنابر   في هيكل من سندس فياح

واذا جردت بقوة مخيلتك ما في البيتين التاليين من صورة دقيقة واضحة ، شهدت بما للتشبيه الصادق من قوة التصوير وبلاغة التعبير :

وترى الفضاء كحائط من مرمر   نضدت عليه بدائع الالواح
الغيم فيه كالنعام بدينة   بركت واخرى حلقت بجناح !
وجرت سواق كالنوادب في القرى   رعن الشجي بأنة ونواح
الشاكيات وما عرفن صبابة   الباكيات بمدمع سحاح
من كل بادية الضلوع غليلة   والماء في احشائها ملواح
تبكي اذا ونيت ، وتضحك ان هفت   كالعيس بين تنشط ورزاح
هي في السلاسل والغلول وجارها   اعمى ينوء بنيره الفداح !

اللغة المجازية في شعر شوقي — لا ننكر ان لغة الحقيقة في كلام امير الشعراء هي لغة الشعر الرقيقة المنسجمة ، المنخلة الالفاظ ، المتقنة التركيب ، ومن أحق منه بالاهتداء الى كرائم الالفاظ ورقائق العبارات ، فقد آخى في شعره بين فصاحة اللفظ وبلاغة القول في سلك بيان ناصع ، ترافقه رنة موسيقية علوية أشبه شيء بالرنة البحترية ، واما لغة شوقي المجازية فغالبة على بيانه ، وقلما خلت جملة أبيات منها ، والظاهر ان الاستعارة بانواعها

متغلبة على المجاز العقلي والكنايات في شعره ، ولا مرما ولعت العرب بالمجاز لما فيه قوة التصوير وفخامة التعبير مع الايجاز ، ولما يحصل به للنفس من أريحية مما يدل على ميل بالعرب الى اتساع الكلام ، وان التفنن في وجوه التعبير نتيجة لازمة لقوة التصوير والتفكير ، وقديماً كان الانسان اذا عجز في الكتابة عن التعبير بالرموز الحرفية يلجأ الى رموز الصور مستعيناً بوضوح دلالتها ، فالتصوير الخطي والبياني من أقوى وسائل التعبير .

ومن مجازاته العقلية قوله في مطلع نهج البردة :

(ريم) على القاع بين البان والعلم　　أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
رمى القضاء بعيني (جؤذر) (أسداً)　　ياساكن القاع أدرك ساكن الأجم

فالريم وهو الظبي الخالص بياضه والجؤذر وهو ولد البقرة الوحشية قد أطلقهما على محبوبته مجازاً وأطلق الأسد على نفسه ، وكنى عن الغزال بساكن القاع وعن الأسد بساكن الأجم ، وفي هذين البيتين من فن البديع طباق بين قوله (احل) وبين (الحرم) ، وهو من المحسنات التي يزين بها شوقي لغته كثيراً ، وبعد اربعة أبيات من هذا البيت بيتان في كل منهما مطابقة وهما :

لقد أنلتك أذناً غير واعية　　ورب (منتصت) والقلب في (صمم)
ياناعس الطرف لاذقت الهوى أبداً　　(اسهرت) مضناك في حفظ الهوى (فنم)

اما الاستعارة المبنية على التشبيه فكأنها ما غلبت على لغة شوقي الا لاعتقاده بانها ابلغ من المجاز العقلي لما بين طرفي الاستعارة من المناسبة القوية والمبالغة التي تجيز لك ان تسمي الشيء بغير اسمه وتبلغ بهما حد الاتحاد ولولا القرينة الدالة على مرادك لما انتبه المخاطب الى غير المفهوم من العبارة ، وانك لترى الاستعارات البليغة بانواعها فيما سنورده على سبيل المثال :

القاتلات باجفان بها سقم　　وللمنية اسباب من السقم
الحاملات لواء الحسن مختلفاً　　اشكاله وهو فرد غير منقسم

فقوله القاتلات باجفان استعارة مكنية لحذف المشبه به وهو السيوف التي رمز اليها بشيء من لوازمها وهو القتل ، وفي قوله : الحاملات لواء الحسن استعارة مكنية ايضاً ولواء استعارة تخييلية والحمل ترشيحية ، ومع ذلك نجد في حمل لواء الحسن كناية جميلة عن نهاية الحسن فيه ، ومن الاستعارات التصريحية التبعية الكثيرة في شعره قوله :

دقات قلب المرء قائلة له ان الحياة دقائق وثواني

فقد شبه في هذا البيت الحكيم الدلالة على الشيء بالقول بجامع الايضاح ، واشتق من القول قائلة بمعنى دالة ، والقرينة نسبة القول الى الدقات ، ومن استعاراته اللطيفة قوله :

رأس الحماية مقطوع فلا عدمت كنانة الله حزماً يقطع الذنبا

يتمشى القضاء خلف نواهيـ ـك حديد الاظفار يطلب صيدا

قصد الدهر منك ركن المعالي ورمى طودها الذي كان طودا

قف ناج اهرام الجلال وناد هل من بناتك مجلس او ناد

ففي مناجاة الاهرام استعارة وفي المجلس والنادي مجاز مرسل وبين ناد الامر ونادي الاسم جناس تام ، ووجود ذلك كله في بيت واحد دليل على ولع شوقي بالاستعارات والمحسنات .

كناياته . — وقد اولع بالكناية لانها من أبلغ ضروب المجاز بقوة تأكيدها وبيان تعبيرها ، بل جعلها البيانيون ابلغ من المجاز لان دعوى الكناية مؤيدة بالبرهان ، ودعوى الاستعارة لادليل عليها ، ومن كناياته البليغة وهي كثيرة قوله :

فدع كل طاغية للزما ن فان الزمان (يقيم الصعر)

رفقاً بجفن كلما ابكيته سال (العقيق) به وقام الماء

وبين الهوى والعدل للقلب موقف كخالك بين السيف (والنار) ثاويا

وبيان كما تجلى على الرسـ ـل تجلى على (رعاة الضال)

ومن جناساته التي شغف بها قوله :

وسلا مصر هل سلا القلب عنها او اسا جرحه الزمان المؤسي

ياقصوراً نظرتها وهي تقضي فسكبت الدموع والحق يُقضي

زار والحرب بين جفني ونومي قد اعد الدجى لهـا اوزارا

مالرب الجمال جار على القا ـب كأن لم يكن له القلب جارا

ومن المطابقة في هذه القصيدة والطباق من محسنات البديع المعنوية قوله :

يا ليالي لم اجدك طوالا بعد ليلى ولم اجدك قصارا

ان من يحمل الخطوب كبارا   لا يبالي بحملهن صغارا

ومنها الشيء الكثير في شعره قوله :

وبي رشأ قد كان دنياي حاضراً   فغادرني اشتاق دنياي نائيـا

وفي هذا البيت (ايهام المطابقة) فان النائي ليس بضد الحاضر وانما يوهم بلفظه انه ضد ومثله قول دعبل .

لا تعجبي يا سلم من رجل   (ضحك) المشيب برأسه (فبكى)

ومن مطابقته الرائعة ويسمى طباق المقابلة قوله :

وكلن بالالحاظ (مرضى) (كليلة)   فكانت (صحاحًا) في القلوب (مواضيا)

ومن محسنات شوقي المعنوية ايضاً «الاستخدام» اي ذكر لفظ بمعنى واعادة ضمير عليه بمعنى آخر كقول البحتري :

فسقى الغضا والسا كنيه وانهم   شبوه بين جوانح وقلوب

ومثله قول شوقي في ايزيس وهو القمر عند قدماء المصر بين واحدى معبوداتهم سميت باسمه :

تفيء على صفحات السما   ءوتشرق في الارض منها الحُجر

ومنها « الجمع مع التفريق » كقول البحتري :

ولما التقينا والنقا موعد لنا   تعجب رائي الدر منا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها   ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

ومثله قوله في مخاطبة الحمام :

اراك يمانياً ومصر خميلتي   كلانا غريب نازح الدار موجع

هما اثنان : دان في التغرب آمن   وناء على قرب الديار مروع

ومن محسناته « التصريع » وهو استواء آخر جزء في صدر البيت وآخر جزء في عجزه في الوزن والروي والاعراب وهو اليق مايكون بمطالع القصائد ، وفي وسطه ربما يمجه الذوق وينبو السمع عنه ، ومعظم مطالع شوقي مصرعة وقد تجده في اوساط قصائده ايضاً مع انسجام ورنة موسيقية يستعذبه الذوق ولا ينبو عنه السمع لانه وليد الطبع كقوله :

لك ان تلوم ولي من الاعذار   ان الهوى قدر من الاقدار

ومن الترصيع المستحسن في الوسط قوله من قصيدته الاندلسية التي مطلعها :

اختلاف النهار والليل ينسي　　اذكرا لي الصبا وايام انسي

وفي وسطها يقول :

في ديار من الخلائف درسٍ　　ومنار من الطوائف طُلس

وكل ذلك ما كان ليحط من منزلة امير الشعراء او ليدق من خطاره وهو القابض على ناصية البلاغة في شعره الخالد ، والمتين ما يحاوله ، والمحدث بما في نفسك ، وقد وقف على أسرار العربية وشنف بسواحرها شغفاً جعله يتغنى بعربيته وعروبته ، غافلاً عن جنسيته وأرومته ، فمن تغنيه بعروبته قوله وفيه من محسنات البديع الاكتفاء :

تسأل أترابهـا　　مؤمئـة بالعنم

اي فتى ذلكن　　العربي العلم ؟

قلن تجاهلتـه　　ذلك رب القلم

شاعر مصر الذي　　لو خفي النجم لم

ومن تغريده في عربيته وهيامه بمحاسنها الأدبية ومزاياها العلمية قوله :

إن للفصحى زماماً ويداً　　تجنب السهل وتقتاد الصعابا ؟

لغة الذكر لسان المجتبى　　كيف تعيا بالمنادين جوابا

كل عصر دارها ان صادفت　　منزلاً رحباً واهلاً وجنابا

ائت بالعمران روضاً يانعاً　　وادعها تجر ينابيع عذابا

لا تجئها بالمتاع المقتنى　　سرقاً من كل قوم ونهابا

سل بها اندلساً هل قصرت　　دون مضمار العلى حين اهابا

غرست في كل ترب اعجمٍ　　فزكت اصلاً كما طابت نصابا

ومشت مشيتها لم ترتكب　　غير رجليها ولم تحجل غرابا

ومنه قوله :

ان الذي ملأ اللغات محاسناً　　جعل الجمال وسره في الضاد

﴿ شوقي والمسرح العربي ﴾

« خطاب الدكتور اسعد بك الحكيم »

ليس الملك الجبار الذى يكتسح البلاد ، وتعنو له الرقاب ، باعظم شأناً في حلبة التاريخ : من عالم يبدد بحكمته أضاليل العالم ، فيخرجهم من الظلمة الى النور ، أوأديب يسحر بيانه الألباب فيكيفها على صورته ومثاله . أو شاعر يلتقط برقته حبات القلوب فينظمها عقوداً يسمو بها الى الفضيلة والمجد ، وينفخ من روحه في سويداء النفوس فيبعث فيها روح الامل ، فتنشط وتجد .

وليس البنيان الضخم الشامخ ذو الأحجار الكبيرة الذي تضافرت على تشييده الوف الأيدي البشرية سنين وأحقابا ، فعارك الدهر وهزئ بحوادث الطبيعة ، بادعى الى الخلود من بيت شعر حوى حكمة بالغة هجس بها قلب شاعر فسارت بتلاوته الركبان وتناقلته الألسن وصار حديث الناس على اختلاف الأزمنة والأجيال . بل هذا خير وأبقى لان مصير المادة الفناء . اما الروح فهي خالدة باقية الى الأبد .

وفي هذا الاجتماع الحافل ، وما يقام من حفلات التكريم لذكرى شوقي الشاعر بعد موته في سائر أقطار العالم العربي ، دليل ينطق بسمو العظمة الادبية وخلودها وباستمرار حياة الأديب بعد موته لأن روحه المتقمصة في طيات مؤلفاته تظل حية باقية تشع من تلك الحروف القائمة فتتأثر بفعلها نفوس الناس جيلاً بعد جيل الى آخر الدوران .

وكأن السلف أدركوا ما للبنيان الأدبي من الميزة على البنيان المادي فأجهدوا في تشييده نفوسهم وبذلوا لإقامته كل ما أوتوه من مال وقوة وسلطان فخلدوا بعملهم هذا ذكراً لم يزالوا أحياء به على غابر عهدهم . ذكراً هو التراث العظيم الذي نفخر به ونحترم لاجله .

ومن بواعث الأسف ان الدهر لم يفسح في أجلهم ليضربوا بسهمهم في جميع صنوف

الأدب المعروفة عند من تقدمهم من الأمم فعلهم بالعلوم العقلية والطبيعية فجاء أدبهم على مافيه من روعة وسعة وجمال أبتر من احد جوانبه . وذلك لان النقلة لاسباب نفسية اجتماعية ودينية لم ينقلوا الى العربية كتب الأدب اليوناني كما نقلوا اليها علومهم وفلسفتهم فخفيت على رجالها ضروبه وأهمها التأليف المسرحي الذي يعد اليوم من دعائم الأدب ومقومات الاجتماع .

وقد نال الفرنج من العربية بأن عابوا في أدبها هذا النقص الذي لامبرر لاستمراره مئات السنين حتى العصر الأخير اللهم الا الانحطاط الذي أصاب الخلف في جميع مقوماتهم الحيوية فأقعدهم عن مجاراة الأمم المعاصرة لهم وجعل منهم أمة خائرة القوى متبلبلة الكلمة والمذاهب .

وقد حاول عدد يسير من أدباء القرن الأخير اكمال هذا النقص فوضعوا عدة روايات مسرحية جاءت من حيث النسج الأدبي رقعة في ذلك الثوب الناصع ، فلم تجزها العربية ولذلك لم يكتب لها الخلود . .

وهكذا ظل الأدب العربي خلواً من المؤلفات المسرحية المثلى أحقاباً وعصوراً الى ان قيض الله له في هذه السنين الأخيرة فناناً يجيد الوصف والرصف يبدع من القديم حديثاً ، وهبته الطبيعة الشعرية نفسها فدانت له طوعاً ، وحبته شقيقتها المادية بكل ما فيها من رونق ونضارة وجمال فراح يجمع حلالاً مابين الأختين . هذه توحي وتلك تتلو ، هذه تعزف وتلك تغرد ، فيؤلف من صوتيها قصائد أوابد تحلى بها صدر العربية بعد ذلك العري الطويل .

ذلك شوقي أيها السادة وحسب القول في شاعريته مبايعة الامة العربية اياه وهو حي بإمارة الشعر في ذلك المحفل الملكي الفخم الباهر ، مما لم يسبق مثله لشاعر قبله قط .

وبينا العربية تتقدم لتعقد لشوقي لواء الإمارة في الشعر حانت منه التفاتة الى أدبها فشام فيه ذلك الخرق المعيب ، فشق عليه ان يمر به دون ان يمد لرتقه يداً ، فطلع على المسرح بمصرع كليوباترة ومجنون ليلى ، وقمبيز ، وعلي بك الكبير ، وعنترة ، واميرة الاندلس . فملأ بها ذاك الفراغ وأتم ذلك النقص فأسدى بعمله هذا للعربية مفخرة لم تكد تعد

العدة لشكره عليهــا حتى غادرها الى عالم الخلود ولسان حاله يقول : اليوم اكملت لكم أدبكم فقروا عيناً ٠

تقدم شوقي الى المسرح برواياته فلم يلق من رجاله من الحفاوة بها والاقبال على تمثيلها ماكان يرجى ويظن ٠ وذلك لاسباب منها مايتعلق بالبيئة وهي الحقيقة ومنها ما هو منبعث عن الرواية نفسها ٠

فمن الاولى : تطور الثقافة الاجتماعية في البلاد العربية واتجاهها نحو اقتباس كل ماهو غربي وخلع كل ما هو شرقي ٠ بصرف النظر عما في بعض الاول من مضار وعما في بعض الثاني من منافع ٠ فهي قائمة على الفلسفة الجنسية الفرويدية الحديثة ٠ تمج القديم لما فيه من قيد ، وتصبو الى الحديث لما فيه من إباحة ٠ ولما كان في مسارح التمثيل الهزلي والخلاعي مايخمد المراقبة ويعال الحصر القائم في النفوس أمسى الاقبال عليهــا بالغاً أشده ٠ خلافاً للمسرح المحافظ فان الاقبال عليه ضئيل ٠ وقد لا يسد دخله خرجه ٠

ومنها كون الأسلوب الشعري المسرحي طريف لم يألفه بعد السمع فلا تنفذ صوره الى القلب تواً بل تجتاز اليه الذهن قبلاً ٠ وهذا يضعف تأثير الوقائع في النفوس ٠

ومنها حداثة عهد الممثلين بالتخاطب بلغة الشعر وضعف خبرتهم الفنية والعلمية والأدبية مما يلقي الفتور في انتباه المشاهدين ٠

تلك لعمري عوامل جلى من شأنها الحط من قيمة اي رواية مسرحية مهما بلغ بها الاتقان ٠

فلا غرابة والحالة هذه اذا لم نجد غواة التمثيل ورجاله يعرضون روايات شوقي في كل قطر عربي شأنهم مع غيرها من الروايات النثرية ٠

على ان هذا الفتور عارض وقد لايمضي قليل حتى يتحول الى ولع وهيام ، وذلك لان روايات شوقي لقيت من غواة الأدب وطلاب المدارس والفئة المتعلمة من الناس تهافتاً عظيماً على قراءتها وحفظها واقتنائها حتى أضحى يخجل كل انسان متعلم ان يقول انه غير مطلع عليها ٠ وتلك لعمري ميزة سوف تضطر رجال المسارح في جميع الاقطار العربية الى إجهاد النفس في حفظها وإتقان تمثيلها كما انهــا ستحدو برجال الشعر الى خوض هذا النوع من الأدب والسمو به الى المكانة العليا التي تتطلبها فائدته وشرفه ٠

اما الاسباب الناشئة عن ذات الرواية فأهمها متعلق بضعف الإجادة في تصنيف الحوادث وتوقيعها وفي البلاغة الروائية التي من شأنها امتلاك مشاعر المشاهد وهزها .

وتلك هنات فنية لم يكن شوقي ليقع فيها لو أنه صعد المسرح قبل الخمسين وعانى بنفسه تلاوة قصيدة من قصائده في مجتمع عام ولو مرة واحدة .

هنات تتلاشى في جانب ما في تلك الخرائد من تهاويل الصور النفيسة والطبيعية ومن الإبداع في الوصف وفي تمثيل المجالس واستطراد الحديث وضرب الأمثال وايراد الحكم والمغزى الأخلاقي السامي مما يفوق حد الاتقان .

وكأن انتصار شوقي الباهر في حلبة الشعر وعقد إمارته له في مضماره أثار حفيظة بعض منافسيه فاستغلوا موقفه هذا فنالوا منه على المسرح ما لم تنله قرائحهم منه في ميدان القريض . فرموا رواياته بمر النقد ولو أنصفوا لقالوا : إنها خير ما أخرج للناس . مكروا ومكر شوقي فلم يفت نقدهم في عزيمته فراح يخرج الرواية تلو الرواية كأنه شاعر بان ساعاته باتت معدودات وان المثل الأعلى الذي تسمو اليه نفسه مازال بعيداً فليس له ان يضيع لحظة فيما هو أدنى وأحط . وذلك المثل الاعلى هو سد ثلمة الأدب والسمو به الى الكمال .

ولم يقف الولوع بخدمة الأدب العربي بشوقي عند حد التمثيل بل تعداه الى الموسيقي فراح يغذيها من تلك الشاعرية المذابة بالحب والجمال بأغاريد عدها بعض الكتاب بدعة محطة بالشعر ورأى فيها الفنانون والادباء وعلماء النفس ابداعاً او ظاهرة تنم عن عبقرية ونبوغ . فشوقي أيها السادة نابغة عبقري ليس بقصائده بل برواياته وأغاريده .

فيا أيتها الروح الذكية التي ترفرف الساعة في سماء هذا المجمع منتعشة لذكراها قري عيناً ، فأنت لم تنسلخي عن ذلك الجسد البالي الا لتتجردي لما هو أسمى وأعم ، الا لتمتزجي بلبن المرضع وأغرودة الطفل ، ومخيلة الصبي وذاكرة التلميذ . فينشأون غداً وكلهم شوقي بلغته ، شوقي بأدبه ، شوقي بمبادئه ، شوقي بغيرته على أمته .

ولعمري ذلك هو النصر والفتح المبين . تلك هي العظمة الحقيقية ، هذا هو الخلود .

﷽ شوقي والنزعة العربية ﷽

«خطاب الامير مصطفى الشهابي»

— (() —

كنا في أواخر أيام السلطان عبد الحميد عصبة تلامذة في فروق تتداعى خلسة ويعقد بعضنا على بعض وعوداً للاجتماع في غسق الليل تدارس الأدب العربي والتركي والفرنسي ونقرأ من الصحف المصرية ماحرم السلطان علينا مطالعته . وكنا جميعاً دعاة للعربية وسعاة لاستقلال الشرق العربي وقد هلك معظمنا في هذه الغاية فيما بعد وراحوا شهداء حرية بلادهم . ففي تلك الايام السود الحوالك وفي حذر المجرم الخائف المتماسك كان يهمس احدنا في أذن أخيه قائلا : أترى يتاح للامة العربية شاعر قومي يوقظ منها النيام المسبتين والكسالى الخادرين ، شاعر اذا تغنى فبالنيل وبردى والفرات ودجلة ، واذا حن فالى مهد عيسى واحمد والى فراديس القاهرة وجناتها الغناء والى الربوة والغوطتين والى لبنان وبلاد الرافدين ، واذا استعز على الناس واستكبر فبالملوك الحلاحل من بني غسان وبالغر الميامين من عبد شمس وبالخلائف الصيد من بني هاشم وبالأبطال الاشاوس من بني حمدان وبني ايوب وبني الاحمر وبني مرين وبني فاطمة الزهراء وكل قرين لهم عربي او مستعرب ممن طواهم الدهر في طياته لكنه عجز عن طمس أعمالهم الخالدة وأمجادهم التالدة .

وكانت تأتينا من مصر فيما يأتي قصائد شوقي وفرائده فكنا نقرأها بل نستظهرها معجبين بجمال حوكها ومتانة لغتها ودقة التصوير والتحليل فيها . لكنها ما كانت لتشفي منا غليلاً ولا لتطفيء في نفوسنا نيران الشباب المتأججة . بل كنا نردد الاستنكار قائلين مالشوقي ورياض البوسفور يمدحها في قصيدته «البوسفور كأنك تراه» وماذا يعنيه من جسر غلطة ومن نهو كوك صو ومن كلاب الاستانة وحدائقها وقصورها ونحن قد تشبعنا بوصفها حتى التخمة في شعر ادباء الترك ونثرهم امثال توفيق فكرت وخالد ضيا وعبد الحق

حامد وجناب شهاب الدين ومن على غرارهم من الفحول الذين ذاع صيتهم واستفاضت شهرتهم لدى الشعب التركي .

ثم أخذنا نقرأ امادیحه في السلطان عبد الحميد وثناءه على العثمانيين وبسالتهم فكنا نتهامس بانه مسلم لاح له ان يطري خلافة فروق القائمة لكنه سها عن باله اننا في عصر النور والقومية بل محب للترك له الحق كل الحق بان يشيد برجالهم وبلادهم لكننا نراه يثني عليهم بلسان عربي لا يفهمه المخاطبون ولا يريدون ان يفهموه .

وكنا والله يعلم نأسف لتلك الجهود الضائعة يبذلها شاعر عربي فحل ما انجبت الكنانة مثله منذ قرون ويوجهها الى قوم لا يكترثون لها لانهم لا يفهمونها . اما شباب العرب الذين يدركون تلك الروائع فلقد كانوا عنها في شغل شاغل . وكيف تشجيهم هذه الاناشيد وهي ما صيغت لهم ولا لبلادهم ولا لقومهم .

وكنا في اسمارنا نقول أترى لو كان فكتور هوغو كتب بلغة غير لغة الفرنسيس قصائده الحماسية الهائلة التي دونها في كتاب «المشاهدات» أفكان يكون لها تأثير يذكر في ابناء جلدته . ولو ظل شوقي يحمس ضباط الترك وشبابهم عشرات السنين بقصائد عربية حماسية تحاكي فرائد المتنبي أفيمكن ان يكون لجهده المضني تأثير كبير يذكر في اناس يجهلون لسانه ولكم لعنا الأقدار التي جعلت مثل هذا الأديب العربي الكبير يكد لغير قضيتنا ويشيد بغير بلادنا .

ثم دار دولاب الدهر فثارت الحرب الكبرى فطحنتنا فيمن طحنته واهلكت عدداً من رفاقنا لكنها ما انقشعت غمائمها السود حتى فصلت البلاد العربية عن البلاد التركية وحتى طلع علينا شوقي بسينيته المشهورة في الاندلس . وما ان قرأنا فيها قوله :

وعظ البحتري ايوان كسرى وشفتني القصور من عبد شمس

وقوله :

وعلى الجمعة الجلالة والنا صر نور الخميس تحت الدرفس

ثم قوله :

صنعة الداخل المبارك في الغر ب وآل له ميامين شمس

قلت ما ان قرأنا له هذه الابيات واشباهها حتى هللنا وكبرنا وقلنا الآن بدأ امير

الشعراء بكون شاعر النزعة العربية الكبرى . وقلنا لعل انفصال بلادنا عن بلاد الترك هو ما ولد فيه هذه النزعة أو هو ما حدا به الى اذاعة ما استسر منها في قرارة نفسه ، دون محاذرة دولة الخلافة او مغاضبة ضميره في حبه الخالص للترك ودفاعه المجيد عن الدولة العثمانية .

ثم اختلفنا اليه في لبنان منذ سبع سنين وانا في ذات يوم لمسرح الطرف في آكام الجبل وحراجه الملتفة وتنادر ونرسلها افكوهة تتلوها املوحة واذا باحد رفاقنا يبتدره قائلاً يا ابا علي يا امير الشعراء انت شاعر مصر الاكبر وشاعر الاسلام وشاعر الملوك من آل محمد علي وشاعر الخلفاء العثمانيين والترك الكماليين وانت الفياض الذي جمع بين وصف الدنيا باجمل ما فيها ووصف الآخرة باروع ما في الدين من ايمان وتقوى ، هلا اضفت الى كل هذه النواحي التي سالت فيها مراهف اقلامك ومقاطرها ناحية هي لدينا بكل تلك ؟ فقال رحمه الله وقد تجهم لنا وانتصب على كرسيه اي ناحية هذه ؟ وكأنه يستغرب ان يكون ثمة نواح لم تتناولها عبقريته ولم يبذ الناس فيها ببيانه فقلت هي التي ذر قرن شمسها ولاح نور هلالها في اندلسيتك السينية . هي وصف روائع الطبيعة في بلاد الشرق العربي كافة هي تذكيرنا بالشموس السواطع من أجدادنا هي حثنا على عظيم الأعمال وجليل الشؤون حتى نصبح احراراً في بلادنا . والخلاصة هي ان لا تقصر نفسك في قرائدك على مصر او على من لا يفهمونك من الترك بل تطمح بها الى البلاد العربية اللسان كلها فتكون شاعر العرب الاكبر وشاعر المنازع العربية الشامية ، ونحن بعد هذا موقنون بان شباب العرب في الشرق والغرب سينكبون على قصائدك يستظهرونها ويروونها في كل مكان ويمزجونها بدمهم حتى انه لو امكن انتقال العلوم والآداب بالوراثة لولد اطفالنا وهم حفاظ لاشعارك مذاييع لاخبارها . ثم اضفت قائلاً نحن ما تقاعس شعراؤنا عن القيام بواجبهم نحو مصر وهاك مطران والرافعي وغيرهما دليل ساطع على ذلك كما ان النزعة العربية ما عدمت شعراءها كالزركلي وجبري ومردم والخطيب في الشام والرصافي والزهاوي والشبيبي والكاظمي في العراق ، لكن النفس تواقة الى اتيانك بهذه النزعة حتى تكون اميرها وامير شعرائها على التخصيص كما انت امير الشعراء على التعميم .

ولقد رأيت بعد ذلك وجهه المربد يبش لنا ، ولمحت الخير في مرائره ، واذا به يجيب

قائلاً أيها الصحاب كأني بكم تأمرون بي لكنكم ماتجاوزتم المكنون في نفسي. فانطلقنا نتباشر بالامر، واذا بشوقي يطلع علينا بعد قليل أي عندما اجتمعنا لتكريمه في مجمعنا العلمي العربي الدمشقي في ١٠ آب «اغسطس» سنة ١٩٢٥ بيتيمة نونية مامدح الانس ولا الجن دمشق واهلها بمثلها منذ ماكانت هذه المدينة الخالدة حتى ايام الناس هذه. وقد تناولت تلك الدرة وصف دمشق وجناتها والاشادة بالأمويين وملكهم العظيم وذكرت اهل الشام بانهم أحفاد بني غسان وعبد شمس وحثتهم على اعادة الملك واوضحت لهم السبل التي تؤدي بهم الى هذه الغاية. ولو لم يكن للفقيد سوى هذه القصيدة في منازعنا القومية لكانت وحدها منة له في اعناقنا تدوم مادام في بلاد الشام ناطق بالضاد. لكن الراحل الكريم لم يكتف بها بل ماكادت تنكب دمشق في ثورة بلاد الشام الاخيرة حتى نسج لها قصيدة قافية مهلهلة تحرك الصخر الاصم وتعيد الحياة الى الميت في ترابه، وقد ضرب بها على الوتر العربي الذي نحن بصدده وهو الوتر الشرقي كما يسميه كثيرون منا ويشيرون بلفظة الشرق الى البلاد التي يتكلم ابناؤها العربية قال:

ويجمعنا اذا اختلفت بلاد ... بيان غير مختلف ونطق

ثم لم ينس النزعة نفسها في آيته التي ألقيت في حفلة تكريمه بدار الاوبرا المصرية فقال:

رب جار تلفتت مصر توليه ... سؤال الكرام عن جيرانه

وقال:

كلما أن بالعراق جريح ... لمس الشرق جنبه في عمانه

ثم أتحفنا بلامية عصماء في ذكرى استقلال الشام وذكرى شهدائه جاء فيها:

بني البلد الشقيق عزاء جار ... أهاب بدمعه شجن فسالا

قضى بالامس للابطال حقاً ... وأضحى اليوم بالشهداء غالى

ومازلنا اذا دهت الرزايا ... كأرحم مايكون البيت آلا

وقد مدح لبنان وتغنى بجماله ونظم موشحاً في عبد الرحمن الداخل وألف رواية مجنون ليلى ورواية أميرة الأندلس ورواية عنترة كل ذلك في السنين الأخيرة من حياته بعد ان آمن بالنزعة العربية الكبرى ووطد النفس على ان يكون شاعر العرب الأكبر اي شاعر البلاد التي يتكلم أهلها باللسان العربي كما أسلفت ابا كانت أصولهم وأيا كان

الدين الذي يدينون به . وقد جلاّ في هذا المضمار وعلا وحلّق وقام فينا برسالته . ولو مدّ الله حياته الغالية لانتظمت فرائده بلادالشرق العربي بأسرها ولتناولت بعض الأقطار التي ما أتاحت له الأقدار زيارتها كالعراق وغيره .

فوا لهف نفسي على بلبلنا الغريد ونابنا الحزين وربابنا الطروب وحكيمنا النصوح رمدرهنا الأروع في مدلهمات الشؤون . أثابه الله عن الوطن العربي الاكبر خير ما يتمناه له شبابنا الأحامس كلما رتلوا آياته البينات وتغنوا فيها بروائع البلاد ومحامد الأجداد والسلام .

﴿ في ظلال كرمة ابن هانئ ﴾

« للاستاذ شفيق بك جبري »

—(()—

يا كرمة ذويت فيهـا أمانينا ... لا الظل ضاف ولا الافنان تندينا
يا نائح الكرمة الولهي ظلائلها ... سقت غصونك أجفان الشجينا
كانت لياليك بيضاً في دجنتها ... يرف فيها الهوى ريان مجنونا
ماضاع عمرك الا في مضاحكه ... ولا تمليت الا الخفض واللينـا
لاه عن الدهر مشغول بناعمة ... من الشبيبة في أفياء لاهينا
يا عيشة في حمى اللذات فيأها ... سكر الهوى والغواني والخليينا
ملأت جانبهـا لعباً وتسلية ... خير الليالي التي باتت تسلينـا
وما الحياة اذا طالت مسافتها ... وانت تدرجها ولهان مشجونا
فما أبالي وعين الموت ساهرة ... أعشت عشرين أم عشت الثمانينـا

* * *

قم ناج كرمته واسأل منابتها ... اما على مصر غريد يغنينـا
قد كنت بلبلها في عز نهضتها ... وفيتها الحق في رأس الموفينا
جعلت تمثالها شعراً تميس به ... أبقى على الدهر من آثار «آمونا»
وحي من الله لم يهبط على ملأ ... من الف عام ولم ينزل مثاوينا
دم الجهاد على عطفيه منسجم ... يريك في ثورة النيل الميادينـا
يخلد النهضة الميمون طالعهـا ... في ظل قوم على الجلى ميامينا
غنيت بالنيل في شجو يباكرنا ... على الكنانة أو عيد يغادينا
صغت القوافي له في كل نازلة ... محبوكة الوشي من وشي اليمانينا

لما نفوك عن الاهرام رق لها واف يناجي ذرى الاهرام محزونا
فما سلوت ظلال النيل في بلد أرخى ظلالته يسرى أمانينا

***

يا ناظم الشرق في شعر يطاف به على حمى الشرق روحاً أو رياحينا
قد كنت تعزية الاسلام في ألم يشتد حيناً وتطويه الاسا حينا[1]
كم نوحة لك في خطب أصيب به يخف في نغمها جرح المصابينا
ما زلت تدفع عنه كل عادية حتى تمزق لا دنيا ولا دينا
مستعبد في ربوع كان سيدها ومستضام بايدي الأجنبينا
في كل ناحية عسف يهدمها تكاد تطفح بالشكوى نواحينا
أين الخلافة في الاسلام مشرقة تلقي على هامة الدنيا التحاسينا
مشت لها الارض وانقادت لطاعتها فما ترى فوقها الا مذاعينا
يا صرخة في شتات الترك صادقة تكاد تسمع في الترب السلاطينا
بكيتهم في مصاب هد جانبهم على أدرنة يفنيهم ويفنينا
تلك المناكر ما زالت فظاعتها ملء الخواطر والانظار تدمينا
وصفت آثارها في أخت أندلس وصفاً يهجن اهل الغرب تهجينا
بينا نراهم على سلم ملائكة نلقى الرجال على حرب شياطينا
أضحت حضارتهم غشاً ومكذبة فعل الذئاب وأقوال النبيينا
ما زلت أحسن ظناً بالذي زعموا حتى أسأت بدعواهم أظانينا
هذي الظواهر لم تصدق بواطنها أمست على الدهر سراً في عوادينا

***

يا ويح قلبك لم تهدأ جوانبه عن عبد شمس ولم تهدأ جوانينا
أملت عليك بقاياهم بأندلس مخلدات القوافي في أمالينا
بنوا وهدمت الأيام بنيتهم وكم بناة لهدم ما يبنونا

(١) — جمع أسوة وهو ما يتعزى به الحزين ٠

ملك شتيت وتيجان مبعثرة ... لم يبق من عزها الا تأذينا
شفتك منهم قصور فنها عجب ... يكدن بعد انحدار الملك يهوينا
كانت لنا في خوالي الدهر تهنئة ... فأصبحت في بواقيه تعازينا
لمست فيها عظات الدهر دارجة ... على بقايا رسوم من أمانينا
مشت عليها الليالي في شدائدها ... فبدلت عزها الوضاح تهوينا
فلا القصور قصور ان نزلت بها ... ولا الملوك اذا ناديت واعونا
حلم مرحنا به حيناً وتمنية ... ظلت على زحمة الاحقاب تشجينا
يا وقفة في ظلال الطلح تسألها ... نشجى لواديك ام نأسى لوادينا (١)
ناجيت نائحها نجوى هززت بها ... تلك الرياحين حتى كدن يبكينا
فأين في الطلح تيجان تظلله ... وأين فيه سلاطين يحامونا
بعثت فينا هوى الماضي وروعته ... والنفس تهتز من روعات ماضينا
تكاد تلمس جنبيه أناملنا ... اذا وصفت فتدنيه وتدنينا
على نشيدك من تخليده صور ... زهت حضارتنا فيها أفانينا
في كل ناطقة فن يفرحنا ... وكل هامسة سحر يبكينا
صحائف خلدوا فيها مناقبهم ... فهل ترى بعدها الا عناوينا
كنا معاني في الأحقاب لامعة ... مضت وما بقيت الا أسامينا

* * *

يا دمعة لك في الفيحاء هيجها ... ملك لمروان مغصوب يناجينا
غنيت بالملك والتيجان هاوية ... حتى لمسنا مهاويها بايدينا
فأين مسجدك المحزون تسأله ... هل قام مروان في حشد المصلينا (٢)
وابن من عبد شمس سادة درجوا ... عالين كالشمس لا عاباً ولا هونا

---

(١) إشارة الى قصيدته الاندلسية رحمه الله :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا ... نشجى لواديك أم نأسى لوادينا

(٢) إشارة الى قصيدته في دمشق التي يقول فيها :

مررت بالمسجد المحزون أسأله ... هل في المصلى أو المحراب مروان

هجت العروبة في أفياء غوطتنا حتى حننا عليها عبشميينا
بعثتها في الحمى من بعد هدأتها حيناً من الدهر نطويه ويطوينا
نامت خواطرنا عنهـا فأيقظها سحر القوافي فجاشت في أغانينا
من بعد ما ذهبت عنا خيالتها حنت الينا خيالات تناغينـا
ذكرى أمية لم تبرح حواضرنا لما بكيت ولم توحش بوادينا
ناجيت جلق في وحي تردده علّى اعتلاج الأذى فيها مغانينا
على بيانك وشي من خمائلنا وفي قوافيك طيب من روابينا
لم تنس نكبتها والله حارسها لما صبغنا ثراها من أضاحينا
هبت تحيتك الريا تموج بها صبا الاصائل في ريان نادينا (١)
فضج كل أبي من شكائمنا وثار كل كريم من تغاضينا
غمزتها غمزة هزت جوانبها فانصاع في غفية الأجفان غافينا
قصائد بدم الأحرار مائجة من وحي جلق نعليها وتعلينـا
مغموسة في نجيع من حصائدنا مصبوغة بصباغ من مواضينا
فيها من الثورة الحمراء أمثلة تمثلت في مجاليها معالينا
تلكم أمية كرمنا منازلها فلن ترانا عليها مستذلينا

***

يا بنت فرعون والأشجان مائجة هلا صبرت وبعض الصبر يسلينا
لو كان يشفي رثاء في ملمتنا صغنا الجوانح شعراً في مراثينا
يكفي النعي خلود في قلائده هذا الرثاء الذي أعيا قوافينا
فنم على الدهر شوقي في دواجنا مورف الظل لا نامت ليالينا
العبقريات في الدنيا مخلدة ومن يسد سبيل العبقريينا
ما كان خطبك الا أمة درجت وقد يعادل شعر أمة فينـا
هذي أمية لم تهدأ وساوسنا على دمشق ولم تنشف مآقينا

---

(١) إشارة الى قصيدته التي حيا فيها دمشق :

سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق

اهم الحشرات الزراعية

« في مصر والشام »

الحشرات في العالم آلاف مؤلفة وربما افنى المرء عمره في درس أنواع رتبة واحدة من رتبها . واعرف عالماً اوربياً اخصائياً برتبة مُغْمَدة الاجنحة سلخ عشرين سنة من عمره وهو مكب على أنواع هـذه الرتبة درساً وتنقيباً ولماينته بعد. وآخر لم يتناول من هذه الرتبة سوى فصيلة واحدة لايتجاوزها الى غيرها من الفصائل . ولهذه الحشرات اسماؤها العلمية لكنه ليس لكثير منها أسماء باللغات الأوربية حتى اللغات الكبيرة منها .

ويستحيل إيجاد الفاظ عربية لهذا الجيش الجرار من الحشرات ولا كبير فائدة للغة في ذلك، لكنه لابد من إيجاد اسماء للتي لها تأثير كبير في صحة الانسان وفي مرافقه الاقتصادية . ومن المعلوم ان النباتات الزراعية عرضة لفتك عدد من الحشرات بهـا كالجراد والسوس وذباب الفواكه وغيرها ، وان أضرار هـذه الحشرات عظيمة جداً فمن الضروري إذن ان نضع لها وحدها على الأقل أسماء عربية يتفق عليها الناطقون بالضاد .

ويمكن اتباع طريقتين في وضع هذه الأسماء وهما : اولاً الرجوع الى اشتقاق اللفظة العلمية وترجمة معناها اذا كان لها معنى او تعريبهـا اذا كانت منسوبة الى احد العلماء وذلك كما فعلنا في الرسالة النباتية[1] . ثانياً اضافة الحشرة الى النبات الذي تستولي عليه كأن يقال سوسة الفول وذبابة البرتقال ودودة القطن الخ . وهذه الطريقة هي اسهل من الأولى واقرب من الذهن . وهي متبعة في اللغات الأوربية لكثير من الحشرات لكنهـا تكون متعذرة كلما كان للنبات الواحد حشرات عدة تفتك به . وعلى كل لا بد من ذكر الاسم

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ١٢ جزء ٢ .

العلمي للحشرة بجانب اللفظ العربي الذي يطلق عليها وهو ما نرى مثيله في الكتب المطبوعة بلغات اوربة المشهورة ، لأن الاسم العلمي هو الذي يعول عليه طالب العلم مهما كانت لغة الكتاب .

وبعد لقد اوردت في هذه المقالة ٧٤ حشرة من اهم الحشرات الزراعية في مصر والشام . فاما التي في الشام فقد حققتها مديرية الزراعة والمصالح الاقتصادية عندما كنتُ مديراً لها وبعد ذلك ، واما التي في مصر فقد نقلتها عن كتاب « علم الحشرات الاقتصادي » للأستاذ نعمان محمد وكتاب الزراعة المصرية ونشرات وزارة الزراعة المصرية .

وراجعتُ هذه الحشرات في معجم الحيوان للعلامة امين باشا المعلوف ومعجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد بك شرف فلم اجد معظمها ولهذا رأيت من المفيد اثباتها في هذه المقالة .

وكان بإمكاني ذكر عدد من الحشرات الزراعية الأخرى يعادل هذا العدد لكنني ضربت صفحاً عنها لأنه ليس لها كبير شأن في القطرين الشامي والمصري :

حشرة الصندل ، الماشوط (عاميتان) . دودة ورق اللوز . وهي من ذوات الاجنحة الحرشفية	Abrasca grossulariata
الجراد الراحل والرحال . وفي الشام الجراد النجدي يسمى ايضاً (Schistocerca gregaria) وهو من مستقيمة الأجنحة	Acridium peregrinum
الدودة القارضة من حرشفية الأجنحة	Agrotis ypsilon
دودة قرون السمسم . من حرشفية الأجنحة	Antigastra catalaunalis
جنس المنّ . وسماه الدكتور امين باشا المعلوف جنس الأرقة والأرقان واليرقان . اما انا فقد كنت أطلقت هذه الألفاظ في كتاب الزراعة العملية الحديثة على دودة القمح الخيطية .	Aphis
منّ الملفوف (من ذوات الاجنحة النصفية)	Aphis brassica
〃 الفول	〃 faboe

Aphis gossypii	منّ القطن
〃 malva	〃 الخبّازى
〃 papaveris	〃 الخشخاش
〃 pisi	〃 البزلياء (بسلة)
〃 punicella	〃 الرمان
〃 pyri	〃 الكمثرى
〃 rosarum	〃 ورق الورد
〃 rosœ	〃 عسالج الورد
〃 rumicis	〃 الحمّاض
Aspidiotus aurantii	الحشرة القشرية الحمراء · حشرة البرتقال القشرية (من ذوات الأجنحة النصفية)
〃 aonidum	الحشرة القشرية السوداء
Asterolocanium pustulans	حشرة التين القشرية (من ذوات الأجنحة النصفية)
Bruchus affinis	سوسة (خنفسة) الجلبان · وهي من مغمدة الاجنحة
〃 irresectus	〃 〃 الفاصولياء
〃 lentis	〃 〃 العدس
〃 pisi	〃 〃 البزلياء
〃 rufimanus	〃 〃 الفول
〃 tristis	〃 〃 الحمص
Calandra granaria	خنفساء الحنطة · سوس الحنطة · وهي من مغمدة الاجنحة
〃 orizœ	خنفساء الأرز · سوس الأرز
Carpocapsa pomonella	دودة التفاح (من ذوات الاجنحة الحرشفية)
Cephus tabidus	دبور الحنطة المنشاري (من ذوات الاجنحة الغشائية)
Ceratitis capitata	ذبابة الفواكه · ذبابة البرتقال (من ذوات الجناحين)
Ceroplastes rusci	حشرة التين الشمعية (من ذوات الاجنحة النصفية)

Chilo simplex	بق القصب الدقيق (من ذوات الاجنحة النصفية)
Cimbex humeralis	يسمونها ايضاً حشرة الصندل شمالي الشام وهي من غشائية الاجنحة . تستولي على ورق اللوز خاصةً
Dacus oleœ	ذبابة الزيتون (من ذوات الجناحين)
Earias iusulana	دودة لوز القطن (من حرشفية الاجنحة)
Elater segetis	دودة السلك الحديدي . الدودة الصفراء (هكذا يسمي الفرنسيون دودتها وهي من مغمدة الاجنحة)
Ephestia cautella	دودة البلح (حرشفية الاجنحة)
» kuehniella	فراشة الدقيق الشهباء
Epilachna chrysomelina	خنفساء القثاء (مغمدة الاجنحة)
Eurygaster integriceps	حشرة السونة (عامية) . بق الحنطة والشعير . (من ذوات الأجنحة النصفية)
Euzophera osseatella	دودة الباذنجان (حرشفية الأجنحة)
Gelchia gossypiella	الدودة القرنفلية (من حرشفية الأجنحة)
Gryllotalpa vulgaris	الحرّاثة . الحالوش في الشام والجنار في مصر (من ذوات الأجنحة المستقيمة)
Haltica brassicœ	برغوث الملفوف (من مغمدات الأجنحة)
» oleracea	برغوث الخضر (هكذا يسميه فلاحو فرنسة لانه ينط كالبراغيث) . وهو موجود في بساتين الغوطة
Hupera variabilis	سوسة ورق البرسيم (من ذوات الأجنحة المغمدة)
Icerya purchasi	البق الدقيقي المفرطح . منّ البرتقال (من ذوات الاجنحة النصفية)
Laphygma exigua	دودة القطن الخضراء
Laspeyresia molesta	دودة الدراق . تكاد تقضي على دراق الغوطة . (وهي من حرشفية الأجنحة)

Melolontha vulgaris	الدودة البيضاء . هكذا تسمى دودة هذه الحشرة بالفرنسية (وهي من مغمدة الأجنحة)
Nadasia obsoleta	دودة السنط (من حرشفية الاجنحة)
Oxycarenus hyalinipennis	بق بزرة القطن (من ذوات الاجنحة النصفية)
Parlotaria calianthina	حشرة التفاح القشرية . حشرة المشمش القشرية (من ذوات الاجنحة النصفية)
Phenacoccus hirsutus	بق الخطمي . بق الهبسكس الدقيقي (من ذوات الاجنحة النصفية)
Phylloxera vastatrix	حشرة الفيلوكسرا (من ذوات الاجنحة النصفية)
Pieris rapœ	دودة الكرنب . فراشة الملفوف الخضراء (حرشفية الاجنحة)
Plusia gamma	الدودة المقوسة . فراشة غما (حرشفية الاجنحة)
Prodenia litura	دودة القطن (حرشفية الأجنحة)
Pseudococcus sacchari	بق القصب الدقيقي (من ذوات الاجنحة النصفية)
Psylla oleœ	قمل الزيتون . منّ الزيتون (من ذوات الاجنحة النصفية)
Raphidopalpa foveicollis	الخنفساء الحمراء (مغمدة الاجنحة)
Schizoneura lanigera	حشرة المنّ القطني . منّ التفاح القطني (من ذوات الاجنحة النصفية)
Scythris temperatella	دودة الزرع (من ذوات الاجنحة الحرشفية . منتشرة في انحاء الشام)
Sesamia cerealella	دودة قصب السكر الكبيرة (من حرشفية الاجنحة)
Sitotroga certica	سوس الحبوب . وفي مصر سوس الشعير (من حرشفية الاجنحة)
Stauronotus marocanus Dosiostaurus marocanus	الجراد المراكشي . وهو جراد ألف الجزيرة والموصل . ويسمونه ايضاً جراد الجزيرة وينسب الى المستقيمات الاجنحة
Tinea granella	دودة حبوب المخازن (من حرشفية الاجنحة)

خنفساء الدقيق (من مغمدة الاجنحة)	Tribolium ferrugineum
دودة يرقان الحنطة · دودة القمح الخيطية · دودة القمح الثعبانية (وهي وحدها من الدود لا من الحشرات)	Tylenchus tritici
بَيْزر الكمثرى (من ذوات الاجنحة النصفية)	Tyngis piri
الزنبور (دبُّور في الشام) من غشائية الاجنحة	Vespa orintalis
الزُرْقُطة (عامية شامية)	〃 vulgaris
دودة الرمان (من حرشفية الاجنحة)	Virachola livia
قَدَع ساق التفاح (من حرشفية الاجنحة)	Zeuzera pyrina
دودة براعم الكرم (لم نثبت نوعها) · وهي من ذوات الاجنحة الحرشفية · تضر دودتها ببراعم الكروم وأغصانها الصغيرة في الغوطة ·	Zygœna

مصطفى الشهابي

مجمع اللغة العربية الملكي

« المرسوم الملكي »

نحن فؤاد الاول ملك مصر

بعد الاطلاع على الامر العالي الصادر في ١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٨ بتحديد اختصاصات الوزارات المختلفة ·

وبناءً على ماعرضه علينا وزير المعارف العمومية وموافقة رأي مجلس الوزراء رسمنا بما هو آت ·

المادة ١ — ينشأ معهد باسم « مجمع اللغة العربية الملكي » يكون تابعاً لوزارة المعارف العمومية ·

ويكون مركزه مدينة القاهرة ·

المادة ٢ — اغراض المجمع هي :

(أ) ان يحافظ على سلامة اللغة العربية وان يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر وذلك بان يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ماينبغي استعماله أو تجنبه من الالفاظ والتراكيب ·

(ب) ان يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية وان ينشر ابحاثاً دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغيير مدلولاتها ·

(ج) ان ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية ·

(د) ان يبحث كل ماله شأن في تقدم اللغة العربية مما يعهد اليه فيه بقرار من وزير المعارف العمومية ·

المادة ٣ — يصدر المجمع مجلة تنشر فيها تنشر أبحاثه التاريخية وقوائم الألفاظ والتراكيب التي يرى استعمالها أو تجنبها وتتقبل مناقشات الجمهور واقتراحاته ·

وينشر على الطريقة العلمية من النصوص القديمة مايراه لازماً لأعمال المعجم ودراسات فقه اللغة .

المادة ٤ — يؤلف المجمع من عشرين عضواً عاملاً يختارون من غير تقيد بالجنسية من بين العلماء المعروفين بتبحرهم في اللغة العربية أو بابحاثهم في فقه هذه اللغة أو لهجاتها .

ويعين الأعضاء العاملون لاول مرة بمرسوم بناء على عرض وزير المعارف العمومية .

واذا خلا محل من احدالأعضاء اقترح المجمع اسم العضو الجديد باغلبية ثلثي أعضائه العاملين ويجب ان يصحب الاقتراح بتقرير مفصل لمؤهلاته العلمية ويعين العضو الجديد بمرسوم بناء على عرض وزير المعارف العمومية .

المادة ٥ — يختار رئيس المجمع من بين ثلاثة أعضاء عاملين ينتخبون باغلبية أصوات الأعضاء الحاضرين ويكون تعيينه بمرسوم لمدة ثلاث سنوات بناء على عرض وزير المعارف العمومية ويجوز عند انقضاء مدته إعادة تعيينه بالطريقة نفسها .

المادة ٦ — تسقط العضوية عن العضو :

(أ) اذا صدر عليه حكم مزر بالشرف .

(ب) اذا صدر قرار مسبب لفصله من المجمع باغلبية ثلثي الأعضاء .

(ج) اذا عجز عن مباشرة أعماله لمرض أو لظروف أخرى .

ويحذف الاسم في هذه الأحوال بمرسوم .

واذا سقطت العضوية عن عضو عامل للسبب الثالث جاز تعيينه عضواً فخرياً طبقاً للمادة التالية بشرط ان يكون قد استحق تقدير المجمع .

المادة ٧ — يجوز من غير تقيد بالجنسية ان يمنح لقب عضو فخري للأشخاص الذين يكونون قد قاموا بخدمات جليلة الشأن في دراسة اللغة العربية أو لهجاتها . ولا يجوز ان يزيد عدد الأعضاء الفخريين على العشرين . ويمنح اللقب بمرسوم بناء على اقتراح المجمع وعرض وزير المعارف العمومية .

المادة ٨ — للمجمع ان يمنح لقب «عضو مراسل» لكل شخص مصري اوأجنبي يرى في استمرار معونته فائدة كبرى ويكون تعيين الاعضاء المراسلين من وزير المعارف العمومية وليس لهم عدد محدود .

المادة ٩ — يدعى المجمع كل سنة للانعقاد مدة شهر على الاقل في الشتاء او في الربيع للنظر في المسائل المنوطة بالمجمع كله ومنها اصدار القرارات واختيار رئيس المجمع واعضائه ٠

يحدد الرئيس موعد دور الانعقاد ومدته ويشعر الاعضاء بهما قبل الانعقاد بستين يوما على الأقل حتى يتسنى لمن يقيمون خارج القطر منهم الاشتراك في جلسات المجمع ٠

يعقد المجمع في دور انعقاده عشرين جلسة على الاقل ويتداول الرأي في الاعمال التى اعدت منذ دورته الاخيرة ويجب المبادرة بابلاغ هذه الاعمال الى الاعضاء العاملين ليتسنى لكل منهم درسها قبل دور الانعقاد ٠

ولا تعقد اجتماعات عامة في غير دور الانعقاد السنوي ومع ذلك يجوز في السنتين الاوليين ان يدعى المجمع للانعقاد دورتين في كل سنة ٠

ولا تكون قرارات المجمع صحيحة الااذا حضره اثنا عشر عضواً على الأقل وتصدر القرارات باغلبية آراء الاعضاء الحاضرين فاذا تساوت الاصوات رجح رأي الجانب الذي فيه الرئيس ٠

المادة ١٠ — للمجمع ان يعهد في اعداد كل فرع من فروع الاعمال الموكولة اليه الى لجنة ينتخبها من بين اعضائه العاملين ٠

ولهذه اللجان ان تعقد اجتماعاتها في غير المدة المحددة للاجتماعات العامة ٠

المادة ١١ — يجوز ان يدعى لحضور اجتماعات اللجان والجلسات العامة اشخاص من غير الاعضاء ممن يرى ضرورة مراجعتهم ومعاونتهم في اعمال المجمع وهؤلاء يكون رأيهم استشاريا ٠

المادة ١٢ — الرئيس هو الذي يتولى الادارة العامة للمجمع وهو الذي يرأس جلساته ويراقب تنفيذ قراراته ٠

فاذا غاب أو حدث له مانع ناب عنه من بين الاعضاء العاملين الموجودين بالقاهرة اكبرهم سناً ٠

وان خشي ان يطول غيابه أو أن يستمر المانع الذي حدث له عين وزير المعارف العمومية من يقوم مقامه من بين الاعضاء العاملين ٠

المادة ١٣ — يحدد مجلس الوزراء مايعطى للاعضاء المقيمين خارج القاهرة في مقابل الانتقال والاقامة كما يحدد مكافاة الاعضاء العاملين الذين توكل اليهم اعمال دائمة بخلاف اعمال جلسات المجمع والمكافآت التي تمنح لحضور الجلسات ويحدد المجمع نفسه في كل حالة مقدار المكافاة التي تمنح لاعضائه المراسلين في مقابل الاعمال الخاصة التي يرى وجهاً لتكليفهم القيام بها ٠

المادة ١٤ — للمجمع ان يقبل التبرعات التي ترد اليه من طريق الوقف والوصايا والهبات وغيرها على ان قبوله لا يكون نهائياً الا بعد تصديق وزير المعارف العمومية ٠

وتتولى وزارة المعارف العمومية ادارة اموال المجمع ٠

المادة ١٥ — تلحق ميزانية المجمع بميزانية وزارة المعارف العمومية ويضع المجمع مشروعها في كل عام ويرفعه الى وزير المعارف العمومية لاقراره بالطريقة المعتادة ٠

وتتكون ايرادات المجمع من غلة امواله ومن الاعتماد المخصص له بميزانية الدولة ٠

المادة ١٦ — تتولى وزارة المعارف العمومية طبع مايطلب المجمع طبعه بلا أجر وفي هذه الحالة يضاف مايتحصل من البيع الى حساب وزارة المعارف العمومية ٠

المادة ١٧ — تتخذ وزارة المعارف كل الوسائل التي تكفل اتباع قرارات المجمع في امر اللغة العربية والفاظها وتراكيبها وذلك باذاعتها اذاعة واسعة وباستعمالها بوجه خاص في مصالح الحكومة وفي التعليم والكتب الدراسية المقررة ٠

المادة ١٨ — يضع المجمع لائحته الداخلية وتعرض لتصديق وزير المعارف العمومية ٠

المادة ١٩ — يلحق بالمجمع الموظفون اللازمون لاعماله وتحدد شروط خدمتهم بقرار من مجلس الوزراء ويكون لرئيس المجمع بالنسبة لهم ماللرؤساء المصالح من السلطة والاختصاصات ٠

المادة ٢٠ — على وزير المعارف العمومية تنفيذ هذا المرسوم ويعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية ٠

صدر بسراي عابدين في ١٤ شعبان سنة ١٣٥١ (دسمبر سنة ١٩٣٢) اه ٠

هذا هو المجمع اللغوي المصري الذي طالما تاقت اليه نفوس الناطقين بالضاد والمجمع العلمي العربي يهنئ اخاه المجمع المصري ويرجو ان يحقق الآمال فيه ٠

مطبوعات حديثة

الجواهر
« في تفسير القرآن الكريم »

هذا التفسير هو للاستاذ طنطاوي جوهري العالم المصري المشهور وكنا قرظنا منه ستة العشر جزءًا الأول التي بلغ فيها المؤلف سورة فاطر (راجع مجلد ١٠ ص ٣٨١) وقلنا هناك ان هذا التفسير أشبه بمجلة تضمنت شرحًا لآيات القرآن ثم تاريخًا وأدبًا وأخبارًا وفلسفة وسياسة واجتماعًا وزجرًا ووعظًا وتنبيهًا وتحذيرًا الخ ·

وقد جاء اليوم من هذا التفسير بقية الأجزاء الى الثالث والعشرين والتي بلغ التفسير فيها الى سورة الرحمن · وهذه الأجزاء التي وصلت الينا تشبه أخواتها في غزارة المادة ووفرة العلم وكثرة الاستطرادات التي تمتّ الى آيات القرآن وتفسيرها بأضعف الأسباب وأقل المناسبات مما يذكرنا بما كنا قلناه اولاً من ان تفسير العلامة الطنطاوي لم يصنفه للطالب العجول · ولا للضجر الملول · وانما ألفه للزميت الوقور · الجليد الصبور ·

«المغربي»

اتحاف اعلام الناس
« بجمال أخبار حاضرة مكناس »
— جزؤه الثاني —

مر الكلام على الجزء الاول من هذا التاريخ لمؤلفه مولاي عبد الرحمن بن زيدان — في المجلد العاشر — وعلى الجزء الثالث في المجلد الحادي عشر · وكان فاتنا الكلام

على الجزء الثاني حتى جاءنا فنقول في صفته ما قلناه في أخويه من العناية والضبط وتتمي الوقائع والحوادث . ويكاد هذا الجزء يقتصر على ترجمة جلالة السلطان مولاي الحسن المتوفى سنة ١٣١١ هـ . ففي ترجمته تفصيل لتاريخ مراكش الحديث . وفي الكتاب صور ورسوم تاريخية كثيرة : منها صورة بقايا العربة التي أهداها لويس الرابع عشر الى مولاي اسماعيل وصورة السلطان حسن وصور كتب من وزراء خارجية فرنسا وبلجيكا وانكلترا وابطاليا وصورة استقبال السلطان حسن لسفير المانيا وصورة المركب الحربي الذي صنعته ايطاليا للسلطان وغير ذلك من صور الوثائق والنقود . ويتخلل الكتاب أبحاث مفيدة : من ذلك البحث التاريخي المتعلق باول من ضرب النقود (السكة) قبل الاسلام وبعده .

« المغربي »

❋ اهم آثار دمشق ❋

« وهي مجموعة مقالات للخوري بطرس جواد صفير »

« في ٨٦ صفحة من القطع المتوسط »

بحث المؤلف عن قدم دمشق وعن هيكلها الذي اتخذ كنيسة بيزنطية فمسجداً وهو المسجد الأموي وعن دار آل العظم والعادلية ومتحفيها . ولم يتعرض لذكر الظاهرية وقبة السلطان صلاح الدين ومساجد دمشق القديمة المهمة وبعض الدور التي تكاد تعادل دار آل العظم . والكتاب مفيد في الجملة وفيه تحقيق لكن عبارته ركيكة كثيرة الاغلاط واغرب ماقرأته فيه قوله ان العلم السوري « مؤلف من ثلاث قطع : سوداء وزرقاء وبيضاء ... الخ » فاذا كان حضرة القس يجهل الألوان الثلاثة الاصلية لعلم بلاده وهي اليوم كما كانت عليه ايام الملك فيصل فلينظر اليها في المتحف على الاقل وليذكرها صحيحة في كتابه .

مصطفى الشهابي

فن التعريب
— عن اللغة الفرنسوية —
« تأليف السيد ادوار مرقص »

كتاب ملأ فراغًا كانت البلاد بحاجة ماسة الى ملئه ، لان النقل من اللغة الفرنسوية الى اللغة العربية صناعة لا يجيدها الا المتضلع من اللغتين معًا حتى يستطيع ان يضع الترجمة العربية في قالب فصيح يفهمه القارئ ولو لم يكن له إلمام بقواعد اللغة الفرنسوية وبيانها وأساليب تركيبها . ومن ترجم ترجمةً حرفيةً أتت ترجمته سقيمة المبنى والمعنى يمجها القارئ لركاكتها وسخافة تركيبها العربي ، هذا فضلاً عن انها تشوّه محاسن الموضوع الذي تُرجم عنه . وبعكس ذلك اذا ألبس المترجم ترجمته لسانًا عربيًا فصيحًا لان لكل لغة بيانًا وفصاحةً يختلفان عن اللغات الأُخرى .

قسم السيد ادوار كتابه هذا الى أبواب درّج فيها المترجم تدريجًا حسنًا فوضع له أُسس القواعد وشتى الملاحظات . ثم ذكر له الألفاظ والتعابير المستعملة في اللغة الافرنسية وقابلها بما ماثلها بالمعنى في اللغة العربية الفصحى ثم جملاً من الكلام الافرنسي المجازي الذي اذا تُرجم بحرفه جاء النقل سقيمًا وغير مفهوم البتة من أبناء العرب ، ثم أمثالاً وعبارات جارية عند الافرنسيين مجرى المثل في كثير منها تورية أو كناية فبسط للمترجم الطريق التي يجب ان ينهجها في مثل هذه الأحوال ، الى غير ذلك من الأمثلة والتمارين المفيدة .

عبد الله رعد

الرسائل الضائعة ورسائل أُخرى
« تأليف السيد سامي الجريديني »

قال المؤلف عن الرسائل الضائعة ، التي نشر ترجمتها في هذا الكتاب ، انه اقتضبها من رزمة أوراق غفلت عنها احدى السيدات فغادرتها في حافلة قطار وُجد وإياها صدفةً فيه كلٌّ يقصد وجهة غير وجهة الآخر . فالتقط الاوراق ولم ينشر ما فيها الا بعد عودته

من فرنسة خوفاً من مقاضاة السيدة له في المحاكم . هذه الرسائل عبارة عن مكاتبات بين صديقة وصديقتها الواحدة منهن في باريز والأُخرى في لندرة . تشرح الاولى للأُخرى أحوالاً خاصةً غرامية وغيرها ، وتبثها خواطر مختلفة . وتشرح الاخرى للاولى أحوال الانكليز وعاداتهم ونوع معيشتهم ومخالطاتهم الى غير ذلك من الموضوعات وكذلك أحوالاً غرامية مرت بها كانت نتيجتها ان تزوجت من أحد الضباط الانكليز .

في هذه البيانات عبرٌ كثيرة وحكايات ضافية عن عادات الانكليز يملّها القارئ فيما لو كانت مجموعة على حدة في كتاب خاص الا انه لا يسأم مطالعتها في هذه الرسائل لاختلاطها في الموضوعات الاخرى وخصوصاً لان المؤلف أتى على ترجمة هذه الرسائل بطريقة بيانية سلسة متبعاً فيها أُسلوب البيان الغربي . وقد أصبحت هذه الطريقة في عهدنا مستحبة أكثر من الطريقة العربية القديمة فلكل جديد لذة . وقد طلاها باعراب عربي لا شائبة فيه .

اما الرسائل الأُخري فعبارة عن مقالات في الثورة العالمية وفي مبدإ القوميات وفي ميزة المدنية الغربية وفي حقوق الأُمم وسوى ذلك من المقالات الاجتماعية ذات التعليم الصالح والفوائد الغزيرة نشرها اولاً في احدى المجلات المصرية ثم طبعها في هذا الكتاب تتمة للفائدة . وهو حريٌّ ان يقتنى في البيوت فعبارته صحيحة من دون تكلف ومن دون استعمال الغريب في الكلم والتراكيب ، وعليه مسحة أدب تشفع بوضعه بين أيدي السيدات .

عبد الله رعد

هدايا كتب

أُسست في مدينة (دابهيل) من مضافات (سورات) في الهند — إدارة تأليف باسم (المجلس العلمي) برعاية العلامة السيد محمد انور شاه الكشميري أُستاذ الحديث في (الجامعة الاسلامية) بدابهيل . وقد اعتنى هذا الاستاذ جد العناية بوضع مصنفات في الدفاع عن الدين الاسلامي ولا سيما ما يتعلق بمناقشة (القاديانيين) وتزييف آرائهم ولم

يكتف بذلك بل حمل تلامذته ايضاً على مشايعته في وضع امثال هذه التآليف وقد أرسل الي مجمعنا السيد احمد رضا البجنوري (ناظم المجلس العلمي) طائفة من هذه المطبوعات (باللغتين العربية والفارسية) نسردها فيما يلي شاكرين لهؤلاء الفضلاء جميعاً مساعيهم الحميدة :

(١) عقيدة الاسلام في حياة عيسى عليه السلام تصنيف محمد انورشاه الكشميري

(٢) إكفار الملحدين في ضروريات الدين 〃 〃

(٣) نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين 〃 〃

(٤) كشف الستر عن صلاة الوتر 〃 〃

(٥) الجزء الاول من (هدية المهديين في آيات خاتم النبيين) تصنيف الاستاذ محمد شفيع الديوبندي ٠

هذه المصنفات باللغة العربية اما المصنفات باللغة الفارسية فهي :

(١) (الروح في القرآن) تصنيف العلامة شبّير احمد عثمان ديوبندي استاذ التفسير في (الجامعة) المذكورة ٠

(٢) خوارق عادات ٠ معجزات وكرامات تصنيف العلامة الموما اليه

(٣) (صدى ايماني) تصنيفه ايضاً

وفي ذيل هذه الرسالة رسالة اخرى باسم (نور ايمان) تصنيف مولانا مولوي بدر ٠

(٤) صدع النقاب عن جسّاسة الفنجاب (البنجاب) تصنيف السيد محمد ادريس سكرودهوي استاذ دار العلوم في ديوبند وهي منظومة باللغة العربية وشرحها بالفارسية ٠

المجلد الثالث عشر — الجزء ٣ و ٤

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

آذار ونيسان سنة ١٩٣٣ م

الموافق ذي الحجة سنة ١٣٥١ ومحرم وصفر سنة ١٣٥٢ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً	وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل	٥٠٠	من السنة الاولى الى السادسة	الى كل سنة منها
«	٣٠٠	« السابعة الى الثانية عشرة	«
في الخارج	٦٠٠	« الاولى الى السادسة	«
«	٣٥٠	« السابعة الى الثانية عشرة	«

ماهية الجنون وتاريخه

—(١)—

تكلمت في محاضراتي السابقة عن المسكرات الغولية والكوكائينية . ومما قلته في نتائجها ان إدمانها يؤدي الى فساد الأخلاق واستحالة العنصر والجنون وقد رأيت من الضروري قبل متابعة هذا البحث ان أقول كلمة في ماهية الجنون وتاريخه لما في هذا المسمى من الغموض الناشئ عن خروج هذه الكلمة عن معناها الحقيقي ، وعدم فهمها بمعناها العلمي ، على ان أعود بعد ذلك الى درس بقية السموم النفسية فأقول :

تتألف حياة الانسان من أفعال عضوية حسية وحركية ومن أفعال نفسية ، منها العقل . وأهم عناصره : الذاكرة ، والانتباه ، والإدراك ، والشعور ، والقياس ، والحكم . ومنها الفاعلية ومن عناصرها الارادة . ومنها الانفعالية ومن عناصرها العواطف والشهوات والميول .

وكما ان الأفعال العضوية تختلُّ وتمرض ، كذلك يعتري الافعال النفسية تغير ، منه النقص ، ومنه الازدياد المرضي ، ومنه الفساد . فاذا نقص عقل المرء يصبح معتوهاً أو أبله أو أحمق ، واذا نقصت إرادته يصير موسوساً قلقاً وهن النفس ، واذا نقصت انفعاليته يمسي مجذوباً لا يبالي ولا يكترث بامر من امور الحياة . وكذلك يقال في ازدياد هذه الأفعال ، فاذا وقع الاحتداد في الافعال العقلية يصبح المرء نشطاً كثير الكلام سريع الجواب شديد الحركة لا يستقر على حال . يتحرش بالناس أشبه به (بزنبرك) الصندوق الحاكي اذا أفلت من عقاله ، يكثر لفظه ويقل معناه . واذا حصلت الحدة في الفاعلية

(١) محاضرة للاستاذ الدكتور أسعد بك الحكيم ألقيت في ردهة المجمع العلمي في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٣١

يمسي صاحبها سريع الغضب بطاشاً متجرفاً أزور . ويولد فرط الانفعالية : أنواع الخوف وشدة التأثر والهستريا . أما فساد هذه الافعال فينشأ عنه الهذيان وأنواع الجرائم وسوء الخلق على تنوعه .

تلك هي الحالات النفسية الشاذة التي تطلق عليها كلمة الجنون . وقد جعل بعض الكتاب العبقرية أو النبوغ من أقسام الجنون بدعوى انها زيادة في الأفعال العقلية ، وهذا خطأ فادح ، لان الزيادة المقصودة في هذا البحث هي الزيادة المرضية التي تشبه سرعة حركة الصندوق الحاكي عندما يفلت زنبركه .

ومن المخجل المبكي ان البشرية حتى أوائل هذا العصر لم تعن بغير صحة الجسم ومكافحة الأمراض العضوية ، مهملة صحة النفس التي منها يتألف كيان الأمم الأدبي والعلمي والصناعي والاجتماعي . ومن مفاخر القرن العشرين تلافيه هذا النقص وأخذه بمعالجة الأدواء النفسية كسائر الأمراض العضوية . وما اتحاد الامم العظمى في منع المسكرات وتحريم المخدرات ومكافحة الامراض الاجتماعية الا مظهر من مظاهر هذا الجهاد المدني الحديث المقدس .

وبعد هذه المقدمة الوجيزة أدخل في صميم الموضوع فأقول :

ان تاريخ الامراض النفسية والمصابين بها مرتبط من حيث التطور العلمي والاجتماعي بتاريخ البشرية العام ارتباطاً محكماً يصح معه ان يقال : ان تاريخ الجنون والمجانين هو تاريخ العلم والاجتماع والعكس بالعكس . وذلك لان الجنون من حيث انه علم يدلنا تاريخه على مقدار ماأدركته العقول البشرية من حقائقه عند كل أمة وفي كل عصر ، كما ان المجنون من حيث انه انسان فقد احدى مميزاته النوعية بعامل المرض فأصبح غريباً عن البيئة بمظاهره وأقواله وأفعاله يطلعنا تاريخه على الأنظمة الاجتماعية والقوانين المدنية . والعواطف والمشاعر الانسانية في مختلف مراحل التاريخ وعند جميع الشعوب . وعلى هذا يمكننا القول : ان أرقى عصور البشرية علماً هي التي عرفت فيها ماهية الجنون وان أبهى أيام البشرية حضارة هي التي عومل فيها المجنون معاملة المرضى بالرأفة والشفقة والاحسان . ونظرة عامة في صفحات التاريخ تكفي لاثبات هذه الحقيقة الراهنة .

***

الجنون في العصور القديمة . — كان الانسان أيها السادة في عهده الاول ضعيف الخبرة قليل التجربة لا يستقرأ الحوادث ولا يختبرها بل ينظر اليها بعين عقيدته فيؤولها حسب مايوحيه اليه الوهم والخيال . وبالنظر لما كان عليه من الايمان بسيطرة الارواح والشياطين على العالم كان يعتقد بان الجنون مسّ شيطاني فيعالجه بالسحر والعزائم حيناً حتى اذا أشفى يعمد الى ظره اي حربته الصوانية فيشج بها رأس المجنون ليخرج منه الشيطان الشرير .

ثم لما ارتقت مدارك البشر وتبدل الاعتقاد بماهية الالوهية ذهب الانسان الى ان الجنون من غضب الآلهة فراح الى الكهنة والعرافين يتقرب بهم اليها لخلاصه فيتدبرونه بالتعاويذ والرقى والطلاسم والقرابين وغيرها . وفي تاريخ العبرانيين أمثلة كثيرة على هذا المعتقد فقد قيل في شاوول ان الشيطان احتل جسده عندما قاصه يهوه (أي الاله) وهجره كما قيل في بختنصر ان أنامل الرب لمسته فقلبته وحشاً .

* * *

الجنون والمجانين عند اليونان . — وقد كان اليونانيون يعتقدون بان من الجنون ماهو آلهي فيكرمون صاحبه اكرامهم بيتي الدلفية التي كان يهتف ابولون بفيها . ومنه ما هو شيطاني يمتّ صاحبه بصلة الى الأرواح الخبيثة فينفرون منه ويتعهدونه بانواع العذاب والقتل . وهنالك نوع ثالث وهم الأبرياء الذين مسهم الشيطان بضر فقد كان الكهان يتدبرونهم في الهياكل بانواع الطقوس الدينية وغيرها .

ويظهر أن اول من عالج الجنون بالعقاقير عند اليونانيين ملايتوس الارغومي سنة (١٥٢٦) ق . م فقد شفى بنات فيتوس ملك الارجيين بمعالجتهم بالخربق والاستحمام بالمياه الحارة . ثم جاء اورفي (Orphée) فعالج المجانين بالرقى والموسيقى . وعقبه شيرون (Chéron) ثم تلميذه اسقلبيوس (Esculape) الملقب بآله الطب (١١٤٣) ق . م الذي نحتت له التماثيل وشيدت الهياكل في كنيد وكوس ثم ايدور .

وقد كانت هذه الهياكل ملاجئ للمرضى لا سيما للمصابين منهم بالجنون والآفات العصبية فانهم كانوا يؤمونها من كل حدب وصوب حاملين اليها ما تقوى عليه أيديهم من الهدايا والنذور والقرابين فيتدبرهم الكهان فيها بالطقوس الدينية الغريبة الشكل . وقد

كان يعالجهم اسقليبوس وتلاميذه بالمؤثرات الطبيعية والرياضة البدنية والملاهي المختلفة كالغناء واللعب وغيرهما ٠

أما ماهية الجنون العلمية فقد ظلت مجهولة مدى تلك العصور الطويلة ٠ ولذلك كان المصابون ببعض أنواع الهذيان والذين يرتكبون جناية بدافع المرض يعاقبون كالاصحاء باشد أنواع العذاب كالسجن والقتل والجلد والحرق بالحديد المشتعل ٠ وقد كان الرومان يلقون بهم مابين مخالب السباع الضارية أيام الاعياد ويتلذذون بمشاهدة تمزيق أوصال أولئك المرضى الابرياء من أعلى شرفات مسارحهم مماينكره العلم ويتفطر له قلب الانسانية ٠ وهذا دليل على سيادة الجهل وتأخر العلم والمدنية في تلك العصور الغابرة ٠ وقد ظل الاعتقاد سائداً عند جميع الشعوب على اختلاف مواطنهم بان الجنون آلهي أو شيطاني حتى سنة (٤٠٠) ق ٠ م حيث أتى أبقراط الذي انتهى عنده عهد طب الأديرة والهياكل فقد مزق باشعة حكمته أضاليل تلك العصور ، وأماط عن حقيقة الجنون اللثام فقوض دعائم الاعتقاد بمصدره الشيطاني وأوضح بانه مرض كسائر الأمراض مركزه الدماغ ٠ وان الدماغ هو العضو الذي يهتدي به الانسان ويتأثر ويخاف ، ويفكر ويفهم ، ويميز الخير من الشر الى غير ذلك من الحقائق العلمية الفسيولوجية والتشريحية ٠ وقد وصف أبقراط أنواع الجنون المبينة كالمانيا والماليخوليا والصرع والاعصبة (Névroses) اي مرض الاعصاب وقلنا فيها عُصاب كما يقال كُباد وكُلاب على القياس ووصف الهذيان الحاد المترافق بالحمى وأسماه الفرانيطس ٠ وذكر ايضاً الانفسة التي تنشأ عن الحمل والخمر (Psychoses) وهي جمع نُفاس اي مرض النفس اشتقاقاً على القياس وقد وضعتها لعدم وجود كلمة تدل على هذا المدلول سواها ٠ وكان يداوي هذه الادواء بالفصد والمسهلات والمقيئات والحمية والرياضة البدنية والموسيقى والسباحة والخربق وغيرها ٠ ووصف أبقراط ايضاً الهستريا وجعل منشأها الرحم ولذلك دعاها اختناق الرحم ٠ فهو والحالة هذه ابو الطب ومبدع الطب النفسي ٠

* * *

الجنون والمجانين عند الرومان ٠ — ثم انتقل الطب الى روما فظهر سنة (٨٠) ق ٠ م اسقليبدس (Asclépiade) فقسم الجنون الى جنون حاد مع حمى اوفرانيطس والى جنون

مزمن بلا حمى ومنه المانيا والماليخوليا · وفرق ما بين الوهم (Hallucinotion) والتخيل (illusion) · وفي سنة خمسة قبل الميلاد قال سلز (Celse) بتقييد المجانين بالسلاسل وقصاصهم · ثم ظهر غوليوس اوراليوس (Cœlius Aurélianus) فاشتغل بمعالجة الامراض النفسية بصورة خاصة ودعا الى معاملة المجانين باللين والحسنى · وأبلى في مقاومة الفكرة القائلة بغلهم وتعذيبهم ومعاملتهم بالشدة والقسوة بلاء حسناً · وقد كان لا يجيز استعمال الربط الا في حالات الهياج الشديد على ان تكون من القماش اللين اللطيف وبصورة لا ينال بها جسم المريض اذى ·

وفي سنة ١٣١ أتى جالينوس فلم يزد في طب النفس على ماجاء به أسلافه شيئاً يستدعي البحث أو الذكر ·

هنا انتهى عصر العلم اليوناني الروماني الزاهي ذلك العصر الذي أضاء سماء العالم بنور العلم الصحيح فهداه الى محجة الصواب ومعرفة الحقيقة ، وبدأ زمن الفترة ، زمن التيه الذي ضل به البشر ستمائة سنة في غياهب الجهل الناشئ عن الحروب والفتن الدينية والمذهبية ، فتوقف نمو العلم واضطهد رجاله وأخذ بالتقهقر والانحطاط ، وتطرق اليه الفساد واستولى عليه الكهان وأعادوه الى المعابد والهيا كل ثانية ، فذوى بعد النضارة وأقفر بعد الخصب ، وعاد العالم الى ظلمة الجهل الاولى ورجع اليه الاعتقاد بان مصدر الجنون آلهي أو شيطاني ، ففتحت للمجانين أبواب الأديرة والصوامع يحجلون فيها المصابين منهم بالهذيان التصوفي والديني · اما المصابون بالهذيان المخالف للشرائع والمعتقدات فقد كانوا يزجون في أعماق السجون يلاقون فيها أشد أنواع العذاب : وبالنظر لما كان يلاقيه الحكماء في هذا العهد من الجور والاضطهاد هاجر عدد منهم الى الشرق وأسسوا في جنديسابور مدرسة للطب كان لها في نقل العلوم الى العرب الحظ الأوفر ·

***

الجنون والمجانين عند العرب :— وهنا على ذكر العرب نترك الغرب هنيهة يتخبط في ظلمة جهله ، وننتقل برهة الى الشرق ، الى تلك الدهناء القاحلة لنشاهد المجنون بهيم في فلواتها على وجهه ولا رادع ولا زاجر ، ثم لنراه محبوساً ومن حوله الكهان والعرافون · وعليه التمائم والطلاسم ، وأمامه النار يتصاعد منها دخان العود والند ، يعزمون بها على

الجني ليخرجوه من ذلك الجسم الضعيف ، ثم لنبصره مريضاً في مستشفيات بغداد ودمشق ومصر وقرطبة مضطجعاً على فرش من القطن اللين في ردهة يتنازع جوها الهواء والنور ، وأمامه الرازي وابن سينا ومهذب الدين عبد الرحيم وابن زهر وغيرهم ومن حولهم الخدام والمشارفون يتعهدونه بانواع الاشربة المسكنة والمرطبة ؟ ويغذونه بمرق الدجاج وأنواع الالبان بينا الموسيقى تصدح خلفه بالحانها الشجية . ثم لنلحظه وقد تحولت تلك المصحات الى مجازر مظلمة مكبلاً كالوحش الضاري بالسلاسل والاغلال عاري الجسد تنهال عليه زبانية العذاب بالسياط كلما تملل أو صاح والناس من حوله يقهقهون ويسخرون . وهنالك نقف ونتساءل : ألا يوجد مابين تعريف الجنون ومعاملة المجنون عند الامة الواحدة وبين الرقي العلمي والاجتماعي فيها صلة تصح أن تكون معياراً أم لا ؟ هنالك نلتقي بالغرب حيث تركناه يتخبط في ظلمة جهله ، فيسير هو . ونقف نحن .

كان العرب أيها السادة في عصر جاهليتهم يعتقدون كسائر الامم القديمة بان الجنون شيطاني فيعالجونه بالرقى والتمائم والنذور والسحر والعزائم ؟ وقد ظل هذا الاعتقاد سائداً عندهم حتى الصدر الاول من الإسلام . فقد جاء في شعر مجنون بني عامر :

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن لحظة ولو عقلوا قالوا به أعين الانس

وقد كان يقوم بمهام هذه الصناعة الكهان والعرافون ، وكانوا يطلقون كلمة الجنون على جميع الآفات النفسية حتى على العشق ، وينعتون بالجنون كل من يخالفهم في عاداتهم فيجيء بما ينكرون ، ولم ينقل عنهم انهم كانوا يؤذون مجانينهم بغلهم وتعذيبهم بل كانوا يطلقونهم يهيمون على وجوههم حيثما شاؤا فيعترضهم الصبية يسخرون بهم ويضحكون منهم كما هي الحال اليوم في كثير من المدن الشرقية . ثم لما أضاء الاسلام بصائرهم ضربوا في طول الارض وعرضها فقوضوا عروش القياصرة والاكاسرة وأسسوا في هنة من الزمن مملكة عظيمة ذات حضارة ومدنية رفيعة لم تسبقهم الى مثلها أمة من الامم . واتجهت أبصارهم الى العلوم الطبيعية والعقلية فألفوها حيث تركناها في هذا البحث مهجورة منبوذة تفتك في صحفها عوامل الاهمال والنسيان ، فاتجهوا اليها بكليتهم واستخدموا في سبيل جمعها وإحيائها كل ما أوتوه من سلطان شامخ ، ومال زاخر ، ومجد باذخ ، فنبتت بذور العلم القاحل ثمة

تزهو بالوان عربية جديدة في جميع الممالك الاسلامية ، وشيدت فيها المستشفيات الواسعة الأرجاء ودور الحكمة والصيدليات ومجالس الادب والمناظرة . وعاد الطب النفسي الى سيرته اليونانية الرومانية الاولى فعرف الناس ان الجنون مرض كسائر الامراض الجسمية ، وان مركزه الدماغ ، وعالجوه بالادوية والتدابير الصحية والعوامل الطبيعية والتلقين ، وجعلوه فرعاً من فروع الطب ممتزجاً بفرع الجهاز العصبي كما هو عليه اليوم ، وأدخلوه المستشفيات العامة ، وخصصوا له فيها غرفاً خاصة كانوا يسمونها غرف الممرورين ، والفوا في بعض أبحاثه كتباً خاصة . قال ابن ابي أصيبعة في عيون الانباء : « شاهدت يوماً شيخي مهذب الدين عبد الرحيم في البيمارستان النوري في دمشق ، وقد دخل قاعة الممرورين فرأى فيها رجلاً مصاباً بالمرض المعروف بالماتيا وهو الجنون السبعي فوصف بان يضاف الى ماء الشعير في وقت إسقائه اياه مقدار متوفر من الافيون ، فصلح ذلك الرجل وزال ما به من تلك الحال » . وذكر ايضاً : ان الطبيب موفق الدين عبد اللطيف البغدادي كتب مقالة في المزاج ومقالة في الرسام ومقالة في العلة المراقية . وان جبريل بن بختيشوع شفى جارية للرشيد كانت مصابة بشلل هستريائي بصدمة نفسية . وقال ابو القاسم النيسابوري في كتابه عقلاء المجانين : دخلت البيمارستان في البصرة فشاهدت في المجانين الخ [1] مما يدل دلالة واضحة على انه كان يوجد في المستشفيات في ذلك العهد غرف خاصة بالامراض النفسية ، وعلى إدراك الاطباء ماهية الجنون وعدم تفريقهم بينه وبين سائر

(١) وجاء في كتاب الجوامع والمدارس صورة وقف البيمارستان القيمري وهي : هذا وقف ابي الحسن بن ابي الفوارس القيمري على بيمارستانه في الصالحية على معالجة المرضى والمعاجين والاشربة وأجرة الطبيب ، يصرف الى الطبيب في كل شهر لواحد سبعون درهماً ونصف غرارة من قمح وللشارف كذا وللكحال كذا وللحوائج كذا والى ثلاثة رجال كذا ولمن يقوم بمريضات النساء والمجنونات في كل شهر لكل واحدة عشرة دراهم وسدس غرارة قمح الخ ... وجاء في خطط الشام : في صك وقف احد المستشفيات في حلب بان كل مجنون يخص بخادمين فينتزعان عنه ثيابه كل صباح ويحممانه بالماء البارد ثم يلبسانه ثياباً نظيفة ويحملانه على أداء الصلاة ويسمعانه قراءة القرآن ، بقراءة قارئ حسن الصوت ثم يفسحانه في الهواء الطلق ويسمع في الآخر الاصوات الجميلة والنغمات الموسيقية الطبية .

الامراض الجسمية من حيث الماهية ، وعلى اهتمامهم بدرسه ومعالجته بالطرق العملية الفنية مما لم يوفق الطب الحديث الى مثله الا منذ بضع سنين ، هـذا وبالنظر لبلوغ الممالك الاسلامية في ذلك العهد درجة رفيعة في الحضارة والمدنية اللتين من لوازمها النظام والامن لم يعد من الممكن ترك المجانين مطلقين يطوفون في المدن كما كانوا عليه في الزمن السابق وكما هم عليه اليوم في البلاد الشرقية ، وذلك لما يظهرون به من المظاهر المخالفة للحشمة والآداب العامة ، ولما يأتونه من الاعمال المخلة بالانظمة والادارة والمقلقة لراحة الناس ، فأمر المنصور العباسي بان تبنى لهم دور خاصة يحجر عليهم فيها منعاً لاضرارهم والاضرار بهم ، فشيدت في كل بلد من البلاد الاسلامية دار للمجانين . واذا تصفحنا كتاب عقلاء المجانين لابي القاسم النيسابوري نجد فيه ذكر كثير من هذه المؤسسات الخيرية في جميع المدن العربية كدار المجانين في الموصل وفي البصرة وفي نيسابور وفي الشام وبغداد ومصر وغيرها . وللمنصور الفخر الاعظم بانه لم يسبق الى مثل عمله هذا في تواريخ الامم المتقدمة .

وقد نبغ في الطب في هذا الدور في البلاد الاسلامية أطباء عظام خلد التاريخ ذكرهم منهم الشيخ الرئيس ابن سينا والرازي والمجوسي وابن زهر وغيرهم ، فقد أضاف كل منهم الى ما كتبه من الموسوعات الطبية فصولاً ضافية في الامراض النفسية تدل دلالة واضحة على سعة علم وكبير دراية وخبرة وحذق وتجربة في هذا الفرع الطبي .

هذا وبالنظر لما للطب النفسي من الصلة المباشرة بعلم النفس تناولتـه أقلام كثير من العلماء والفلاسفة والادباء غير الاطباء فألفوا في قسمه الادبي كتباً على غاية من الاجادة ، من ذلك كتاب الحمق والمغفلين الذي وضعه ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ فهو من خيرة ما كتب في الحمق وتعريفه ووصفه حتى اليوم . ومنها كتاب عقلاء المجانين وكتاب الاذكياء اللذين وضعهما ابو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٦ فقد أتى في مقدمتهما على تعريف الجنون وأسمائه وضروبه والذكاء وأقسامه مما يدل على ان معرفة ماهية الجنون لم تكن خاصة بالاطباء بل كانت عامة تتناولها أقلام الكتاب والادباء وألسنة الناس في سمرهم ومجالس لهوهم في ذلك العصر الزاهر .

غير ان العوامل الزمنية التي قضت على حكمة أبقراط وتلاميذه لم تشأ الا أن تتطرق

الى هذه المدنية العربية الفتية وتفسدها وتشوه من محاسنها . فقد أصاب المسلمين في بدء نهضتهم ما أصاب غيرهم من الاختلاف والتشعب في الطرق والمذاهب التي كان من نتائجها السيئة انصراف الناس عن العلم واشتغالهم بالبدع . نذكر من ذلك العود الى الاعتقاد بان الجنون روحاني أو شيطاني والاخذ بمعالجته بالطلاسم والحجب والتمائم والرقى والعزائم وغير ذلك مما حمل الغربي في العصر الاخير على القول بان الاسلام ينظر الى المجاذيب كأولياء مقدسين ، بينا هذا الظن فاسد يدحضه ما أتينا على ذكره مما كان عليه الجنون والمجانين عند المسلمين وخلفائهم في صدر الاسلام . ولعل السبب في حرمة فريق من العامة لبعض المجاذيب ان العقلاء من رجال الدين والتقوى في ذلك العصر المتأخر ساءهم مايشاهدونه من ازدراء الناس بالمجانين وتعرضهم لهم بالاذي والهزء والسخرية بهم مما تنكره الشريعة الاسلامية التي تأمر بالاحسان والمعروف وتنهي عن الشر والاذى فأخذوا يرشدونهم بقولهم : ماهؤلاء الا عباد الله فلا تسخروا بعباده وأحسنوا اليهم يحسن الله لكم الى غير ذلك من عبارات الوعظ الصالح الذي أساء العامة فهمه ولم يحسنوا العمل به .

قال الطبيبان لوف وسيريو (Lwoff et Sérieux) اللذان أوفدتها وزارة المعارف الافرنسية الى مراكش سنة ١٩١٠ لدرس الامراض النفسية فيها وكيفية مداواتها في كتابهما المسمى المجانين في مراكش مانصه :

« اذا صح القول بان اسعاف المرضى بالآفات النفسية ومداواتهم مفقودان في مراكش فان السبب في ذلك ليس ناجماً كما يظن عن عدم تلائم بين الاسلام ومداواة الامراض النفسية ، بل يمت الى مصدر واحد : هو هوة الانحطاط التي تتدهور فيها مراكش منذ عهد بعيد ، فان عصيان القبائل المتواصل والحروب الاهلية التي يثيرها ذوو الاغراض وعدم استقرار البلاد من جراء مطامع الدول الاجنبية المتسلطة يستغرق كل فاعلية الحكومة الشريفية ، كما ان قلة موارد البلاد وعدم الثقة بالغد والفوضى الضاربة في جميع أنحاء البلاد تعلل لنا عدم اكتراث السلطة المركزية المؤقتة بكل مايتعلق بالاسعاف العام .

أضف الى ذلك اندثار التعليم الطبي منذ عصور كثيرة واندثار دور العلم التي كانت مدارس العالم الاسلامي العظمى في العصور المتقدمة مما قضى على جميع المبادئ العلمية

المتعلقة بالامراض النفسية ومداواتها . وفسح مجالاً لاستيلاء أضاليل الاولين وخرافاتهم على أذهان النـاس . وعلى ذلك نقول : ان أحوال المجانين الحاضرة في مراكش تنسب الى أسباب اجتماعية فقط وليس الى أسباب دينية .

« هذا وان تاريخ الحضارة الاسلامية يطلعنا على ان الاسلام لم يهمل العناية بالمجانين البتة ، ففي العصور التي كانت تعد فيها الامراض النفسية في اوربة ناشئة عن أسباب فوق الطبيعة كانت معارف الاطبـاء العرب الذين ورثوا الطب اليوناني صحيحة صريحة فيما يتعلق بهـذه الامراض ، ويظهر ان الملوك العرب هم الذين أوجدوا باديء بدء دوراً خاصة بالمجانين في مصر ومراكش واسبانيا . ويرجح ان فكرة اسعاف المجانين قد انتقلت أخيراً الى العالم المسيحي بواسطة الملاجيء التي أوجدها المسلمون في اسبانيا » اه .

« للبحث صلة »

فتاوى لغوية

وأهمها صحة جمع (مفعول) على (مفاعيل)

—(()—

جاءني كتاب من الصديق الامير شكيب أرسلان وفيه ما نصه :

« يا أخي ! لفظة (اكتشف) لا توجد في كتب اللغة أفرأيتها أنت في مكان ؟ ومثلها (احترم) بمعنى وقّر لم أجدها في المتون . ولكني وجدتها في كلام المولدين ومنهم صاحب البردة (أو يرجع الجار منهم غير محترم) فما قولك أنت ؟ ثم ان الجاحظ يجمع ميسور على (مياسير) فكيف يقولون : إن جمع مفعول على مفاعيل لا يجوز وان الشنقيطي اعترض على رفيق بك العظم في تسمية كتابه (أشهر مشاهير الاسلام) . وقالوا إنها ألفاظ معدودة واردة في كلام العرب منها مجانين . فما رأيك في هذه المسألة ؟ قرأت في بعض الكتابات القديمة لفظة (مثبوت) بمعنى ثابت فهل مرّت بك في محل ؟ يوجد ألفاظ كهذه أي اسم مفعول من هذا الوزن والفعل مزيد لا مجرد . الجرائد لا تبرح تقول (النُضوج) ولا يوجد نضوج من نضج . ويقولون (تكتّموا) ولا يوجد تكتم . وان كان يجوز فعلى معنى تظاهر بالكتمان . لا على معنى المبالغة في الكتم . فالمبالغة في الكتم هو التكتيم لا التكتم قال ابو الطيب: (مالي أكتّم حبّاً قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الامم) اه »

سألني الامير رأيي في هذه الكلمات الست . وقد رأيت ان أفترص سؤاله عنها فأطبقها أو أجري فيها تمريناً على (القرار) الذي كان نتيجة لمقال (الكلمات غير القاموسية) المنشور في مجلد السنة الماضية (ص ٥٢١ و٥٧٧) فقد لخصنا في ذلك المقال آراء نحو عشرين عضواً من أعضاء المجمع العلمي بشأن هذه الكلمات التي لم تذكر في المعاجم المشهورة بعد ان قسمناها الى سبعة أصناف واستخرجنا من أجوبتهم زبدة أو نتيجة يصح الركون اليها

والتعويل عليها . وها أناذا الآن أنظر في كلمات الامير وأعرضها على (القرار) الذي رضيته (أكثرية) الاعضاء العشرين . فما أجاز (القرار) قبوله من هذه الكلمات أعلنا قبوله واستعماله . وما رفضه (القرار) أعلنا رفضه وإهماله . ولا أظن الامير الا راضياً عن حكم الاكثرية في اللغة . كما اشتهر عنه انه يرضى به في السياسة .

❊ اكتشف ❊ جاء في كتب اللغة أن للاكتشاف معنى غير المعنى الذي يستعمله فيه الكتاب المعاصرون . فالاكتشاف في اللغة ان تبالغ المرأة في الكشف عن نفسها في خلوتها مع زوجها . فهو فعل لازم . أما اكتشف في استعمالنا اليوم فمتعد نقول اكتشف كولمبوس بلاد اميركا سنة كذا . واكتشف المخترع الفلاني البارود سنة كذا . واذا اعتبرنا لفظ (المرأة) في تفسير الاكتشاف قيداً غير لازم بل كما يقال اكتشفت المرأة لزوجها نقول اكتشف الرجلُ للخوض في النهر واكتشف المريض للطبيب . على معنى أنهما بالغا في حسر ثيابهما . وفي هذا الحسر ظهور ما كان خافياً — اذا اعتبرنا هذا كان قولنا اليوم (اكتشف) صحيحاً فصيحاً بشرط ان نستعمله لازماً قاصراً على فاعله فنقول (اكتشف البارودُ سنة كذا) برفع بارود على الفاعلية أي ان البارود ظهر سرّه للناس تمام الظهور بعد ان كان خافياً . وكذا (اكتشفت بلادُ اميركا) و (اكتشف سرُّ المسألة) وهكذا . ولكن لا أظن ان الناس اليوم يقدرون على هذا الاستعمال بعد ان فشا على ألسنتهم استعمال (اكتشف) متعدياً . وعلى هذا يكون فعل اكتشف المتعدي (مولّداً) هدى اليه المعاصرون بنابل من ذوقهم . فهو مثل (تفرّج) و(تنزه) و(احتار) و(خابر) وكلها من الصنف الرابع (من الاصناف السبعة للكلمات غير القاموسية) وهذا الصنف أفتى بجواز استعماله خمسة عشر عضواً من أعضاء المجمع وأنكر جوازه ثلاثة منهم . راجع مجلة المجمع (مجلد ١٢ ص ٥٣٠) فالفتوى إذن على استعمال فعل الاكتشاف .

❊ احترم ❊ فعل (اكتشف) لم يرد في المعاجم ولا في كلام بليغ ولذلك جعلناه من الصنف الرابع وهو المولّد الذي أحدث الناس صيغته من مادة عربية ولا يعرفه الفصحاء أما (احترم) فليس من هذا الصنف بل من الصنف الثاني أعني الكلمات غير القاموسية التي جاءت في كلام فصحاء لا يحتج بأقوالهم مثل كلمة (تخيم) التي جاءت في كلام الشيخ اليازجي

وكلمة (صدفة) في كلام الشيخ محمد عبده وهكذا فعل (احترم) فانه ورد في قصيدة الأبوصيري المشهورة :

(حاشاه ان يحرم الراجي مكارمه أو يرجع الجار منه غير محترم)

وكلمات هذا الصنف مما أفتى بجواز استعماله خمسة عشر عضواً من أعضاء المجمع ايضاً وخالفهم ثلاثة من الاعضاء . على ان الحق ان يقال في (احترم) إنها كلمة قاموسية فصيحة دونها صاحب (المصباح) في مصباحه وان أغفلها غيره قال : (والحرمة المهابة وهذه اسم من الاحترام مثل الفرقة من الافتراق) وقوله هذا يكفي في اعتبارها قاموسية فصيحة وان كانت ذكرت في كلامه عرضاً واستطراداً لاقصداً ونصاً . ولعل صاحب أقرب الموارد انما دونها في قاموسه اعتماداً على عبارة المصباح مذ قال : احترمه هابه ومنه قولهم (لاتحترم فتحترم) أي لاتهب فتقع في الحرمان .

﴿ مثبوت ﴾ قال الامير انه قرأها في بعض الكتابات القديمة بمعنى ثابت . وقوله هذا لايجعل كلمة (مثبوت) صالحة للبحث عنها ما دمنا لم نعرف من هو الذي قالها ولا طريقة استعماله لها . اذ يمكن ان تكون وردت في كلام ذلك القديم مصحفة كما وردت مصحفة في (لسان العرب) في مادة (سرّ) (جزء ٦ ص ٢٦) فانه ذكر ان (مُسَر) بصيغة اسم المفعول وردت بمعنى (مسرور) في قول العرب (كل مجرٍ بالخلاء مُسَر) أي مسرور مع ان فعل (أسرّ) المزيد لم يرد في كلام العرب وانما هم توهموا وجوده فاشتقوا منه (أسرّ فهو مُسَر) ثم ذكر صاحب لسان العرب مثالاً آخر لهذا التوهم وهو قولهم (منبوت) على توهم وجود (نبته) ثلاثياً متعدياً وهو لم يرد في اللغة وانما ورد أنبته فهو مُنْبَت فمنبوت إذن شاذ . ومنه قول الشاعر :

(وبلد يُغضي على النعوت يغضي كإغضاء الروى المنبوت)

كذا أورد صاحب لسان العرب هذا البيت ولم يفسر غموضه . وليس هذا فقط بل ان كلمتي (منبوت ونبته) وقعتا في نسخة (لسان العرب) محرفتين هكذا (مثبوت وثبته) أي بالثاء المثلثة بدل النون فلعل هاتين الكلمتين علقتا في ذهن الامير شكيب في بعض تصفحاته للسان العرب وظنهما مع الزمن مما جاء فيه مثبوت بمعنى ثابت . أو ان الامير رأى كلمة (مثبوت) في كتاب (فجر الاسلام) ص١٩٤ لمؤلفه الاستاذ احمد أمين إذ قال

(وللحسن البصري أقوال كثيرة مثبوتة في كتب الادب) و(مثبوتة) محرفة وصوابه (مبثوثة) وهي كلمة شدّ ما استعملها مؤلف فجر الاسلام في كتابه . وبناءً على هذا لايجوز استعمال كلمة (مثبوت) بمعنى (ثابت) الا اذا عاد الامير فتذكر الكلام القديم الذي رآها فيه .

النضوج بمعنى النضج من عثرات الأقلام بل (والافهام) ايضاً فالواجب تصحيحها وتنبيه الناس اليها . إذ لم ترد في المعاجم ولا في كلام متقدمي الفصحاء ولا متأخريهم وغلطتهم الفاشية هذه تشبه غلطة أخرى لهم لم تفشُ بعدُ وأخشى ان تفشو . وهي قولهم (خوارالنفس) أو (خوارالعزيمة) مكان خور والخوَر الضعف اما الخوار فصوت البقر . واذا عرضنا كلمة (النضوج) على الاصناف السبعة للكلمات غير القاموسية كانت من الصنف السابع أعني الكلمات التي تدور على أفواه العامة وقد ولعوا بهـا ولا يستعملها [1] الفصحاء بل يتحاشون النطق بها . وكلمات هذا الصنف مما منع أعضاء المجمع استعماله وكادوا يجمعون على رذله والتشاؤم به (راجع ما قالوه في مقال الكلمات القاموسية) .

تكتم لم ترد في المعاجم كما قال الامير وقدشاع استعمالها في طبقةالخواص الذين يأنفون من استعمال كلمة (نضوج) ولذا جعلنا (نضوج)من كلمات الصنف السابع العامية التي يجب إهمالها . أما فعل (التكتم) فأرى ان نجعله من الصنف الرابع المولد الذي أفتى بجواز استعماله خمسة عشر من الأعضاء اي اكثريتهم كما مر في (اكتشف) . على ان هذه الاكثرية ربما مالت الى اطراح (تكتم) ما دام يوجد في الفصيح فعل (كتّم) فهو ينوب منابه ولا يكون ثمة حاجة اليه .

---

(١) قرأنا أخيراً للاستاذ طه حسين مقالاً في المقارنة بين الشاعرين الأشهرين حافظ ابراهيم واحمد شوقي نشره في العدد الاخير من مجلة (الهلال) ورأيناه فيه يستعمل كلمة (النضوج) إذ قال : « تقليد حافظ يستحيل الى نضوج غريب وقوة بارعة الخ » فان نبهه الى سوء استعمال كلمة (النضوج) منبه ورجع عنها كان بها . وبقينا على حكمنا من ان (النضوج) كلمة عامية مبتذلة . وان أصرّ الاستاذ على استعمالها تغير إذذاك وجه المسألة وتنتقل كلمة (النضوج) من الصنف السابع (العامي) الواجب الإطراح الى الصنف الرابع (المولّد) الذي تتكلم به الخواص ويكون له حكم هذا الصنف .

❋ مياسير ومشاهير ❋ هاتان الكلمتان تدخلان تحت بحث عام وهو (جمع مفعول على مفاعيل) هل يصح هذا الجمع ؟ وهل هو مطرد ومقيس او لا ؟ وقد أخّرنا الكلام على تينك الكلمتين لطول هذا البحث وخطورة أمره ولتكرر الجدل فيه بين طائفة من كبار كتابنا المعاصرين . ويمكن تلخيص هذا البحث بما يلي :

ما كان على وزن مفعول من الكلمات اذا كان صفة لا اسماً جُمع جمع تصحيح (أي جمع مذكر سالم أومؤنث سالم) ففي القرآن (مسؤولون مبعوثون مجموعون محرومون . ملعونين ملومين مسبوقين) . وهل جمعها كذلك واجب بحيث لا يجوز جمعها على مفاعيل ؟ الظاهر من أقوال اكثر النحاة أنه لا يجوز : فابن هشام يقول: (يمتنع مضروب من التكسير) أي ان ما كان على وزن مضروب يمتنع ان يقال في جمعه مضاريب بل مضروبون . ومثله الزمخشري فقد قال : (يُستغني في مفعول بالتصحيح عن التكسير) ومثلها ابن الحاجب والرضي فقد قالا (باب مفعول التصحيح) أي كل ما كان على وزن مفعول فبابه ان يجمع جمع تصحيح لا تكسير .

واذا نحن أوردنا على القائلين بهذا — كلمات وردت جموع تكسير لمفعول — أجابوا عنها على هذا الترتيب :

❋ مجذوب مجاذيب ❋ يجاب عنها بانها من كلام الفقهاء وأقوالهم أو اصطلاحاتهم ليست حجة في اللغة ولا تُنقض بها قاعدة مقررة .

❋ مكتوب مكاتيب . محبوس محابيس . مسجون مساجين . مشنوق مشانيق . منحوس مناحيس . موضوع مواضيع . ومجموع مجاميع ❋ : يجاب عن هذه ايضاً بانها كلمات مولدة لم ترد في المعاجم ولا في كلام الفصحاء المتقدمين ولا تصلح ان تكون حجة .

❋ مفاطير ❋ هذه الكلمة ليست مما نحن فيه إذ هي جمع مفطِر بكسر الطاء لا مفطور . وأصلها مفاطِر أُشبعت كسرتها فصارت «مفاطير» .

❋ مناكير ❋ وهذه ايضاً مثلها جمع منكَر بفتح الكاف لا منكور وأُشبعت الكسرة في الجمع .

❋ مياسير ❋ هي جمع (موسر) لا ميسور . وقيل يصح ان تكون جمعاً لميسور ايضاً . ومهما يكن فلا دليل فيها على صحة جمع مفعول على مفاعيل .

﴿ مشابيب ﴾ الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم (الى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب) هذه ايضاً لا دليل فيها إذ ورد الحديث برواية ثانية أشار اليها صاحب النهاية وهي (الأرواع الاشبّاء) بتشديد الباء جمعاً لشبيب بمعنى المشبوب • وهو الابيض اللون الحسن المنظر • والدليل اذا طرقه الاحتمال سقط به الاستدلال •

﴿ مقادير ﴾ ليست جمعاً لمقدور بل لم ترد كلمة (مقدور) في اللغة ولم يذكرها صاحب التاج واقتصر على قوله « والامور تجري بقدر الله ومقداره وتقديره وأقداره ومقاديره) اه وروى المبرد في كامله لبعض الشعراء يهجو :

(اذا عُيّروا قالوا مقادير قدرت وما العار الاّ ما تجرّ المقادر[1])

واذا لم تكن (مقادير) جمعاً لمقدور كانت جمعاً لمقدار قال ابن دريد :

(لا تسألني واسأل المقدار هل يعصم منه وَزَرٌ أو مُدَّرا)

فتكون النتيجة ان جميع هذه الكلمات الثلاث عشرة التي يُخيّل انها جمع لمفعول لا شاهد فيها على جواز هذا الجمع ولا يصح ان تنتقض بها القاعدة التي قررها النحاة من ان مفعول لا يجمع على مفاعيل •

﴿ مشهور مشاهير ﴾ يقولون في تزييفها إن علماء اللغة لم يذكروا في معاجمهم ان مشهور تجمع على مشاهير فلا يجوز استعمالها عملاً بقاعدة النحاة المذكورة • فاذا رددنا عليهم بان هذا الجمع اذا لم يدوّنه علماء اللغة في معاجمهم نصاً فقد استعملوه هم أنفسهم في كلامهم عرضاً : فقد استعملها (ابو زيد الانصاري) صاحب (النوادر في اللغة) ونطق بها (الزبيدي) شارح القاموس • و (الفيومي) صاحب المصباح • و (السيوطي) مؤلف المزهر • و (الميداني) جامع أمثال العرب • فيقول المتمسك بالقاعدة النحوية : ان نطق هؤلاء بتلك الكلمة واستعمالهم لها لا يفيد شيئاً مهما كثروا وعظم قدرهم لان استعمالهم لها خرق للقاعدة التي اتفق النحاة عليها وليسوا بمعصومين من الخطأ •

﴿ ملاعين مجانين ميامين مشائيم مناكيد ملاقيح مضامين مكاسير مجاهيل مماليك

(١) (المقادر) كذا رأيتها بالدال المهملة ولعل صوابها (المقاذر) بالذال المعجمة ويكون أراد الشاعر ان أقذار العيوب وأدران النقائص هي التي تجلب العار مما كان لهؤلاء المهجوين ان يعتذروا بالاقدار •

مراجيع* هذه الكلمات الاحدى عشرة ذكرتها المعاجم ووردت في الاحاديث الشريفة وكلام الفصحاء . ولا ينبغي أن يقع في جواز استعمالها نزاع .

فيقول المعارضون حقاً لانزاع فيها ولا في جواز استعمالها . ولكن لايجوز ان يقاس عليها غيرها كمشاهير ومكاتيب ومواضيع كل ذلك لتبقى قاعدة النحاة مطاردة .

فيضيق حينئذ الصدر . ويفدح الأمر . ولانجدلنا ملجأ الا سيبويه . أحسن الله اليه . فنسمعه يقول في (كتابه) المشهورماالمخصه (ومضروب : تقول في جمعه مضروبون غيرانهم قالوا ملاعين ومكاسير ومشائيم) الى ان قال : (فأما مجرى الكلام الاكثر ان يجمع مضروب بالواو والنون) .

فيمكننا ان نستنتج من كلام سيبويه هذا أموراً :

(١) — ان الأفصح في جمع مفعول مفعولون لأنه هو وحده المستعمل في القرآن الكريم .

(٢) — انعبارة سيبويه السابقة وورود احد عشر كلمة جمعت على مفاعيل يسوغ لنا ان نجمع مفعول على مفاعيل أحياناً مع الاعتراف بان هذا الجمع المكسر أقل فصاحةً واستعمالاً من ذلك الجمع المصحح . واذا كان الكوفيون يرون ورود كلمة واحدة عن أهل اللسان كافياً لأن نضرب على غرارها كلمات — فالبصريون جديرون بان يروا هذه الكثرة في الكلمات المذكورة كافية لتقرير القاعدة والقياس عليها .

(٣) — ان كبار علماء اللغة (الانصاري والميداني والفيومي والسيوطي والزبيدي) أرادوا ان يكونوا لنا إماماً في هذا القياس والاستعمال: فجمعوا (مشهوراً) على (مشاهير) وان لم يكن هذا الجمع مما عرفه أهل اللسان ولادوّنه علماء المعاجم — فعلوا ذلك لتشجيعنا على الاقتداء بهم والسير على أثرهم : فجمعنا مكتوب على مكاتيب . وموضوع على مواضيع . ومحبوس على محابيس الى آخر الكلمات السبع المذكورة آنفاً .

(٤) — مهما عارضونا في جعل جمع مفعول على مفاعيل مقيساً ولم يسمحوا لنا أن نجمع مكتوب على مكاتيب الخ بداعي ان مثل هذا ليس من شأننا ولا يجوز لأمثالنا إبطال قاعدة قديمة . كما لايجوزلنا تقرير قاعدة جديدة . اذاقالوا هذا — ورأينا مجمعناالعلمي لم يقرر بعدُ شيئاً في هذا المعنى — لايمكنهم أن يمنعونا عن العمل بماقرره أعضاء المجمع في تجويز استعمال

كلمة (مشاهير) التي ينطبق عليها ما تقرر في الصنف الثاني من الكلمات غير القاموسية وهو الكلمات التي وردت في كلام الفصحاء المتقدمين . ولاريب ان كلمة (مشاهير) وردت في كلام ابي زيد[1] الانصاري الذي كان سيبويه اذا قال : (حدثني من أثق بعربيته) أراد به أبازيد هذا . ورجل يثق سيبويه بعربيته ينبغي ان نثق نحن بعروبة كلمة (مشاهير) اذا جاءت في كلامه . ويؤيد أبا زيد في هذا الباب الميداني[2] صاحب مجمع الأمثال . والفيومي[3] صاحب المصباح والسيوطي[4] صاحب المزهر والزبيدي[5] شارح القاموس . وكلهم من أئمة اللغة والتصنيف فيها وكفى بهم حجة .

وخلاصة ما يقال في هذا البحث ان :

(اكتشف) كلمة مولدة يجوز استعمالها عملاً برأي خمسة عشر من علماء اللغة والادب المعاصرين .

(احترم) كلمة قاموسية فصيحة يجب استعمالها كسائر الكلمات الفصيحة .

(مثبوت) بمعنى ثابت لايجوز استعمالها لعدم العلم بقائلها .

(نضوج) كلمة عامية يجب اطّراحها مذ الساعة .

(تكتم) كلمة مولدة يجوز استعمالها بقلق : وذلك لإمكان ان تقوم مقامها كلمة (كتّم) بالتشديد .

(مياسير) كلمة فصيحة لان ارباب المعاجم نصوا على انها جمع موسر فيجوز استعمالها بلا نكير .

(مشاهير) يجوز استعمالها اقتداء بمن استعملها من أئمة اللغة والأدب .

---

(١) توفي سنة ٢١٥ هـ وعبارته هي : « اذا جاوزتَ المشاهير من الافعال التي يأتي ماضيها على فعَل الخ » نقل هذا عنه المجد الفيروزابادي في خطبة القاموس .

(٢) توفي سنة ٥١٨ هـ قال في كتابه مجمع الامثال « وهذا المثل من مشاهير أمثال العرب » .

(٣) توفي سنة ٧٧٠ هـ قال في مادة (ن ج س) « ومشاهير الكتب ساكتة عنه » .

(٤) توفي سنة ٩١١ هـ قال في الكنز المدفون « ذكر مشاهير المعبّرين » .

(٥) توفي سنة ١٢٠٥ هـ قال في مادة (ق ب) « ولم يذكره ارباب الدواوين المشاهير » .

(جمع مفعول على مفاعيل) يحتاج جوازه الى (قرار) من مجمع لغوي أو الى نص صريح لاحد علماء اللغة يدل على جوازه ·

وقبل تقديم هذا المقال للطابع ظفرت بنص ارجو أن يكون هو المقنع · والشاهد المتوقع : ففي (اللسان) و (التاج) في مادة (ص ر ع) قال الازهري : الصريع القضيب يسقط من شجر البشام وصُرِعَ الشجر قطع وطرح ثم قالا ما نصه وقول لبيد :

محفوفة وسط البراع يُظلها   منهـا مصارع غابة وقيامها

المصارع جمع مصروع من القُضُب · يقول : منها مصروع ومنها قائم والقياس مصاريع اه ·

فلم يبق للمعارضين الا ان يقولوا : ان هذا القول (بقياس جمع مفعول على مفاعيل) هو فتوى علماء اللغة · أما علماء النحو فقد أفتوا بعدم انقياس ·

ونقول ان علماء النحو انما بنوا قواعدهم على تتبع علماء اللغة للنصوص واستقرائهم للجزئيات · فاللغويون هم حملة اللغة · ونقلة نصوصها · أما النحاة فمخرّجو مسائلها ومستنبطو فروعها · فالاولون هم الاصل الجدير بالاعتماد · ولايخفى أنه مع وجود النص لا عبرة بالاجتهاد ·

هذا أيها الأخ الأمير رأيي أعرضه عليك · فإن أعجبك فحواه · والاّ فالسلة مأواه ·

المغربي

ريحانة شوقي على قبر حافظ[1]

—(()—

قد كنت أوثر ان تقول رثائي ... يا منصف الموتى من الأحياء
لكن سبقت ، وكل طول سلامة ... قدرٌ وكلُّ منية بقضاء
الحق نادى فاستجبت ولم تزل ... بالحق تحفل عند كل نداء
وأتيت صحراء الإمام[2] تذوب من ... طول الحنين لساكن الصحراء
فلقيت في الدار الإمام[3] محمداً ... في زمرة الأبرار والحنفاء
أثر النعيم على كريم جبينه ... ومراشدُ التفسير والإفتاء
فشكوتما الشوق القديم وذقتما ... طيب التداني بعد طول تناء
إن كانت الاولى منازل فرقة ... فالسمحة الأُخرى ديار لقاء
ووددتُ لو أني فداك من الردى ... والكاذبون المرجفون فدائي
الناطقون عن الضغينة والهوى ... والموغرو الموتى على الأحياء
من كل هدّام ويبني مجده ... بكرائم الأنقاض والأشلاء
ما حطّموك وانما بك حطّموا ... مَنْ ذا يحطّم رفرف الجوزاء
أنظر! فأنت كأمس شأنك باذخ ... في الشرق ، واسمك أرفع الاسماء
بالأمس قد حليتني بقصيدة ... غرّاء تحفظ كاليد البيضاء

(١) رأينا ان ننشر في مايلي بعض ماقيل في رثاء فقيدي الامة العربية ابراهيم حافظ بك واحمد شوقي بك مما رأينا حاجة الى نشره في مجلتنا .

(٢) المراد بالامام في البيت الامام الشافعي .

(٣) يشير الشاعر الى الاستاذ محمد عبده .

غيظَ الحسود لها وقمتُ بشكرها ... وكما علمتَ مودّتي ووفائي
في محفلٍ بشرتُ آمالي به ... لمّا رفعتَ الى السماء لوائي

***

يامانح السودان شرخ شبابه ... ووليّه في السلم والهيجاء
لما نزلتَ على خمائله ثوى ... نبعُ البيان وراء نبع الماء
قلدتّه السيف الحسام وزدتَه ... قلماً كصدر الصعدة السمراء
قلمٌ جرى الحقبَ الطوالَ فما جرى ... يوماً بفاحشةٍ ولا بهجاء
يكسو بمدحته الكرام جلالةً ... ويُشيّع الموتى بحسن ثناء

***

اسكندريةُ يا عروس الماء ... وخميلةَ الحكماء والشعراء
نشأتْ بشاطئك الفنون جميلةً ... وترعرعتْ بسمائك الزهراء
جاءتك كالطير الكريم غرائباً ... فجمعتها كالربوة الغنّاء
قد جمّلوكِ فصرتِ زنبقة الثرى ... للوافدين ودرّةَ الدأماء
غرسوا رباكِ على خمائل بابلٍ ... وبنوا قصوركِ في سنا الحمراء
واستحدثوا طرقاً منوّرةَ الهدى ... كسبيل موسى في فجاج الماء
فخذي كأمس من الثقافة زينةً ... وتجملي بشبابكِ النجباء
وتقلدي لغة الكتاب فانها ... حجرُ البناء وعدة الإنشاء
بنتِ الحضارة مرتين ومهدت ... للملك في بغداد والفيحاء(١)
وسمتْ بقرطبةٍ ومصر فحلّتا ... بين الممالكِ ذروةَ العلياء
ماذا حشدتِ من الدموع «لحافظ» ... وذخرتِ من حزنٍ له وبكاء
ووجدتِ من وقع البلاء بفقده ؟ ... إن البلاءَ مصارعُ العظماء
اللهُ يشهدُ قد وفيتِ سخيةً ... بالدمع غير بخيلة الخطباء
وأخذتِ قسطاً من مناحة ماجدٍ ... جمِّ المآثر طيب الأنباء
هتف الرواةُ الحاضرون بشعره ... وحدا به البادون في البيداء

(١) الفيحاء : دمشق الشام .

لبنانُ يبكيه وتبكي الضادُ من ... حلبٍ الى الفيحا الى صنعاء
عربُ الوفاء وفوا بذمة شاعرٍ ... باني الصفوف مؤلف الاجزاء
ياحافظَ الفصحى وحارسَ مجدها ... وإمامَ من نجلتْ من البلغاء
ما زلتَ تهتفُ بالقديم وفضله ... حتى حميتَ أمانةَ القدماء
جددتَ أسلوب (الوليد) ولفظه ... وأتيتَ للدنيا بسحر (الطائي)
وجريتَ في طلب الجديد الى المدى ... حتى اقترنتَ بصاحب البؤساء(١)
ما ذا وراء الموت من سلوى ومن ... دعةٍ ومن كرم ومن إغضاء ؟
إشرحْ حقائقَ ما رأيتَ ولم تزل ... أهلاً لشرح حقائق الاشياء
رتبُ الشجاعةِ في الرجال جلائلٌ ... وأجلهنَّ شجاعةُ الآراء
كم ضقتَ ذرعًا بالحياة وكيدها ... وهتفتَ بالشكوى من الضراء
فهلمَّ فارقْ يأس نفسك ساعةً ... واطلُعْ على الوادي شعاع رجاء
وأشرْ الى الدنيا بوجهٍ ضاحكٍ ... خُلقتْ أسرّتُهُ من السراء
يا طالما ملأ النديَّ بشاشةً ... وهدى اليك حوائج الفقراء
اليومَ هادنتَ الحوادثُ فاطَّرح ... عبءَ السنين والقِ عبءَ الداء
خلَّفتَ في الدنيا بيانًا خالدًا ... وتركتَ أجيالاً من الابناء
وغدًا سيذكرُك الزمان ولم تزل ... للدهر إنصافٌ وحسنُ جزاء

احمد شوقي

---

(١) يشير الى الشاعر الفرنسي فيكتور هوجو .

النيل الخالد

عجبًا ! أتوحشني وأنت إزائي | وضياءُ وجهك ماليءُ سودائي ؟!
لكن جرى قدرٌ وان أبت المنى | بنوى أحبتنــا لغير لقاء
جرحوا صميمَ القلب حين تحمّلوا | اللهَ في جُرحٍ عزيز شفاء
الطيب المحمود من عمري مضى | والمفتدى بالروح من خلصائي
لا بل هما مني جناحا طائر | رُميا ولم يكُ نافعي إخطائي
الصاحبان الاكرمان توليا | فعلامَ بعد الصاحبين بقائي ؟
لم يتركا برداهما غير الأسى | لأخيهما ما دام في الأحياء
وحيــاليَ الخلطاءُ الا انني | متغرّب بالعبد في خلطائي
أيرادُ لي من فضل ما مجدا به | إرثٌ ؟ اذنْ جهلَ الزمانُ وفائي !
إن نحيَ بالذكرى فلا تبديل في | صفةٍ ، ولا تغيير في الأسماء
يا صاحبيَّ غدوتُ منذ نأيتما | أجدُ الحياة ثقيلةَ الاعبـاء
لا ليلُ عافيةٍ هجعتُ به ، ولا | يومٌ نشطتُ به من الإعيـاء
انا واحد في الجازعين عليكما | وكأنما ذاك البلاءُ بلائي
فاذا بدا لكما قصوري فاعذرا | او شفّعا لي مسلفاتِ ولائي

***

مهلاً اميرَ الشعر غير مدافعٍ | ومعزُّ دولتــه بغير مراء
كم أمة كانت على قدر الهوى | ترجوك ما شاءت لطول بقاء
متمكنًا من نفسها إيمانهـا | أن لم تكن ممن حيوا لفناء

فاذا المنايا لم تزل حربَ المنى — واذا الرزيئة فوق كل عزاء
في مصر بل في الشرق منها لوعةٌ — سدّت على السلوان كل فضاء !
أترى مويجات الأثير كأنها — حسرى بما تزجي من الانباء ؟!
بعث الشرارُ بها ثقالاً لو بدا — ما حمّلت لبدت نطافُ دماء !
جزع الكنانة كاد لا يعدو أسى — أمّ القرى ومناحةَ الفيحاء
وبحضرموت على تنائي دارها — شكوى كشكوى تونس الخضراء
بالامس كان هواك يجمع شملها — في فرقة النزعات والاهواء
واليومَ فتّ رداك في أعضادها — ما أجلبَ البأساءَ للبأساء

***

أفدحْ بما يلقاه آلك إن يكن — حزنُ الأباعد جلّ عن تأساء
حُرموا أبًا برًّا نموا وترعرعوا — من جاهه في أسمح الافياء
وكفقدهم فقدَ الغرانيقُ العُلى — علمَ الهدى للفتية النجباء
وكرُزئهم رُزِيءَ الرجالُ مُرجَّبًا — عف اللسان مهذب الايماء
يتناولون من الصحائف وحيهُ — فتكون كل صحيفةٍ كلواء !
ماعشت فيهم ظلت بلبلَ أيكهم — في الأمن ، والرئبال في اللأواء
لك جوك الرحبُ الفسيح تجلو به — متفرداً والناس في أجواء
عذلوك في ذاك التعزل ضلة — إن التعزلَ شيمة النزهاء
ما كان شغلك لو دروا الا بهم — لكن كرهت مشاغل السفهاء
ولعلّ أعطفهم عليهم من دنا — بالنفع منهم وهو عنهم ناء
أنزلتَ نفسك عند نفسك منزلاً — يأبى عليها الخسف كل إباء
فرعيتَ نعمتك التي أثلتها — ورعيت فيها جانب الفقراء
تقني حياءك عالماً عن خبرة — أن الخصاصة آفة الأدباء
وترى الزكاة لذي الثراء مبرةً — منه به ووسيلة لزكاء
كم من يدٍ أسديتها وكسوتها — متأنقًا لطف اليد البيضاء

***

عصرٌ تقضى كنت ملءَ عيونه ... في أربعين بما افدت ملاء
يجلو نبوغُك كل يوم آية ... عذراء من آياته الغراء
كالشمس ما آبت أتت بمجدَّدٍ ... متنوع من زينةٍ وضياء
هبةٌ بها ضنَّ الزمانُ فلم تُتح ... الا لافذاذ من النبغاء
يأتون في الفترات بُموعِد بينها ... لتهيؤ الاسباب في الأثناء
كالانبياء ومن تأثر إثرهم ... من علية العلماء والحكماء
رفعتك بالذكرى الى أعلى الذرى ... في الخلد بين اولئك العظماء
من مسعدي في وصفها أو مصعدي ... درجات تلك العزة القعساء
ومُطوع لي من بياني ماعصى ... فأقول فيك كما يحب رثائي
لي فيك من غرر المديح شواردٌ ... أدت حقوق علاك كل أداء
ووقت قوافيها بما أملى على ... قلبي خلوص تجلتي وإخائي
ماذا دهاني اليوم حتى لاأرى ... إلا مكان تفجعي وبكائي

* * *

(شوقيٌ) لاتبعد وان تك نية ... ستطولُ وحشتها على الرقباء
تالله شمسك لن تغيب ، وانها ... لتنير في الإصباح والإمساء
هي في الخواطر والسرائر تجلي ... ابداً ، وتغمرهن باللألاء
والذخر أغلى الذخر ما خلفته ... من فاخر الآثار للأبناء
هو حاجة الاوطان ما دالت بها ... دُولٌ من السراء والضراء
سيعاد ثم يعاد ماطال المدى ... ويظلُّ خيرَ مآثر الآباء
يكفي بيانك أن بلغت موفقاً ... فيه أعزَّ مبالغ القدماء
بوأت مصر به مكاناً نافست ... فيه مكانَ دمشق والزوراء
ورددت موقفها الاخير مقدماً ... في المجد بين مواقف النظراء
لك في قريضك خطةٌ آثرتها ... عزّت على الفصحاء والبلغاء
من أي بحرٍ دره متصيدٌ ... وسناه من تنزيل أيّ سماء
ظهرت شمائل مصر فيه بما بها ... من رقةٍ ونعومةٍ ونقاء

ترخيمها في لحنه متسامعٌ ونعيمها في وشيه متراء
شعرٌ سرى مسرى النسيم بلطفه وصفا بروعته صفاء الماء
ترد العيونُ عيونه مشتفة ويُصيبُ فيه السمعُ ريَّ ظماء
ويكاد يلمس فيه مشهود الرُؤى ويُحَسُّ همسُ الظنّ في الحوباء
في الجو يؤنس من يحلق طائر والدوّ يؤنس راكبَ الوجناء
عجباً لما صرفت فيه فنونه من فطنةٍ خلاّبة وذكاء
فلكل لفظ رونقٌ متجددٌ ولكلّ قافية جديدُ رُواء
يُجلى الجمال به كأبدع ما انجلت صُوَرٌ حسانٌ في حسانِ مراء
ولربما راع الحقيقة رسمها فيه فما اعتصمت من الخيلاء !

* * *

حياك ربك في الذين سموا الى أملٍ فأبلوا فيه خيرَ بلاء
من مُلهَم أدى أمانة وحيه بعزيمةٍ غلاّبةٍ ومضاء
متجشم بالصبر دون أدائها ما سيمَ من عنتٍ وفرط عناء
للعبقرية قوةٌ علويةٌ في نجوةٍ من نفسه عصماء
كم أخرجت لأولي البصائر حكمةً مما ألمّ به من الأرزاء
حتى اذا اشتعل المشيب برأسه ما زاد جذوتها سوى إذكاء
فالداء ينحل جسمَه ونشاطُها يُخفي بروعته نشاطَ الداء
جسمٌ يقوّضه السقام ، وهمُّها متعلق بالخلق والإنشاء
عجباً لعاميه اللذين قضاهما في الكدّ قبل الضجعة النكراء
عاما نزاعٍ لم تهادن فيهما نُذُر الردى وشواغل البرحاء
حفلا بما لم يتسعْ عمرٌ له من باهر الإبداع والإبداء
فتحٌ بلي فتحاً ، وصرحٌ باذخٌ في إثره صرحٌ وطيدُ بناء
هذا الى فطنٍ يقصر دونها مجهودُ طائفة من الفطناء
من تحفةٍ منظومةٍ لفكاهة أو طرفةٍ منظومة لغناء
أو ضيرةٍ سيقت مساقَ رواية لمواقف التمثيل والإلقاء

تجري وقائعها فتجلو للنهى منها مغازيَ كنَّ طيَّ خفاء
فاذا الحياة عهيدها وعتيدها مزجٌ كمزج الماء والصهباء
تطفو حقائقها على أوهامها وتسوغُ خالصةً من الأقذاء

***

يا من صحبتُ العمرَ أشهد مانحا في الشعر من متباين الأنحاء
إني ليحضرني بصادقِ حاله ماضيك فيه كأنه تلقائي
من بدئه وحجاك يفتح فتحه للحقبة الأدبية الزهراء
حتى الختام ومن مفاخر مجده ما لم يتح لسواك في الشعراء
فأرى مثالاً رائعاً في صورة للنيل يملأُ منه عين الرائي
النيل يجري في عقيقٍ دافقٍ من حيث ينبع في الربى الشماء
يسقي سهول الريف بعد حزونه ويديلُ عمراناً من الإقواء
ما يعترضه من الحواجز يعدُه ويعدْ الى الإحياء والإرواء
حتى اذا ردَّ الفيافيَ جنةً فيما علا ودنا من الأرجاء
أوفى على السدِّ الأخير ودونه قرب المصير الى محيط عفاء
فطغى وشارف من خلاف زاخراً كالبحر ذي الإزباد والإرغاء
ثم ارتمى بفيوضه من حالقٍ في المهبط الصادي من الجرعاء
فتحدَّرت وكأن منهمراتها خُصل من الأنوار والأنداء
مسموعة الإيقاع في أقصى مدىً جذلى بما تُهدي من الآلاء
إن أخطأتْ قطراً مواقعُ غيثها أحظته باللمحات والأصداء!

***

لله درُّ قريحةٍ كانت لها هذي النهايةُ من سنىً وسناء
رفعتْكَ من علياءِ فانيةٍ الى ما ليس بالفاني من العلياء!

خليل مطران

اثر الادب العربي

-- في شعر شوقي --

« كلمة الاستاذ احمد الاسكندري »

لم تكن مصر وهي ولاية عربية بيئة خصبة لاخراج نوابغ الشعراء اذ لم تكن حينئذ دار ملك عظيم ولا موطناً جامعاً للفصحاء المتنافسين في الشعر ٠

ولما صارت دار ملك عتيد للفاطميين كانت زعامة الشعر والأدب ضاربة بجرانها ببغداد وعواصم الجزيرة الفراتية والشامات فنبتت بمصر نابتة أشبهت الفحول ولم تكنهم وانطبعت صناعتها بطابع مصري صبغته الرقة اللفظية والمحسنات البديعية والنكتة المصرية لا جزالة اللفظ ولا فخامة المعاني ٠ وجرّت هذه الصناعة ذيولها على من بعدهم من شعراء مصر والشام زمان دولة بني ايوب ودولتي المماليك ٠ فاذا كان هذا شأن الشعر في مصر المستقلة صاحبة الولاية على الشرق العربي فما ظننا به وهي ولاية عثمانية تتعاورها الأوبئة وتتلقفها الفتن والمزاهر، لا جرم ان يكون الشعر بحالته الاولى وطرافته الثانية رقد رقدة لم يوقظه منها الا عصر اسماعيل العظيم الذي جنى فيه الادباء ثمرة غراس جده الكبير ٠ فكر به البارودي كرة استرجع بها رونقه في القرن الخامس الهجري ، واقتدى به بعد نفيه طائفة طاولت فحول الأوائل وأنجبت شاعرنا بالامس وفقيدنا اليوم بامور لم تجتمع لهم جميعاً من توقد قريحة وشرف تنشئة ونبالة تثقيف وإحاطة بعلوم واتقان للغات وسعة اطلاع وخدمة ملوك ومداخلة ساسة وبلهنية عيش وتنوع تمتع وكثرة اسفار وطول فراغ وفسحة أجل ٠

وكأني بقائل يقول: كثر ماتاحت لسواه هذه الامور فلم تأت منذ قرون بنابغة مشهور قلنا أجل هي صمصامة عمرو فأين يمينه ٠

« أثر الشعر القديم في شعره »

ما كان شوقي بدعاً من الشعراء ولا خرج بشعره ثائراً على القدماء وانما تأدب بادبهم وسار على دربهم وما زال شعره كشعرهم تتألف القصيدة منه من أبيات مستقلة في اللفظ والمعنى على وزن واحد وتتركب من أخيلة جزئية لا من خيال كلي مفصل الاجزاء شأن الشعر القصصي الاوربي ، اتبع شوقي هذه الطريقة العربية حتى في المقطعات الكبيرة من مسرحياته .

والذي حدا به الى ان يكون عظيماً في الشعر العربي اطلاعه على شعر البارودي البليغ وسماعه إعجاب الناس به فأقبل على درس كتب الأدب ودواوين الشعراء وابتدأ كما قال عن نفسه — بديوان البها زهير فكان موفقاً جد موفق لانطباع شعر هذا الشاعر بالطابع المصري ولسهولته الممتنعة على غيره في الغزل ، وجره شعر زهير الى درس شعر أهل حلبته من أمثال ابن مطروح وابن النبيه والحاجري والتلعفري فنحا منحاهم وبزهم جميعاً قبل ان يتم العقد الثالث من عمره .

وبالطبع لم يقف بشعره عند هذا الحد فهب ينازع فحول الدولة العباسية صولجان سلطانهم من أمثال ابي نواس والبحتري وابي تمام والمتنبي والمعري والشريف الرضي وأمثالهم فأعجبه من ابي نواس خمرياته وغزلياته السائغة وحاكاها فقارب .

وراقه من البحتري حسن ديباجته وأوصافه وتشبيهاته حتى ليظن ان اكثر مانراه لشوقي في وصف القصور والهياكل ومواكب الملوك مستمد منه أو محاكي به طريقته . ولولا انه سالك في الحكمة وإرسال المثل مسلك ابي تمام والمتنبي لكان خريج البحتري وحده .

وأورثه سلوكه مسلك ابي تمام وابي الطيب أن يتخلق بخلقهما : من الاعتداد بالنفس وقلة الاكتراث بتعارف المتأدبين والنقاد عندما ينظم . فكان اذا جاش خاطره وحمي مرجله بمعنى صبه في اي قالب يتسع له في نظره وان ضاق عنه في نظر غيره إما لضعف قرينة وإما لخفاء كناية واما التشابه في مراجع الضمائر فيغمض ويعسر فهمه على غير الخبراء بشعر شوقي فيختصم فيه أنصاره ونقاده في الصحف والمجلات ولا يدفع صاحبنا عن نفسه باكثر من ان يتمثل بقول أستاذه ابي الطيب في وصف أبياته :

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

ومع انه يحطب في حبل المتنبي ويتعصب له لم يستطع ان يحكم التشبه به في عامة مذهبه من وضع المعنى الكثير في اللفظ القليل فجاء أقرب شبهاً بابي تمام منه بابي الطيب ٠

واكبر ظني ان شوقياً لم يتثقف كثيراً بشعر المعري واكتفى ان يثاقفه في نقد العادات المعيبة والآراء الافينة وان كان المعري قد طرق في شعره أبواباً لم يطرقها عربي في فلسفة الحياة والاجتماع ومعاملة الحيوان ونقد نظم الحكم والسياسة والاشتراع والتدين فصدف شوقي عن طريقة المعري في ذلك كما رغب عن تكلفه في قوافي لزومياته اذ ليس من سجايا صاحبنا التعمق في الفلسفة ولا التكلف الى هذا الحد ونعم انه تمرس مرة بلزوم ما لا يلزم في موشحة أندلسية فدرج في بعض أقسمتها بروي مزدوج الحروف وما اطاقه في بقية الأدوار والأقسمة ونعما فعل ٠

والحق ان المباراة التي عقدها بين نفسه والفحول من الشعراء الآنفي الذكر قد انجلت عن ان السابق في الزمن ما زال سابقاً في الشعر وان ارتاض جوادنا المصري بمجاراتهم أيما ارتياض ٠

أما الشريف الرضي وأنداده في الشعر من أمثال مهيار الديلمي البغدادي وابن هانئ وابن زيدون وابن خفاجة وابن حمديس من الاندلسيين والمغاربة فهم من نساميهم بشاعرنا فقد درس دواوينهم وعارض أشهر قصائدهم فكان يصرعهم مرة ويساجلهم أخرى ويتخلف عنهم تارة فهم ان فضلوه بسبقهم الى الشعر وتعبيدهم طريقه راجحهم بفضل ثقافته الجديدة وشهوده تلك الحضارة الباهرة فأتى بما لم يأتوا به واكمل بجديده قديمهم فقاسمهم ملكهم ونرجو ان لا يكون خاتمهم ٠

« سلوك شوقي في مسلك المتقدمين في أغراضه »

قال شوقي الشعر في كل الاغراض عدا المجون والتزهيد في الدنيا والهجاء ٠

فأما المجون والتزهيد في الدنيا — فان روح العصر واستكانة الشرق يصدان عنهما ٠

واما الهجاء فلم تطب نفس شوقي السمحة ان تورد شعره في هذا المورد البشع ٠

وقال الشعر في بقية أغراض القدماء وجمع بين براعة المتقدمين وبراعة المعاصرين

وبداعة المصريين فكان غزله يسيل رقة ويتنزه عن الإفحاش تنزهاً وكان مدحه لا يمل وان لم يعدُ فيه مألوف العرب، لبث فينا عمراً من قبل الحرب العظمى يمدح ممدوحاً واحداً في مواسم مكررة فلم ترذل له قصيدة وأماديحه في الاسلام ورسول الاسلام وخلفاء الاسلام وأبطال الاسلام غرة في جبين الايام ورفلة منه الى مقيل عثرات الكرام وغافر الآثام ٠

اما الوصف فهو جل بضاعته ومظهر براعته ولا تخلو منه قصيدة من شعره ، وأروعه ما أخرجه مخرج العظة والاعتبار كسينيته في آثار الاندلس التي عارض بها البحتري ووقفته على قبر نابليون وندبه معبد اسوان ووصفه ابا الهول ٠

وأضاف شوقي الى الثروة التي خلفها القدماء في أغراض الشعر وأبوابه أبواباً لم يحلموا بها : أوجدتها الحضارة الحديثة ونظم الاجتماع والسياسة مثل : وصف سفينة البخار والغواصات والكهرباء والطيارات والطيارين والقطار البخاري والهلال الأحمر والصليب الأحمر والمراقص وابي الهول وانتحار الطلبة والأحزاب السياسية ودار الندوة المصرية المسماة بالاعجمية (البرلمان) وديانة المصريين وعبادتهم وكنوزهم وعظمة النيل واعتقاد القدماء فيه والبحر الابيض المتوسط والبريد وطابعه وجسر البسفور وصبيان المكتب وحرية المرأة ٠ ولا نعرف شاعراً مسلماً تحفى بديانة قدماء المصريين وتمجد بافعالهم مثله ٠

« معانيه »

تنسب عظمة شوقي الى إجادة المعنى اكثر من نسبتها الى اجادة اللفظ وانما تكثر معاني الشاعر وتعظم وتجود اذا اجتمع له امران :

اولها — سعة اطلاعه والمامه بكثير من العلوم والفنون وخصائص الديانات وتاريخ الشعوب وخرافاتهم وابطالهم ٠

وثانيها — توقد قريحته وصدق نزعاته التي تدفعه اليها غرائزه الفطرية ٠

فالامر الاول يكون في نفس الشاعر صورية اجتماعية مكتسبة من البيئة والمجتمع اللذين يعيش فيهما ٠ وبهذه الصورة ينفذ الى قلوب من يعاصرهم وينال إعجابهم ٠

والامر الثاني يطبع في نفسه صورة فردية لشخصه تطابق مافطر عليه من النزعات والميول والاكياس من الشعراء من يخفون من أجزاء هذه الصورة ما يسخطه المجتمع

ويظهرون منها ماتطرب اليه نفوسهم ونفوس من يضاهئونهم ٠

وشوقي جد كيس بزيع : أظهر في معاني شعره كل صورته الكسبية الاجتماعية فأعجب الأديب والعالم والفيلسوف والمؤرخ والسياسي والمشترع والمفنن والمسلم واليهودي والنصراني ولم يظهر في معاني شعره الا بعض أجزاء من صورته الفردية (الفطرية) فأعجب نفسه ومن يشاركه في الهوى : هتف بالخمر فاستقصى ، وتغزل بالجميل فاستهوى الانفس ، ووصف المراقص فاستمال القلوب ، فاستدل المجددون في الشعر بهذا على انه يحب الحياة ومادروا انها صورة المرء الفطرية الحيوانية يظهرها التبذل ويضمرها التزمت والتدين والا فمن منا لا يحب الحياة انما تختلف في وجوه نشدها :

أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهاماً بها صبا
فحب الجبان النفس أورده التقا وحب الشجاع النفس اورده الحربا

ومن معرفتنا بان كل امرىء يعيش طبيعة بصورة لنفسه وصورة للمجتمع نعرف خطأ من يقول ان شوقياً غريب الأطوار فبينا هو يشيد بالتبزع في وصف الخمر والتمتع باللذائذ والتولع بالملاهي اذا به يحث على التفاني في نصرة الاسلام والتنافس في نشر الفضيلة والإيثار على النفس ٠ نسي هذا القائل تأثير الغرائز الفطرية بكل شخص كما نسي ان المجتمع الذي يعيش فيه شوقي هو الغريب الاطوار السريع التقلب فهو يعايشه في اموره العامة بصورته الاجتماعية المكتسبة منه ويراجع لذاته بصورته الفردية ٠

هذا وليس عجباً ان يفوق شوقي شعراء زمانه ومن قبلهم من بعد القرن الرابع باكثاره من المعاني المبتكرة فلا نكاد نقرأ له قصيدة الا متضمنة معنى أو أكثر من معانيه المبتكرة أو المولدة توليداً بديعاً بحيث يتألف من مجموعها ثروة تضاف الى ثروة الأدب فتزيده عزازة وتمكينا ٠

« مسلك شعره في اللفظ والاسلوب »

يضيق بنا المقام الليلة عن وصف شعره في لفظه وأسلوبه مفصلاً تفصيلاً وكل مايمكن ان نقوله انه كان في صباه رقيقاً سهلاً قليل اللفظ الغريب ثم صار في كهولته يرق في الغزليات والخمريات وأوصاف الملاهي ويفخم ويجزل ويغرب ويغمض في الجديات

وعندما يعارض شاعراً عظيماً او يكتب الى عالم كبير أو مملك خطير وهذا الغريب أحيا منه شوقي أكثر من الألف كلمة زادت الأدب فراهة ومجادة · وليس معنى ماقلت في هذه الليلة ان شوقياً رزق الكمال في شعره كما رزق السعادة ؛ فالشاعر الكامل لم يسمح به الزمان بعد ولعل له من العيوب الفنية والأخطاء النحوية اللغوية ما يستنفد عشرات الصحائف ومبلغ القول فيه انه بشر يخطئ ويصيب وانه مكرمة من مكارم الشرق وحسنة من حسنات الأدب العربي · وكفى شوقياً شرفاً وعظمة ان تكون فجيعتنا فيه هي فجيعة للعرب والمسلمين والشرق كافة وان كل قلب فيهم يستشعر الياس من ان يستدير الزمان فيجود لنا بنادرة الفلك وبكر عطارد · فهل تخرج لنا الارض التي أنبتته والحياة التي أنجبته مثل شوقي ليس ذلك بعزيز على مفيض العقول وواهب الحياة سبحانه وتعالى ·

رحلة اوليا جلبي (١)

« في البلاد العربية »

— ٨ —

وفي منتصف هذه البليدة (سلمية) ساحة وسيعة تلتقي فيها طرق الاحياء الضيقة المعوجة وتحيط بها حوانيت الباعة ومرائب السيارات وقد قامت في وسطها دار الحكومة الحديثة وفندق حوله حديقة وبجانبها جامع للسنيين حديث البناء · وفي أحياء سلمية وقراها اماكن لعبادة الاسماعيلية لا يعرفها ولا يدخلها الا هم يدعونها « جمعة » بفتح الجيم يرتادونها مرتين في اليوم قبيل الفجر وعقيب الغروب فيلتف الرجال ووراءهم النساء حول مائدة عليها صورة شمسية لمعبودهم آغا خان وبعد ان يتموا أدعية باللغة الاوردية يؤدي كل منهم الزكاة وهو خمس ما جناه في ذلك اليوم مها تفه يرسل بمجموعه في آخر العام الى الهند · وثمة في جنوبي سلمية مدرسة ابتدائية رسمية وأخرى في غربيها زراعية عملية انشئتا باموال الزكاة التي ذكرناها · والمدرسة الزراعية انشئت في عهد العثمانيين في سنة ١٣٢٩ ولها مبان حسنة وارض واسعة وقد سبق لكاتب هذه السطور جهود جمة في ادارتها وفتحها واعمارها بعد ان أحرقت عقيب الحرب العامة واغلقت ، فثقفتُ التلامذة على الأساليب الزراعية الحديثة ووضعتُ المناهج وألفتُ بعض الكتب في الفنون التي كانت تدرس بالتركية ولم يسبق لها وجود في العربية وأنشأتُ الكروم والبساتين والمنابت الزاهية حتى الآن وخرجتُ خلال السنوات السبع التي مكثتُ فيها عدداً غير يسير من الإخصائيين استلم بعضهم زمام العمل فيها وغيرها من المعاهد والدوائر الزراعية في مختلف الأقطار العربية فكان منهم بعض النفع

(١) مازلنا في صدد هذه الرحلة غير ان تعليقنا هذا عليها قد طال وسنعود اليها فلينتظر القارئ ·

في خدمة هذه الحرفة · وبعد ان غادرت هذه المدرسة انحط شأنها ومازال بانحطاط حتى اضطرت الحكومة في العام الماضي الى الغائها وابقائها كمركز للاختبار الزراعي فحسب ·

وفي سلمية من الآثار القديمة البِقنى البزنطية والعربيـة التي قدمنا ذكرها وقد فتح حتى الآن على ماقيل نحو خمسين منها وبقي مثل ذلك أو أكثر · وكان أعظمها وأطولها القناة التي ذكرنا في بحث حماة امتدادها من سلمية الى حماة وإسقائها البساتين والاراضي الشمالية التي استبعلت بعد دثورها · ولم يبق من آثار هذه القناة الا قليل من الآبار الجسيمة التي ترى في طريق حماة بين سلمية وتل الدرة ويظن البعض انها تخص القناة المذكورة ويزعم آخرون انها تخص قناةً تذهب الى مدينة أفامية تدعى قناة العاشق ، على ان الظن والزعم المذكورين يحتاجان الى تحقيق · وكانت هذه القناة من أكبر دواعي عمران حماة في عهد ملوكها الايوبيين ، خربها مرة شيركوه ملك حمص الذي كان عسوفاً برعيته مسيئاً لجيرانه · قال ابوالفداء في حوادث سنة ٦٣٥ : كان الملك الكامل شديد الحنق على شيركوه صاحب حمص فأمر العسكر فبرزوا لقصد حمص وأرسل الى صاحب حماة وأمره بالمسير اليها فبرز الملك المظفر من حماة ونزل على الرستن ولكن مات الملك الكامل بغتةً ففرح صاحب حمص وأرسل ارتجع سلمية من نواب الملك المظفر وقطع القناة الواصلة من سلمية الى حماة فيبست بساتينها ثم عزم على قطع النهر العاصي عن حماة فسدَّ مخرجه من بحيرة قدس التي بظاهر حمص فبطلت نواعير حماة والطواحين وذهب ماء العاصي في أودية بجوانب البحيرة ثم لما لم يجد الماء مسلكاً عاد فهدم ماعمله صاحب حمص وجرى كما كان اولاً اه · وقال في حوادث سنة ٧٢٦ يذكر تنظيفه هذه القناة : وفيها في منتصف ربيع الآخر الموافق للحادي والعشرين من آذار خرجت بعسكر حماة ووصلت الى القناة الواصلة من سلمية الى حماة وقسمتها على الامراء والعسكر لينظفوها فانها كانت قد آلت الى التلف بسبب مااجتمع فيها من الطين فحرروها في نحو اسبوع ثم عدت الى حماة اه ·

وفي سلمية من المباني الأثرية أسس سور الحصن القديم وقسم من أبراجه يختفي وراء الحوانيت وكان هذا الحصن من بناء العرب قبل عهد المماليك شيد بانقاض المباني البيزنطية القديمة وقد هدم ويالأسف خلال الحرب العامة واستعملت أنقاضه في عمارة دار الحكومة

الحديثة . أدركنا فيه ثمانية أبراج مربعة الشكل أربعة في الزوايا وأربعة في منتصف الاسوار وكان في وسطه فناء واسع وفي جنوبه قبو كبير اتخذه السلميون مسجداً على سطحه غرف عديدة لموظفي القضاء . وثمة حمام عربي قديم وجدوه في بدء عمران سلمية الاخير على حالته الحاضرة فنظفوه وما برحوا يستعملونه وهو يماثل حمامات المدن الكبيرة بحسن تقسيمه واتقان بنائه ويشهد بما كان لسلمية وأهلها في عهد العرب من الحضارة والرفه وعلى يسار بابه حجر عليه كتابة كوفية لا تحوي تاريخاً مما يدل على ان الحجر مستعار من مكان آخر . وجامع خراب ينسب الى الامام اسماعيل يظهر من هيأة قسمه الشرقي انه كان كنيسة في صحنها أعمدة ممدودة ومنتصبة من الحجر الحرّي (نسبة الى الحرّة) والحجر المحبب (الغرانيت) الاحمر والاسود وفي قسمه الغربي قبة عالية من الآجر نصفها مهدوم تحتها أضرحة اسلامية لأناس مجهولين زعموا ان صاحب الضريح الاكبر الذي يخطأ سكان سلمية بنسبته الى الامام اسماعيل هو أحد بني هاشم الذين استوطنوا سلمية في القرن الثالث واسمه رضي الدين عبد الله بن احمد الوفي بن محمد التقي بن محمد المكتوم بن اسماعيل وانه بعد ان توفي قبيل حادثة القرامطة ذهب من سلم من أسرته في سنة ٢٩٦ الى المغرب برئاسة احد أبناء أعمامه عبيد الله بن محمد الحبيب الذي قدمنا ذكر لحاقه بابي عبد الله الشيعي وتلقبه بالمهدي وتأسيسه الدولة الفاطمية . وعلى أسكفة باب القبة زبرت كتابة كوفية تاريخها سنة ٤٨١ قرأنا منها بعد الجهد الكلمات الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم عمل هـذا المشهد ..... المباركة ... العابد الأجل ابو الحسن علي بن حرمل (؟) ....

... صانعه الأمير الأجل ..... الملك سيف الدولة خلف بن ملاعب أدام الله علوه في سنة احدى وثمانين واربعمائة

دلت كلمة المشهد الواردة في هذه الكتابة على ان أصحاب الأضرحة الراقدين تحت القبة شهداء ولكنها لم تذكر اسماءهم يا للاسف لنعرف من هم ، ودلت على ان سلمية كانت تخالف تتبع حمصاً في عهد صاحبها خلف بن ملاعب الكلابي الذي كان يخطب للفاطميين . وقيل ان في الزاوية الغربية القبلية من خارج حرم هذا الجامع الخرب حجر أسود زبر عليه

باليونانية ما تعريبه : « هذا باب الله من تكلم الصدق وسار على الحق دخل منه » ·

وقلما تخلو باحة أو دار في سلمية من أسس الجدران أو ناووس أو جرن أوسارية أو تاج أو قاعدة عمود بعضها مستعمل في تضاعيف الابنية وبعضها ملقى ومنها ما عليه كتابات ونقوش يونانية تنتظر من يعنى بها ، وفي احدى الدور ينزل من فوهة بئر الى مسجد صغير تحت الارض معقود ومبلط فيه محراب وحوض ماء · وفي ضواحي سلمية الى الغرب من عين الزرقاء طاحونة قديمة تعرف بطاحونة المعبد وجد فيها الاثري هارتمان في أوائل هذا القرن أحجاراً عليها كتابات تشبه الطلاسم وعمودين من الحرّي مؤلفين من عدة قطع ولهما تيجان كورنثية وعلى عمودين آخرين كتابات يونانية وكوفية غير واضحة ·

والى الشمال الغربي من سلمية على بعد ثلاثة كيلو مترات اكمة عالية جرداء من أذيال جبل العلا في ذروتها جامع خرب لا يسع الزائر الا استغراب الحكمة في بنائه في هذا العلو المقفر وهو ينسب الى الخضر حجره من الحرّي وفيه كسور أعمدة حلزونية · وفي غربي جامع الخضر تل عال أبيض منتصب وسط واد عريض أحاطت به أذيال جبل العلا وربضت فوقه (قلعة شميميس) ذكرها ابو الفداء في تاريخه في حوادث سنة ٦٢٧ قال : في هذه السنة شرع صاحب حمص شيركوه في عمارة قلعة شميميس وكان لما سلم اليه الملك الكامل سلمية قد استأذنه في عمارة تل شميميس قلعة فأذن له بذلك ولما أراد شيركوه عمارته أراد الملك المظفر صاحب حماة منعه ثم لم يمكنه ذلك لكونه بامر الملك الكامل اه ·

وهذا التل ذو شكل مخروطي وتأليف جيولوجي غريب نادر المثال فأسفله من الصخور الجيرية وقمته من الحرّي تظهر الثانية فوق الاولى كطاقية صغيرة سوداء فوق هامة كبيرة كللها المشيب مما يدل على ان التل كان بركانًا قذف بحممه وكان قليلاً فجمد عند الفوهة · وقد نقر مشيدو القلعة في بلعوم هذه الفوهة بئراً عظيمة الدائرة لا يعرف غورها عششت فيها أسراب الحمام البري · ومهدوا سطح الطاقية وبنوا على دائرتها أسوار القلعة وأبراجها وحفروا حول التل خندقاً عظيماً وعميقاً يحيط بالقلعة · واذ لم يبق للجسر والباب اللذين كانا في قبليها أثر أصبح القاصد لا يبلغها الا زحفاً لشدة الانحدار · وقد هدم كل

الابراج وأعلى الاسوار فصار الزائر لا يرى في داخل القلعة الاالبئر التي ذكرناها واطلالاً وركاماً لجدران متساقطة ودعائم متهدمة ماخلا قسماً من السور ونوافذه فانه لا يزال ماثلا . وموقع قلعة شميميس ذو مكانة حربية لا يستهان بها تدل على جودة نظر بناتها فهي وان اختفت وراء الآكام المحيطة بها تشرف على ابعاد شاسعة يصل مداها الى ضاحية حمص في الجنوب وطريق حماة ووادي العاصي في الغرب والسهول الممتدة الى جبل البلعاس في الشرق والطرق الآخذة الى الاندرين وحلب في الشمال . ولم يذكر ابو الفداء ولا غيره من مؤرخي العرب من هو شميميس التي نسبت هذه القلعة وتلها اليه وربما كان أحد ملوك حمص من آل شميسغرام او غيره ، لان بناءها وان كان عربياً بحتاً من طراز الهندسة العسكرية السائدة في عهد الملوك الايوبيين لكن اسم شميميس وحصره بتل هذه القلعة دون غيره من التلال والآكام المجاورة المحرومة من الاسماء يذهبان بالظن الى انه كان هناك حصن قديم من قبل الاسلام خربته عوادي الزمان فجاء الملك المجاهد شيركوه في سنة ٦٢٧ ونقضه وعمر القلعة الحالية لتكون مقابل قلعة حمص التي عمرها هو ايضاً بعد دثورها . وبقيت شميميس في يده ويد ابنه المنصور ابراهيم الى ان سلمها حفيده الأشرف موسى في سنة ٦٤٥ الى الصالح ايوب ملك مصر والشام . وفي سنة ٦٥٨ جاء التتار بقيادة هولاكو فنالوا منها كما نالوا من بقية قلاع الشام ثم رممها بعد ذهابهم الملك الظاهر بيبرس في جملة ما رمم وظلت تعد من ممتلكات دولة المماليك المصرية بدليل ذكرها في المعاهدة التي عقدها الملك المنصور قلاوون مع الصليبيين في سنة ٦٨٢ ثم اهمل امرها لما عمت الفوضى بعده الى ان قضت عليها الزلازل وفتن الأعراب . على ان القضاء الاخير لم يتم الا بعد مجيء سكان سلمية الحاليين فهم تهافتوا على تهديمها ونقل أحجارها حتى ان بابها الكبير الذي كان ماثلاً في قبليها في سنة ١٣١٣ حينما زارها الأثري (فان برشم) قد نقض هو والبرجان اللذان كانا يحرسانه وهكذا تندثر الآثار القديمة في بلاد الشام بيد جهلاء ابنائه وتضيع مفاخر الاسلاف دون ان تجد لها شفيقاً او نصيراً .

وفي شمالي سلمية على بعد خمسة كيلومترات ربوة فيها جامع خرب ينسب الى الشيخ فرج (؟) له قبة من الآجر اكثرها متهدم وله جدران متداعية وفي شرقيه ضريح محاط

بجدران غير مسقوفة صاحبه الشيخ المذكور تزوره الاعراب واهل القرى لاعتقادها ببركته . وفي جنوبي هذا الضريح مقبرة فيها قبور قديمة وحديثة صاحب احدها « محمد ابن عيسى بن مهنا » المتوفى في سنة ٧٢٤ كما زبر على شاهدة قبره . وابو هذا الرجل عيسى ابن مهنا سليل بني طي القبيلة المشهورة التي قال ابن خلدون عن افرادها : ملأوا السهل والجبل حجازاً وشاماً وعراقاً وكان منهم اصحاب الدولة في العراق والشام ومصر . وقد كان عيسى ثم من بعده ابنه مهنا اميري البادية كلاهما في اواسط القرن السابع واوائل الثامن وكان لهما منزلة رفيعة لدى السلاطين المماليك في مصر ونوابهم في الشام . وقد رددت التواريخ اخبارهما واخبار الغارات والفتن التي اتى بها اولاد مهنا واولاد اخيه فضل واعقابهما في القرن الثامن والقرون التي تلته مما ادى لدثور سلمية وضواحي حماة والمعرة . وقد تغير اسم آل مهنا بعد حين كما هي عادة اهل البادية وجاء من اعقابهم فرع صار يدعى بابي ريشة هم الآن امراء عشيرة الموالي المعروفة في زمننا ، لا يزالون على سنن جدودهم يثبون كلما لقوا من فوضى الاحكام فرصة ويقتتلون مع جيرانهم الحديديين كلما وجدت الفتنة من يوقظها فيما بينهم فينال الطرفان من العامر والغامر .

وفي شرقي سلمية على بعد ٤٧ كيلو متراً منها جبل يدعى البلعاس يذهب اليه القاصد ماراً بقريتي بري الغربي وبري الشرقي ويلمح على يمينه الصفاوي وتل الغاوي ومرج مطر والخفية وتل التوت وهذه القرى تتبع مركز القضاء في سلمية . ثم يمر بمفقر الغربي والشرقي تاركاً على يساره ارض قرية عقارب الواسعة ثم بابي حبيلات وابي رمال الى ان يوافي عقيربات . وقد ذكر ياقوت في معجمه عقيربات بدون تاء وقال انها ناحية بحمص ، وهي ضيعة في اقصى العمران فيها الآن مخفر للدرك ومدير ناحية تتبعه الضياع والمزارع النائية مثلها كفريتان وعرشونة وعكش وابوحنايا وقليب الثور وصلبا ومسعدة ومسعود ما عدا التي مر ذكرها في الطريق . واهل عقيربات جالية من قرية السخنة على طريق تدمر ودير الزور ، وقد عرفت بحدوث المعارك الاولى بين قبيلتي الموالي والحديديين حينما نشبت الفتنة بينهما في سنة ١٣٣٩ وانتقلت الى اماكن أخرى وعمت البلوى منهما ودامت اذذاك سبع سنوات وبعد ان اطفئت عادت الى النشوب منذ عهد قريب ومايرحت .

والبلعاس يبتدأ من قرب عقيربات ويقف حاجزاً بين فيافي البادية وأرياف الحاضرة . وهو مؤلف من آكام وهضاب متسلسلة يتخللها أودية يختلف بعرضها وعمقها ، وطوله من الشمال من مكان يدعى حسو الرمل الى آخر في الجنوب يدعى الفايا شرقي كورة حمص نحو خمسين كيلو متراً وعرضه من جوار عقيربات السويد الى ضرة ابي الظهور اربعون كيلومتراً . ويتصل البلعاس في شرقيه بسلاسل من الجبال المائلة له تمتد من الغرب الى الشرق الى قرب قرية السخنة وتدعى باسماء مختلفة كأبي الظهور وفيه موقع يدعى الشفا وشاعر وشطب والمراة وابو رجمين وابو حية والابيض وهذا يشرف على طريق حمص وتدمر . ويختلف علو هذه الجبال بين ١٠٠٠ — ١٤٠٠ متر بينما السهول الناشزة قرب سفوحها لا تتجاوز خمسمائة المتر . وفي هذه الجبال أشجار قديمة عظيمة من البطم الذي ينفع بحطابه وعصير ثمره المشابه لزيت الزيتون وباستعداده للتطعيم بالفستق وفيها لاسيما قرب عقيربات قليل من السويد الذي نسبت اليه وهذا ليس منه سوى الحطب . وتدل ظواهر هذه الاشجار على انها كانت في الماضي حراجاً كثيفة وكان البلعاس ومازال أغناها بذلك . الا ان يد القطع والاستئصال نالت منها وياللأسف وبعدت المسافة بين الشجرة والثانية مئات من الأمتار ، وما برح اهل سلمية وعقيربات وضواحيها يقطعون أحطاب هذه الاشجار وينقلونها على عجلاتهم وجمالهم ويبيعونها في حمص وحماة وسلمية ناهيك بما تحرقه الاعراب الذين ينزلون فيه في فصل الشتاء او يمرون به اثناء التشريق والتغريب مما يقدر مجموعه في كل عام باربعين الف قنطار ونيف . وقد خلا معظم الهضاب الغربية في البلعاس من أشجاره بسبب هذا القطع المستمر ولا رادع ولا وازع ، وسوف لا يمضي على ما رأيت عشرون سنة حتى يتجرد هذا الجبل الجميل من أشجاره بالكلية كما تجرد جبل الشومرية وجبل قلون وغيرهما من جبال الشام فاختل نظام الأمطار وتوالت أعوام المحل من جراء هذا التجريد والتخريب .

ذكر ياقوت البلعاس فقال أنه كورة من كور حمص وكان عرّف الكورة في مقدمته بانها كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة او مدينة او نهر يجمع اسمها ، فهل كان هذا الجبل عامراً في عهد ياقوت وماقبله حتى سماه كورة ؟ لا نجرم

ان المتجول في هضاب البلعاس وشعابه وفي الجبال المجاورة له التي عددناها يجد خرباً ورسوماً كثيرة تعد بالمئات لا تزال أطلالها مائلة بعضها يشبه الخافر لوقوعه في ذروات مشرفة على المنافذ والمسالك وبعضها يشبه الدساكر والضياع أشهرها أم قبيبة ورسم التنباك والتركمانية وحميات ودبيس وجب العمارة وحويسيس والقسطل وبستان صبيح والمسكرة . وغالبها يحتوي على صهاريج مندثرة شيدت وطليت بما يضبط الماء وسلطت عليها المجاري الآتية بمياه الشتاء مما يثبت ان هذه الجبال المقفرة في يومنا كان بعضها ان لم يكن جلها آهلة في العصور الغابرة وذلك على الرغم من انها محرومة بالكلية من الينابيع المتفجرة في حين ان صخورها رسوبية جيرية بيضاء وهذا مادعا سكانها القدماء لحفر تلك الصهاريج وتشييدها . بيد ان ياقوت لم يزدنا ايضاحاً كما ان غيره من جغرافيي العرب ونخص بالاشارة ابي الفداء لم يذكروا عن كورة البلعاس شيئاً لذا غمض علينا مبلغ العمران الذي وصلت اليه وعدد السكان وحسبهم ونسبهم ومعاشهم أكان من الاحتطاب وعصر ثمر البطم أم من غيرهما ايضاً وما سبب خراب هذه الكورة وزمنه أكان قبل الفتح الاسلامي أم بعده في بدء عهد العباسيين كما نقله الصابوني في تاريخ حماة دون ان يذكر المصدر أم بعد عهد ياقوت في القرن الثامن حينما خربت سلمية وضواحيها بيد الأعراب أبناء وأحفاد مهنا بن عيسى .

هذا وقد اعتادت عربان ديار سلمية وحماة والمعرة ان تنزل في فصل الشتاء في البلعاس والجبال المجاورة له وذلك في الحرب الدائرة التي ذكرناها وبعض القبائل تمر بها في طريقها الى البادية (الحماد) او الحاضرة (المعمورة) خلال التشريق والتغريب وهم يرغبون في الارعاء في هذه الجبال لصلاحها للغنم والمعز التي تتسلق الاشجار وتتغذى باوراقها قبل هطول الامطار واخضرار الارض بنبات الربيع . ولهذا دعيت مثل هذه القبائل في كتب الاقدمين باهل الشجر لمكوثها او مرورها بالجبال الشجراء على حين ان اهل الوبر اي أصحاب الإبل العريقين بالبداوة كقبائل عنزة تبتعد عن البلعاس لضرر أشجاره بالابل التي تحتك بها وتصاب بالجرب وتبتعد خاصةً عن جبل شاعر الذي زعموا ان في سفحه (او شليله كما يقولون) عشب صغير ينمو بين غيره من النبات في الربيع اذا أكله البعير يصيبه وهن أشبه بالهيضة وقد يبقى فيه كامناً الى أواخر فصل الصيف ولا يؤمن من ظهوره

في البعير حتى يشرب ماء السماء (اي ان تمطر) ٠

وفصل الربيع في هذا الجبل جميل يستهوي غواة المنتزلات القفراء والاودية الشجراء والهضاب الغضراء ، لاسيما بعد ان يورق البطم وتنمو الانجم والأعشاب وهي هنا تقترب بوفرتها وتنوعها لما في الجبال الغربية وبعد ان تمتلئ صهاريجه وحواياه بمياه السيول والامطار وتزدهي سفوحه وأوديته بمضارب العربان ويرن فيها ثغاء الغنم والحملان وتكثر الزبد والألبان ٠ وبعض أوديته واسعة الرقعة خصبة التربة حمراء اللون صالحة للاستغلال لا ينقصها الا الأمن واليد العاملة ٠ ويذكر ان في جبل شاعر أرضاً تشبه كورة العلا بالنشوز واحمرار التربة وسعتها وخصبها وان في الجبل الأبيض على مقربة من تدمر مقطع للرخام الأبيض وفي غربي المنهل المعروف بالجحار صخر أحمر يعرف بمقطع المرو وان في جبل المراة ايضاً مقطع آخر يماثله ٠ واذا لم تكف مياه الصهاريج والحوايا في هذه الجبال يرد الأعراب الآبار الموجودة في السهول الممتدة في شماليها أوشرقيها أوجنوبيها كآبار اسرية والقصير وابو الفياض وابو النيتل والتوينات والكديم والهباة وقواعد وجب الرمان وجحار وعين البيضاء وابو رغيوة ومخلف وحفار الجواد ومياه الآبار الثلاثة الاخيرة مرة ٠

« للبحث صلة » وصفي زكريا

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٨ —

ابو علي عبد الله بن الحجاج وابو بشر النصراني (١) الكاتب يهجو أبا الفضل الشيرازي الوزير (٢) كان من ابيات :

ما كل من طوّل عثنونه   ينال فضلاً يا ابا الفضل
طوّلت عثنونك تبغي الغنى   ايّ عُلىً في ذنب البغل
ولست أُحصي كم رأيت امرءاً   ألحى ولكن كوسج العقل

***

حدثني ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن محمد الطبري الشاهد قال حدثنا الحسين بن فلان الكاتب النصراني الملقب ببظر أم الدنيا قال قال (٣) لي ابن الفرات أمرُ السلطان المخرقة فاذا استحكمت وتمت صارت سياسة :

***

(١) كذا بالأصل ويظهر ان الجملة ناقصة . (٢) قوله (الوزير كان) بمثابة قولنا اليوم (الوزير السابق) . (٣) الوزراء لهلال ص ٦٣ .

وحدثنا قال حدثنا قاضي القضاة اي محمد بن معروف قال كنت مع المطيع لله في طيّاره وقد ركب وانا واقف بين يديه مع حاجبه وكلما دعت له طائفة سألني عنها فأُخبره بها حتى دعت له طائفة من الطالبيين فقال مَن هؤلاء فقلت الطالبيون فاعرض عنهم واطرق ساعة وعبس الى ان جازهم ثم قال ياأباعبدالله قلت لبيك ياامير المؤمنين قال العلوية اهلي واقرب الناس اليّ ووالله اني احبهم ولكن اعلم انهم يبغضوني ومثلي لايخاتل ولا يجوز ان أعاملهم الا بما رأيتَ ·

وسمعته يقول سمعت جعفراً الخلدي الصوفي يقول لو تركني الصوفية لجئتكم باسناد الدنيا (١) مضيت الى عباس الدوري وانا حدث فكتبت عنه مجلساً واحداً وخرجت من عنده فلقيني بعض من كنت اصحبه من الصوفية فقال ايش هذا معك فأريته اياه فقال ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق قال ثم خرق الاوراق ودخل كلامه في قلبي فلم أعد الى عباس · وسمعته يقول سمعت جعفراً يقول سمعت جنيداً الصوفي يقول سمعت سريّاً السقطي الصوفي يقول اعرف قوماً يرون المواساة (٢) بخلاً انما هو الايثار · وسمعته يقول سمعت جعفراً الخلدي يقول وقف سائل على الجنيد ونحن عنده في حلقته فرد عليه فسأله فقال ياهذا الصناعة واحدة ولكنا اظرف · انصرف اغناك الله · فانصرف · وسمعته يقول سمعت جعفراً الخلدي يقول حججت ستاً وخمسين حجة منها عشرون حجة على المذهب يعني

(١) لعله يريد باسناد ابن ابي الدنيا قال العسقلاني في تهذيبه (٥:١٢٩) انه روى عن عباس الدوري · (٢) قال الجرجاني في تعريفاته : المواساة ان ينزل غيره منزلة نفسه في النفع له والدفع عنه · والايثار ان يقدم غيره على نفسه فيهما ·

على التوكل بلازاد ولاراحلة . وسمعته يقول سمعت جعفراً الخلدي يقول من أراد ان يستكتم سوءاله فليستكتم كما فعل رويم فانه كتم حب الدنيا اربعين سنة فقيل له كيف قال كان يتصوف اربعين سنة فولي بعد ذلك اسماعيل بن اسحق القاضي قضاء بغداد وكانت بينهما مودة وكيدة فجذبه اليه وجعله وكيلاً على بابه فترك الصوفية والتصوف والتوكل ولبس الخز والقصب والدبيقي والمروي وركب الحمير والبغال واكل الطيبات وبنى الدور واذا هو كان يكتم حب الدنيا لما لم يجدها فلما وجدها أظهر ما كان يكتم من حبها . وسمعته يقول سمعت ابا القاسم الزيات الصوفي يقول سمعت الجنيد يقول : قال لنا السري السقطي : البريءُ جريءٌ والخائن خائف والجاني مستوحش . ومن الشعر الجيد في هذا المعنى :

أمُستوحشٌ أنت لما أسأ ت فاحسن اذاشئت واستأنسِ

***

حدثنا ابو عمرو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي القاضي قال حدثنا ابو القاسم البزاز قال حدثني بعض أصحاب سهل بن عبد الله التستري الزاهد قال قال لي سهل : الجاهل ميت والعاصي سكران والمصرّ هالك .

في أمثال العامة كن صحيحاً وكن فصيحاً . ومن أمثالهم في هذا المعنى اذا كان بولك صحيحاً فاضرب به وجه الطبيب اي اذا كنت سليماً فلا تبال ما صنعت (١) .

(١) يظهر ان معنى المثل : اذا كنت في حال الصحة فلا حاجة الى طبيب .

سمعت ابا اسحاق ابراهيم بن احمد الطبري يقول سمعت جعفراً الخلدي يقول سمعت جنيداً يقول سمعت سرياً السقطي يقول الناس في الاعمال يتقاربون وانما قارب من قارب بحسن الأدب بين يدي الله تعالى .

* * *

وحدثني قال كان ابو الحسين بن نصرويه ربما شاورني في الشيء يجري فأستعظم ذلك منه وأقول : مثلك وأنت الشيخ المجرب المحنك المدرب المهذب يشاور مثلي وانا ولدك هذا مما يوحشني منك ويقع لي انك تجريه مجرى الهزل فيقول لي قد رفعك الله عن هذا وانما كان هذا يجري كما قلت لو كنت لأناقضك في الرأي وتناقضني وأحاجك(١) وتحاجني الى ان يثور(٢) الشيء بيننا فاعمل بما يتقرر فاما وأنت تراني أفعل هذا فلا مظنة فيه ولكن أمثل عندك(٣) نفسي انك شابٌ ولعمري ان علم الشباب محقور .

* * *

وحدثني قال سمعت ابا الحسين بن نصرويه يقول : وافى ابو محمد المهلبي لما كتب لمعز الدولة — البصرة فاعتقل القاضي اباالقاسم جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ليغضّ منه ويشفي ابا تمام الزينبي الهاشمي لاجل ما كان بينهما من المصاهرة وعداوته لابن عبدالواحد ولم يكن بين ابن عبدالواحد والمهلبي شيء يختص به من عداوة فدخل ابوتمام الى المهلبي مسلماً فلما خرج قال المهلبي لغلمانه

(١) يريد : ولااحاجك . (٢) لعل الصواب : يتقرر . (٣) يريد انه عند محاجته للشاب يجعل نفسه شاباً . والعبارة غير واضحة .

انظروا الى ابن بلغ فعادوا وقالوا قد خرج من الدهليز وانصرف فقال: أقبضُ على مثل ابن عبد الواحد لا لشيء الا لاجله ويدخل اليّ وهو معتقل عندي فلا يكون فيه من المروءة ما يدخل اليه ويعرض نفسه عليه ويتكفل بامره ويسألني فيه ويكون سبب اطلاقه ويسترقه بذلك؟ قم يابا الحسين فخذ بيد ابن عبد الواحد الى منزله فقد أطلقته قال فمضيت الى ابن عبد الواحد وهو في الحبس فحدثته بما جرى وجئت به الى المهلبي فشكره وانصرف الى منزله .

***

وحدثني قال سمعت ابا الحسين بن نصرويه يقول : حضرت مجلس المهلبي وقد دخل اليه جعفر بن عبد الواحد فلقيه في وجه مقطب وقصر به ثم جلس وأخرج من كمه رقعة فتأملت التثاقل والتكره في وجهه فقرأها ووقع فيها ثم أخرج أخرى وأخرى الى ان عرض عليه عدة رقاع فوقع و كلما وقع في واحدة انبسط وجهه في وجه ابن عبد الواحد الى ان تكاملت الرقاع ثم قام ابن عبد الواحد ودخل ابو تمام الزينبي فرفعه المهلبي أتم رفعة واهتش له فأقبل عليه بوجهه وأخرج رقعة فعرضها عليه فوقع له وأخرج عدة رقاع و كان كلما أخرج رقعة ووقع فيها ظهر في وجهه الكراهية والتثاقل الى ان فرغ من الرقاع فأخذها ابو تمام وقام فأقبل المهلبي وقال يابا الحسين شتان بين الرجلين دخل اليّ ابن عبد الواحد فعملت لان أُقصيَهُ بما عاملته من قلة الرفع والتقرب فعرض عليّ اول رقعة فاعتقدت قبل قراءتها ان أردها فلما قرأتها وجدتها لحاجة غيره فاستحييت ان يكون أكرم مني وقد بذل جاهه لمن

سأله سؤالي مع ما يعلمه بما له عنـدي فما منعه ذلك أن يستميح بجاهه للسائل وأبخل انا بما أقدر عليـه فيكون أكرم مني فأنفت من ذلك ووقعت له ثم توالت رقاعه فوجدت جميعها حوائج الناس ما له ولا لأحد ممن يخصه شيء منها فوقعت في جميعها ونفسي سمحة بذلك وقد نبل في عيني وتذممت من ردها وقد دخل هذا فعاملته من الاكرام بما رأيت لما بيني وبينه فعرض رقاعه فوجدت اولها في شيء يخصه فوقعت له وكلما عرض رقعة تطلبت ان يكون فيها شيء لغيره فأقضيه له وأجعل به محمدة عليـه فما وجدت الجميع الا له فيما يخصه فكرهت ذلك له وانحط من عيني ولم أستحسن رده لما بيننا فوقعت له فكيف يمكنني ان أرفع ممن هذا سبيله وأضع ممن تلك سبيله .

***

سمعت ابا اسحاق يقول سمعت جعفراً الخلدي يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري السقطي يقول : فاكهة القر (١) الغيبة . وسمعته يقول سمعت جعفراً الخلدي يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري السقطي يقول : اشتهي منذ ثلاثين سنة شهوة ماقدرت عليها فقيل له ماهي قال اشتهي آكل أكلة لا يكون فيها لله عزّ وجل عليّ تبعة ولا لمخلوق . فما وجدت ذلك .

***

(١) لعله : القرب . والقرب والغيبة من اصطلاحات اهل التصوف . او لعل صوابه فاكهة القراء الغيبة والقراء جمع قاريء يعنون بهم الفقهاء . اوالقرّ بمعنى البرد اي ان الغيبة تنوب في فصل الشتاء عن الفاكهة كما يقال النار (فاكهة الشتا) .

وسمعت ابا اسحاق يقول سمعت بعض شهود الحضرة القدماء يقول : كنت بحضرة ابي عمر (١) القاضي وجماعة من شهوده وخلفائه الذين يأنس بهم فأحضر ثوباً يمانياً قيل له في ثمنه خمسون ديناراً فاستحسنه كل من حضر المجلس فقال ياغلام هات القلانسي فجاء فقال اقطع جميع هذا الثوب قلانس واحمل الى كل واحد من أصحابنا قلنسوة ثم التفت الينا وقال انكم استحسنتموها باجمعكم ولو استحسنه واحد لوهبته له فلما اشتركتم في استحسانه لم أجد طريقاً الا ان يحصل لكل واحد منكم واحدة منها ٠

***

حدثني ابو الحسين محمد بن محمد بن اسماعيل بن شاند الواسطي قال كان ابو قرة الحسين بن محمد القنائي الكاتب قد كتب لابي علي كتاب (٢) بن العباس الديلي المعروف بالكوسج ضامن واسط برسالة الوزير ابي محمد المهلبي ومشورته عليه بذلك ثم استوحش منه فاستتر منه يومين او ثلاثة وراسله فأمنه وظهر فكتب ابو قرة الى المهلبي بخبره بعد ظهوره وسبب استتاره لئلا يهجن أخباره عند (٣) ابي علي قال فوقع بخطه على ظهر الكتاب توقيعاً قرأته فكان « أحسن الله اليك كما أحسن توفيقك فلتسألن (٤) نفسك فاني عونك ومن ورائك ان شاء الله » ٠

***

(١) بالاصل : عمرو ٠ (٢) لعله كلاب ٠ (٣) لعله : عن ٠ يعني لوجاءته عن ابي علي ٠ (٤) لعل الصواب : فلتسأُوَنَّ أو معنى لتسألن لتحاسبن ٠

وحدثني ايضاً قال كان المهلبي في بعض انحداراته الى البصرة وهو وزير أضاق فأخذ غلة عظيمة بعشرة آلاف دينار لابي وجدها بالبصرة واخذ غلات التجار المحدورة من دستميسين وواسط وغلات خلق كثير وباعها وصرفها في دخل وخرج المملكة فأشير على ابي بالاصعاد الى سبكتكين الحاجب ومسألته يخبر معز الدولة بذلك فيأمر بارتجاعها منه فخالف ابي وانحدر الى المهلبي فتلقاه بالابلة . قال : فلما صعدت اليه هش بي وسر سروراً عظيماً وقال ماجاء بك فقلت بلغني ان الوزير أيده الله اخذ غلة وجدها لي بالبصرة فسررت بذلك لتقديري انه شرفني بهذه الحال وبسط يده في مالي كما بسطها في مال نفسه وأوليائه اذا احتاج الى أموالهم وتشرفت بذلك الى ان بلغني انه أخذ مع مالي أموال التجار وأصحاب الضياع وأصاغر الناس من اهل دستميسين وواسط فأقلقني ذلك وعلمت ان هذا لو كان على سبيل الانس لخصني به سيدنا الوزير ولم يشرك فيه معي هذه الطبقة التي لا يجوز لمثله ان يأنس بها في قرض ولا استعانة وانما هم للمصادرات فقط فخفت ان يكون جميل رأيه قد استحال في تخليطي بهذه الطائفة فجئت مستصلحاً لرأيه . وواقفاً تحت أمره . قال : فأعجبه قولي جداً فقال لي يا علي (١) أنت والله مقبل (وكررها مراراً) قبل ان تدخل اليَّ بلحظة حضرني من قال انك قد أصعدت الى الحاجب سبكتكين لتشاكني (٢) اليه فاعتقدت لك كل قبيح وعملت على نصرة فعلي ان جرى فيه كلام بكل مايجوز ان ينصر به مثله فانا

(١) قد سبق ان اسم الرجل محمد . (٢) لعل صوابه لتشاكيني أو لتشكوني .

أفكر في ذلك اذ استؤذن لك عليّ فدخلتَ فسحرتني وواللہ لاخرجتَ من هذا الموضع أوأصلك(١) الى مالك أوا كثره وأقيم لك بالباقي وجوهاً ناضة وجذب الدواة فكتب الوجوه بما يعجل ويسبب وفرغ من ذلك وامر بانشاء الكتب وسبب لي بالباقي على شباشي الخوارزمي مولى معز الدولة ضامن البصرة فأخذته في مدة قريبة واصعدت الى واسط ٠

***

حدثني ابو بكر بن جعفر السواق احد تجار الكرخ ببغداد المشهورين باليسار والستر وحفظ القرآن ووجه من وجوههم قال : كان عليّ وعد بنفدة لابن عبدان الصيرفي « وهذا رجل باق الى الآن من وجوه الصيارف بدرب عون من المياسير » فأخرت إنجازه لضرورة لحقتني ولم تكن عادتي جارية معه بمثل ذلك فجاءني يقتضيني وقال في عرض الخطاب أقول لك يابا بكر كما قال اللہ « وشديد عادة منتزعة » فقلت انا للہ ما قال اللہ عزّ وجل هذا قال فاستحيا مني وقام فما عاد اليّ اياماً فلما حضرت الدراهم أنفذتها اليه ٠

وكان عندنا بالبصرة رجل من التجار مستور يعرف بابي علي بن سعدان احد الباعة في دار البطيخ موسر يركب وينبسط في المجالس وفي الكلام فأخبرني ابو طلحة الازدي صاحب بني المثنى شيخ مستور قال رأيته مرة ونحن جلوس في دهليز جعفر بن عبد الواحد القاضي ننتظر الاذن عليه وقد حضرت العصر فقام كل واحد منا فصلى وقام ابن سعدان فصلى صلاة لم أر قط أسخف منها فقلت له

(١) لعل صوابه : أوصلك ٠

ياباعلي هذه ليست صلاة فأحسن صلاتك فان هذه الصلاة كماقال ابن المعتز:

صلاتك بين الملا نقرة كما اختلس(١) الجرعة الوالغ

فقال لي ياباطلحة أعزك الله هذا فضول لانعرفه: نحن نصلي صلاة التجار فقلت له هذا أعجب كأن الله عزّ وجل فرض على التجار صلاة غير الصلاة التي فرضها على سائر عباده . وتمام الشعر لابن المعتز مشهور و كان النميري نديمه صلى بحضرته صلاة خفيفة ثم سجد بعدها سجدة طويلة فقال ابن المعتز ارتجالاً البيت الاول وتمامه :

وتسجد من بعدها سجدة كما خُتِمَ المزود الفارغ

***

حدثني محمد بن عدي بن زحر البصري جارنا بها قال رأيت أبا اسحاق ياسين رجل كان ينزل بالقرب من المسجد الجامع بالبصرة وقد حدث في آخر عمره يناظر رجلاً في الجامع وهو يقول له قال النبي(٢) صلى الله عليه وسلم « من برّ يوماً بربه والدهر لا يغترّ به » .

« للبحث صلة »

(١) في الديوان ٢ : ١٦ استلب . (٢) كأن الغرض من هذا الخبر التعجيب من رواية ابي اسحق لهذا الحديث مع انه ليس بحديث .

آراء وافكار

—(١)—

الفرق بين السنة والعام

«في اللغة العربية»

جاءني من الوجيه الفاضل صاحب الامضاء مايأتي :

«أتذكر اني قرأت يوماً في احدى الجرائد نبذة عن كلمتي (السنة) و (العام) وانهما ليستا بمعنى واحد ولكن نسيت ما قاله الكاتب في التفريق بينهما وأرى الكتاب جميعهم يستعملون الكلمتين في معرض واحد . فما معنى (السنة) وما معنى (العام) وما وجه استعمال كل منهما ؟ »

دمشق : غالب الزالق

(الجواب) — يوجد لعلماء اللغة في هذا الموضوع ثلاثة جوانب من القول :

(ا) ظاهر عبارات متون اللغة انه لافرق بين السنة والعام في المعنى ولا في الاستعمال، فالسنة هي العام والعام هو السنة فعبارة القاموس (السنة العام) وقال في محل آخر (العام السنة) ومثلها عبارة الصحاح . والظاهر من عباراتهم ايضاً ان الحول بمعناهما اي بمعنى السنة والعام فصاحب المصباح يقول (والسنة الحول) ثم قال (والعام الحول) وقال (حال حولاً من باب قال اذا مضى ومنه قيل للعام حول) . وجمعها ثلاثتها احمد بن يحيى (ثعلب) في فصيحه فقال : « والعام والحول والسنة بمعنى واحد ويأتي كل واحد منها على شتوة وصيفة » ويفهم من عبارته الاخيرة ان كلاً من الاسماء الثلاثة يشترط في مدلوله ان يشتمل على (شتوة) اي فصل شتاء كامل و (صيفة) اي فصل صيف كامل ، وذلك بأن نعتبر اول يوم من فصل الشتاء هو اول السنة فيمضي فصل الشتاء ويدخل فصل الصيف حتى آخر يوم منه فتكون السنة قد

تمت اما اذا اعتبرنا يوماً من وسط فصل الشتاء ثم مضى الشتاء ومضى الصيف ودخل الشتاء حتى وصلنا الى اليوم الذي بدأنا به · فان هذه الايام التي مضت لا تؤلف لنا سنةً وانما ألفت منهما انصافاً غير متوالية · فاطلاق اسم الحول والسنة والعام عليها تجوّز وتسامح · هذا هو استعمال الكلمات الثلاث في فصيح كلام العرب عند ثعلب · وان كان لثعلب قول آخر اخبروا به الجواليقي من دون ان يسمعه هو منه كما يأتي ·

(٢ً) مامر في معنى السنة والعام هو ظاهر متون اللغة أما الشراح فقد ذكروا فرقاً بينهما قال ابن الجواليقي : ان عوام الناس لا يفرقون بين العام والسنة ويجعلونها بمعنى واحد فيقولون — لمن سافر في اي يوم من ايام السنة الى ان يعود ذلك اليوم — انه قد انقضى على سفره عام (يعني كما يقولون : انقضت على سفره سنة) قال وهذا غلط والصواب ما أخبرت به عن احمد بن يحيى (هو ثعلب نفسه) انه قال : (السنة) من اي يوم عددته الى مثله و(العام) لا يكون الا شتاءً وصيفاً اه يعني كاملين كما مر بيانه بحيث لا تكون البداءة من وسطهما بل من أولها · أما السنة فبدأتها من أي يوم أردت : من اول الشتاء واول الصيف أو من وسطها · إذن كل عام هو سنة وليست كل سنة عاماً فقد تقول أقمت في بيروت سنة ولا يصح ان تقول أقمت عاماً اذا كانت بداءة إقامتك من يوم واقع في وسط الشتاء وبقيت الى ذلك اليوم من الشتاء القابل · وحاصل الفرق ان السنة لا تسمى عاماً ما لم تتألف من صيف وشتاء كاملين متواليين والى هذا ذهب ايضاً الازهري وصاحب لسان العرب فقد قالا (العام الحول يأتي على شتوة وصيفة) ·

(٣ً) وهناك فرق آخر بين كلمتي السنة والعام نشأ عن التجوز في استعمال العرب لكلمة (السنة) مذ أصبحوا يريدون بها القحط والجدب والشدّة · قال ابن ابي الحديد في (شرح النهج) والسنة اسم لكل عام ثم غلبت على عام القحط · وقد شاع هذا الاستعمال على لسانهم بحيث اذا أطلقوا كلمة (سنة) فُهم منها هذا المعنى في الأعم الأغلب وعليه الحديث الشريف (اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف) يعني سني شدة وقحط · واستعمالها هذا جعل الفصحاء اذا أرادوا سنة الرخاء والخصب يعدلون عن استعمال كلمة (سنة) الى كلمة (عام) : فيقولون أخذهم الله بالسنة أو بالسنين وأكلتهم السنة أو السنون · ومنه قوله تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) كل ذلك مجاز عن شدة القحط · فهذا أكثر استعمال

لفظ (السنة) بخلاف العام فانه يستعمل في الخصب والرخاء . ومن ثم يقول العرب (عام الفيل) لأنه كان عام خير فرج الله فيه عن العرب كربهم وشدتهم التي أنزلها بهم أبرهة الحبشي وفيله (محمود) . وقال الراغب في (المفردات) العام كالسنة لكن كثيراً ما تستعمل السنة في الحول الذي يكون فيه الجدب والشدة ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة ويعبر بالعام في مافيه رخاء وخصب قال تعالى : (عام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون) وقال تعالى (فلبث فيهم الف سنة الاّ خمسين عاماً) . قال الراغب وفي هذه الآية (الأخيرة) نكتة لطيفة حيث عبر عن المستثنى بكلمة (العام) وعن المستثنى منه بكلمة (السنة) لأن الخمسين سنة مضت قبل بعثة نوح عليه السلام وقبلها لم يحصل له اذى من قومه (يعني فكانت سنة هناء ولذا قال خمسين عاماً) واما بعد بعثته فهي شدة عليه (يعني ولذلك قال الف سنة) اه .

هذا حاصل ماقاله علماء اللغة في معنى العام والسنة . فبعضهم وحّد بينهما وبعضهم فرّق والتفرقة من جهتين : من جهة وضع اللغة الأصلي . ومن جهة استعمال البلغاء الطارىء .

على ان التفرقة في الحالتين أغلبية لامطردة فان من تتبع كلام الفصحاء وجدهم كثيراً ما خالفوا فلم يفرقوا ولاسيما في زماننا فان المتكلمين حتى البلغاء منهم قلما يفرقون في الاستعمال بين (السنة) و (العام) الا المدقق الحريص على جعل أسلوبه مطابقاً لقوانين البلاغة وأساليب القرآن فإنه يراعي الفرقين المذكورين .

المغربي

« بحث لغوي »

جرت مناقشة بين الاستاذين (محمد عبد البديع) و (محمد دسوقي) من علماء الازهر بشأن صحة استعمال بعض الكلمات والأساليب نلخصها في ما يلي :

(١) قولهم (تساءلت) مسندةً الى ضمير المفرد انكر صحتها الاول وأجازها الثاني فقال انها مثل (تقاضيت) لان تفاعل كما يكون بين اثنين يكون من واحد . قال ابن قتيبة

في أدب الكاتب « تأتي تفاعلت من واحد كما جاءت فاعلت من واحد تقول تراءيت له وتماريت في ذلك وتعاطيت كذا » .

(٢) قولهم (السوس ينخر في العظام) انكر صحته الاول وأجازه الثاني فقال انه صحيح اذا كان ينخر مجازاً عن يفسد والمجاز غير محجور بل هو أبلغ من الحقيقة .

(٣) قولهم (الأجانب في مصر متمتعون بينما نحن محرومون) أنكر جوازه الاول وأجازه الثاني وقال انه صحيح اذا جعلنا جواب بينما محذوفاً دل عليه قولهم (الاجانب في مصر متمتعون) لان حذف الجواب لقرينة مسموع لغة .

(٤) قولهم (كلما سُقي الحنظل كلما ازداد مرارة) اتفقا على تخطئته لما فيه من تكرر أداة الشرط .

« المغربي »

تعليق الاستاذ الزنجاني

« على مقال الاستاذ عبد الرازق »

ورد في ج ٧ من سنة ١٢ من مجلة المجمع ترجمة الفيلسوف الشهير ابي نصر الفارابي بقلم الاستاذ الجليل مصطفى عبد الرازق أجاد وأفاد فيما كتب واعتمد فيهـا على الكتب المعروفة الموجود فيها ذكر هذا الفيلسوف ولسنا في صدد البسط في ترجمته وذكر ما ورد منها في غير المصادر التي اعتمد عليهـا الاستاذ إنما الغرض الاشارة الى بعض ملاحظات حصلت لنا اثناء مطالعة مقاله .

قال في ص٣٨٦ والفارابي منسوب الى (فاراب) ولم يشذ عن القول بذلك الا ابن النديم في الفهرست فانه يقول أصله من (الفارياب) من ارض خراسان والا البيهقي في كتابه المخطوط في تاريخ الحكماء فانه يذكر ان الفارابي من فارياب (تركستان) .

أقول فاراب كما نص عليه كثير من المؤرخين وجغرافيي المسلمين بلدة وراء نهر سيحون شمالي شاش وتعرف الآن (باطرار) ولها ذكر في تاريخ حملات جنكيز خان الى الممالك الاسلامية وفي ترجمة تيمورلنك الفاتح الشهير واما (فارياب) فهي قصبة من بلاد خراسان

من أعمال جورجان وقد نسب اليها جماعة من اهل العلم ايضاً وعلى كل حال فابو نصر منسوب بلاشك الى فاراب تركستان كما انه ينسب اليها ايضاً اسماعيل بن حماد الجوهري صاحب كتاب الصحاح في اللغة وخاله اسحق بن ابراهيم صاحب (ديوان الادب) في اللغة ايضاً وغيرهما .

وهذا الوهم انما نشأ عن تشابه الكلمتين وتقارب بلاد تركستان وبلاد خراسان .

وذكر الاستاذ في ص ٣٨٩ بعد ذكر انتقالات ابي نصر الى الشام فمصر وغيرهما « وكلام المؤرخين مضطرب في امر هذه الانتقالات وقد أورد ابن خلكان في كتاب الوفيات ان ابا نصر ذكر في كتابه المرسوم بالسياسة المدنية انه ابتدأ بتأليفه في بغداد واكمله بمصر » ثم علق الاستاذ المترجم عليه بانه ليس في كتاب السياسة المدنية المطبوع شيء من هذا .

أقول ان هذه الفقرة وردت في بعض نسخ الكتاب القديمة والظاهر ان ابن خلكان وابن ابي أصيبعة استندا في ذلك الى النسخ القديمة الموجودة في زمانهما فقد رأيت في نسخة مخطوطة من كتاب السياسة تاريخ كتابتها سنة ٦٧٧ ذكرت في اولها العبارة التي نقلها ابن ابي أصيبعة وهذا نصها : « كان ابو نصر الفارابي ابتدأ بتأليف هذا الكتاب ببغداد وحمله الى الشام في آخر سنة ثلاثين وثلاثمائة وتممه بدمشق في احدى وثلاثين ثم نظر في النسخة بعد التحرير فأثبت الأبواب التي في الحواشي بخطه ثم سأله بعض الناس ان يجعل الكتاب فصولاً فعمل الفصول بمصر سنة سبع وثلاثين وجعلها مضافة الى الكتاب وهي ستة فصول » وهي كما يظهر مشابهة لعبارة طبقات الأطباء ثم ورد في النسخة بعد ما نقلنا هذا ما وجدنا في النسخ ونحن تركنا الفصول اختصاراً وكتبنا الابواب في الحواشي اه » .

ونقل الاستاذ في ص ٣٩٠ عند ذكر وفاة الفارابي عن البيهقي خبراً انه قتل حين ارتحاله من دمشق الى عسقلان ثم شك في صحة هذا الخبر واحتمل تحريفه لما رواه المؤرخون عن مقتل ابي الطيب المتنبي الشاعر المشهور في عودته من بلاد فارس الى الشام سنة ٣٥٤ هـ .

أقول قد ذكر هذا الخبر غير البيهقي ايضاً من المؤرخين منهم صاحب كتاب (تلخيص

الآثار(١)) فانه قال ان فاراب ولاية في تخوم الترك بقرب بلد ساغون وهي ارض سبخة ذات غياض ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم الا ان بها منعةً وبأساً وينسب اليها ابو نصر محمد بن احمد بن طرخان الفارابي صاحب العجائب وانه اول حكيم نشأ في الاسلام وكان سياحاً عالماً بانواع الحكمة وبالاكسير . ثم قال في خبر وفاته إنه كان في قافلة تمشي في فلاة فوقع عليهم اللصوص وكان حاذقاً في الرمي فقاتل حتى قتل في سنة اربعين وثلاثمائة .

ولا منافاة بين ذلك وبين صلاة سيف الدولة عليه ودفنه بالشام فانه نقلت جنازته اليها بل قد نقل ذلك المؤرخ الفارسي الشهير (خواندمير) صاحب التاريخ الكبير المسمى بروضة الصفاء وقال انه قتل بايدي قطاع الطريق عند خروجه الى سفر عسقلان وكان ذلك بعدما نفدت سهامه وهو يجد بها (كذا) في المحاربة معهم . وكان ماهراً في الرماية ولما سمع بواقعته سيف الدولة أرسل في طلب قاتليه حتى أُخذوا جميعاً فأمر بهم ان يُصلبوا حيث كان به مدفن الرجل ويتركوا على الجذوع منكسين الى ان هلكوا بهذه العقوبة اه » .

واما شك الاستاذ في اتصاله بالصاحب بن عباد كما نقله عن البيهقي وذكره غيره ايضاً فالظاهر انه محله لما ذكره ويمكن ان يكون ذلك الاتصال وقع بينه وبين ابن العميد الذي كان قبل الصاحب واشتبه ذلك على الناقلين فنسبوه الى الصاحب .

زنجان (ايران) : ابو عبد الله الزنجاني

---

(١) كتابٌ أكثر صاحب روضات الجنات في النقل عنه .

مطبوعات حديثة

—(0)—

الجاحظ

«لشفيق بك جبري طبع بدمشق سنة ١٣٥١ — ١٩٣٢ ص ٢٥٠»

رأى قراؤنا في السنة الماضية في محاضرات الاستاذ شفيق بك جبري التي حاضر بها في كلية الآداب بدمشق وكيف نظر في الجاحظ من عامة أطرافه . ويذكرون انه كان في السنة التي قبلها حاضر تلاميذه في المتنبي وسلك على هذا الغرار في تحليل شعره . تكلم في حولين على حياة شاعر وعلى حياة كاتب ، هما ولا شك من أئمة هذا الشأن في اللغة العربية . وانا لنغتبط ان رأينا كثيرين من الباحثين في الأيام الأخيرة يتناولون أحد الشعراء أو الكتاب من الأقدمين بالبحث في خصائصهم ، ولكن الإجادة قلما كتبت الا لأفراد بحثوا في الموجود من آثارهم بحثاً دقيقاً ، وفكروا في الاستخراج والاستنباط تفكيراً عميقاً ، وهذا ما أوغل فيه برفق الاستاذ جبري في تحليل حياة شاعر وكاتب فشكرته الآداب على صنيعه لانه جرى على أسلوب جديد على مثال أدباء الغرب عندما يريدون تصوير عظماء رجال الادب ولا يقبل في هذا العصر غير هذا الأسلوب . وبذلك خرج البحث اليوم ايضاً في تراجم العظماء عن الأسلوب العقيم الذي جرى عليه معظم كتاب التراجم والطبقات قديماً فنقلوا في مترجميهم الغث والسمين بدون تعليل ولا تحليل . وحبذا لو توسع الباحثون في هذا الصنف من الأدب ونبشوا دفائن الكنوز التي أورثنا إياها الأجداد . وعانوا النظر فيها بمنظار العصر واصوله على ما فعل الاستاذ جبري في حياة الجاحظ والمتنبي ، فوقفنا بهذا الأسلوب الجميل ، على ما انطوى عليه هذان العظيمان من الخصائص النادرة .

م . ك

معهد الآداب في الجزائر

— وعيده الخمسيني (١٨٨١ — ١٩٣١) —

« ص ٥٦٠ طبع في الجزائر سنة ١٩٣٢ »

Cinquantenaire de la Faculté des Lettres d' Alger
(1881 — 1931)

هذه ثنتان وعشرون مقالة في موضوعات مختلفة كتبها اثنـان وعشرون أستاذاً من أساتذة مدرسة الآداب في جامعة الجزائر ونشرت بعناية الجمعية التاريخيـة الجزائرية . وفيها بعض الصور الجميلة عند الاقتضاء . ومما يلفت النظر من أبحاثها الصراع عند العرب للاستاذ (ماربوس كنار) ، وكتاب مخطوط لابن زيدون كتبه لابي بكر بن الافطس صاحب باجة من قلم الاستاذ (كور) ، ونظرات في مملكة المرابطين أوائل القرن الثاني عشر للاستاذ (ليفي بروفنسال) ، ومنبر جامع ندروقه للاستاذ (جورج مارسيه) ، ومنع تمثيل رواية محمد لدي بورنيه من قلم الاستاذ (مارتينو) ، وعشرون قصيدة لحافظ الشيرازي مترجمة عن الفارسية للاستاذ (هنري ماسيه) ، وأشعار للامير عبد القادر أنشأها في الجزائر وفي فرنسا الخ . وكلها تنم عن بحث ودرس . وهناك كلام على عدة كتب صدرت مؤخراً بالفرنسية عن الجزائر وما اليها في الجغرافيا والتاريخ والطوبوغرافيا وطبقات الارض وغير ذلك .

م . ك

رسالة الدر الثمين

« لمؤلفها الشيخ أحمد محمد الفساطوي الطرابلسي [1] ص ٩٠ »

رسالة تبحث في مزايا الاسلام وخصائصه ، ومؤاخاته للعلم والعقل في جميع الادوار ، وسبق القرآن الى تقرير العلوم والفنون والصناعات ، وانطبـاق آياته الفنية على المخترعات والمكتشفات ، وبيان معجزاته التي ظهرت في عصر العلم ، والمدنية الاسلامية وأثرها في اوربا . ومن أجمل فصوله ما كتبه تحت عنوان : « الافتراء على الاسلام » وقول بعض

(١) نسبة الى طرابلس الغرب

متعصبي الافرنج : « انه ما دان به شعب الا تأخر وتقهقر » فقد أجاد في رده وأحسن ·
وإنا نوجه أنظار المؤلف الى تصحيح الآيات الكريمة بدقة وعناية وهي في (ص ٨ ، ١٤ ، ١٦ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٧٧) والى تصحيح الأحاديث بمعارضتها على الأصول ، وقد أورد (في ص ٤٥) : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم » مرفوعاً الى النبي (ص) فعجبت له ، وراجعت من اجله مابين يدي من كتب السنة المشهورة فلم أجده في شيء منها ، حتى ولا في كتب الموضوعات ، والمعروف انه من كلام الامام الشافعي ، وهناك أحاديث أخرى إما ضعيفة أو موضوعة وما في التصحيح يغني عنها ·

محمد بهجة البيطار
عضو المجمع العلمي

عبدة الشيطان في العراق

« للسيد عبد الرزاق الحسني ، طبع في مطبعة العرفان بصيدا »
« سنة ١٣٥٠ ص ٨٠ »

الصلاح أو التصوف ان لم يقترن بعلم صحيح كان فتنة لصاحبه وللناس ايضاً ، وامام اليزيدية عدي بن مسافر البعلي مولداً ، الهكاري — نسبة الى جبال هكار من أعمال الموصل — موطناً ومدفناً ، المتوفى في منتصف القرن السادس للهجرة — كان على ماوصفنا ، فقد أجمع المؤرخون على صلاحه ، وافتتن الألوف بتقشفه وزهده ، وغلوا غلواً كبيراً في حبه ، ثم تراخى العهد على موته فألهوه وعبدوه ؛ وكان ينهى في حياته عن لعن إبليس — تفادياً عن لعن غيره فألهوا ابليس من بعده وعبدوه ؛ وقال بصلاح يزيد الأموي فألهوا يزيد وعبدوه أيضاً ؛ وهذا هو سبب تسميتهم باليزيدية على الأرجح ، وهذه الرسالة تكشف السر عن هذه الامور كلها ، وتوضح منشأ هذه النحلة وتطورها ·

محمد بهجة البيطار

درس في وادي النطرون

« ورهابينه ودياراته »

Etude sur le Wadi Natroun, ses moines et ses couvents

كتاب باللغة الافرنسية وضعه صاحب السمو الامير عمر طوسون ، شرح به وادي النطرون جغرافياً واتى على تاريخ ما كان عليه في القرون الغابرة وماقامت عليه من الديارات التي أوت اليها الرهبان القبط . فسمى الأديار باسمائها والرهبان بجماعاتهم . وهو درس أثري دقيق عانى به سمو المؤلف لا مشقة المطالعات الكثيرة فحسب بل ومشقة السفر الى تلك الارضين النائية ليدرس بنفسه الامكنة والخرائب ويطبقها على المعلومات التي استخلصها من بطون الكتب القديمة ، وتلك مشقة لا يستطيعها الا من كان في بحبوحة كالامير .

وادي النطرون هو جزء من السودان الأعلى موقعه في قفارليبية طوله ستون كيلومتراً وعرضه نحو العشرة فيه برك كثيرة ذات الماء المالح تكثر فيها مادة النطرون (اي الصودا) لذلك دعي الوادي بهذا الاسم ، واسمه الروماني القديم (Nome nitriote) وعنه عُرّب الاسم المعروف به اليوم .

معلومات هذا الكتاب دقيقة جداً من الوجهتين التاريخية والاثرية ، ومجموعها سند أكيد يصح ان يرجع اليه المؤلفون لأن الأصول التي استند اليها وأخذ عنها المؤلف لا تصل اليها الأيدي بلا عناء فأكثرها عبارة عن مخطوطات مدفونة في الاديرة القديمة وفي المكاتب المهمة كمكتبة الفاتيكان يتعذر على أي كان الوصول اليها .

عبد الله رعد

أسماء البنات

رسالة تقع في ثنتين وسبعين صفحة من القطع المتوسط تبحث في معاني أسماء البنات

وعلاقاتها التاريخية وأشهر النساء اللائي دعين بهـا من قلم الاديب امين الغريب صاحب مجلة الحارس ·

تصفحناها فألفينـاها رسالة ناجحة من حيث طرافة الموضوع والاستقصاء التاريخي والأسلوب العربي الجيد خليق بالسيدات الاديبات الا تفوتهن مطالعتهـا · فله منا الثناء وله من العلم الثواب ·

عبد الله رعد

اتجاه الاسلام

Whither Islam? a Survey of Modern Movements in the Moslem World. By H. A. R. Gibb

كتاب باللغة الانكليزية تأليف الاستاذ «جب» مدرس اللغة العربيـة في جامعة لندن · توخى به البحث عن حقيقة النفسية الاسلامية والمؤثرات فيها وعن حالة الجماعة الاسلامية وصلاتها بالجماعات الانسانية الأخرى واتجاه العالم الاسلامي نحو الحضـارتين الغربية والشرقية ·

وبالنظر لما يقتضيه مثل هذا البحث من الدقة والتعمق في درس كل شعب من الشعوب الاسلامية ومعرفة اللغات العربية والتركية والفارسية والاردوية والجاوية والملايو لم يجد المؤلف مندوحة عن الاستعانة بعلماء المشرقيات فكتب الى الاستاذ ماسينيون بجامعة باريز ليبحث له في شعوب افريقية الشمالية ما عدا مصر ، والاستاذ كمبفماير في سكان مصر وآسيا الغربية (الشرق العربي وتركيا وفارس وافغانستان) ، والاستاذ برج في سكان اندونيسيا ، واللفتننت كولونيل فراز في شعوب الهند · اما المؤلف فقد كتب المقـدمة والخاتمة التي حاول فيها ان يصور اتجاه الشعوب الاسلامية في العصر الحاضر وموقفها من العالم الاوربي وموقف الغرب من الاسلام وما يرجى ان تكون العلائق في المستقبل بين الفريقين · ويعتبر الاستاذ «جب» ان الاسلام الذي يبلغ عدد اتباعه حسب الاحصاآت الأخيرة مائتين وخمسين مليون نفس موزعين في العالم توزيعاً جغرافياً عجيباً يجعلهم في حكم المتصلين بعضهم بالبعض الآخر — هو اكبر عامل للتوازن بين فوضى الوطنية الاوربيـة

وبين زحف الشيوعية الروسية . وفي آخر الكتاب مصوّر يبين الاماكن التي يسود فيها الاسلام والاصقاع التي هم فيها أقلية .

عبد الرحمن الجوخدار

وصف المخطوطات الشرقية

« في خزانة ادوارد براون »

A Descriptive Catalogue of the Oriental Mss. Belonging to the late E. G. Browne. By Edward G. Browne

كتاب باللغة الانكليزية ألفه الاستاذ (رينولد نيكلسون) وهو مجموعة حوت فهرساً مفصلاً للتآليف والمخطوطات الشرقية التي تمتلكها مكتبة الاستاذ المستشرق المرحوم ادوارد براون وفيها الكتب الباحثة في الاديان والفلسفة والتاريخ القديم والعلوم الطبيعية والطب والشعر العربي والفارسي والموسيقى والفنون الجميلة .

وقد أورد المؤلف في المقدمة تاريخ حياة الاستاذ براون منذ يوم نشأته حتى تاريخ وفاته سنة ١٩٢٦ وما مرّ عليه من الأدوار في دراسته التاريخ والأدب الفارسي والعربي ، وفي سياحته الى بلاد العجم ، وما ألف بعد ذلك من الكتب ، وأهمها : تاريخ الأدب الفارسي ، الصحافة والأدب في بلاد الفرس الجديدة ، البهائية ، الطب العربي والثورة الفارسية . وتقع هذه الابحاث في ٣٢٥ صفحة .

عبد الرحمن الجوخدار

الإشراف في منازل الأشراف

« لابن ابي الدنيا »

التعريف بالمؤلف وتأليفه

هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس ابو بكر القرشي (وفي رواية عبيد الله بدلاً من عبد الله والقشيري بدلاً من القرشي) وهو قرشي من ولاء مولى بني امية المعروف بابن ابي الدنيا « صاحب الكتب المصنفة في الزهد والرقائق » « وهو أحد الثقات المصنفين للاخبار والسير وله كتب كثيرة تزيد على مائة كتاب » عدّ منها صاحب الفهرست ثلاثة وثلاثين كتاباً وقال انه كان زاهداً ورعاً. ولد في بغداد سنة ٢٠٨ وتوفي سنة ٢٨١ هـ وأخذ العلم عن جماعة من علماء عصره وروى عنه جماعة وقالوا انه صدوق. ولما مات قال اسماعيل بن اسحاق القاضي : رحم الله ابا بكر مات معه علم كثير.

وتولى ابن ابي الدنيا تربية المعتضد وابنه المكتفي من خلفاء بني العباس فكان مؤدبهما وكتب اليهما :

ان حق التأديب حق الأبوة عند أهل الحجا واهل المروة
وأحق الأنام ان يعرفوا ذا ك ويرعوه أهل بيت النبوة

وكان اذا جالس احداً ان شاء أضحكه وان شاء أبكاه. قال : دخل المكتفي على الموفق ولوحه بيده. فقال : مالك لوحك بيدك قال مات غلامي واستراح من الكتاب. قال ليس هذا من كلامك، هذا كان الرشيد أمر ان تعرض عليه ألواح أولاده في كل يوم اثنين وخميس، فعرضت عليه فقال لابنه : مالغلامك ليس لوحك معه. قال : مات واستراح من الكتاب، قال : وكأن الموت أسهل عليك من الكتاب. قال : نعم.

قال : فدع الكتاب ٠ قال : ثم جئته فقال لي : كيف محبتك لمؤدبك ٠ قال : كيف لا أحبه وهو اول من فتق لساني بذكر الله ، وهو مع ذاك ان شئت أضحكك واذا شئت أبكاك قال : ياراشد أحضرني هذا ٠ قال : فاحضرت فقربت قريباً من سريره ، وابتدأت اخبار الخلفاء ومواعظهم فبكى بكاءً شديداً ٠ قال : فجاءني راشد فقال لي : كم تبكي الامير ٠ فقال : قطع الله يدك ما لك وله ياراشد ، تنح عنه ٠ قال : وابتدأت فقرأت عليه نوادر الاعراب ٠ قال : فضحك ضحكاً كثيراً ، ثم قال شهرتني شهرتني ، وذكر الخبر بطوله ٠ قال ابو ذر القاسم بن داود الكاتب أحد من أخذ عن ابن ابي الدنيا لاحمد بن محمد بن الفرات : أجرى له خمسة عشر ديناراً في كل شهر ٠ قال ابو ذر : فكنت أقبضها لابن ابي الدنيا الى ان مات ٠

وقال ابن ابي الدنيا : كنت أؤدب المكتفي فأقرأته يوماً كتاب الفصيح فأخطأ ، فقرصت خده قرصة شديدة وانصرفت ، فلحقني رشيد الخادم فقال : يقال لك ليس من التأديب سماع المكروه ، فقال : سبحان الله ، أنا لا أسمع المكروه غلامي ولا أمتي ، قال : فخرج اليّ ومعه كاغد وقال : يقال لك صدقت يا أبابكر ، واذا كان يوم السبت تجيُّ على عادتك ، فلما كان يوم السبت جئت فقلت : أيها الأمير تقول عني ما لم أقل ٠ قال : نعم يامؤدبي من فعل ما لم يجب قيل فيه ما لم يكن ٠

اما الكتاب فهو من مخطوطات دار الكتب المصرية بالقاهرة أُخذ بالتصوير ودخل في خزانة المجمع العلمي العربي وهو في ١٩٣ صفحة منصفة القطع كُتب بخط جميل يظن انه من القرن الثامن وقد كتب في أوله : « كتاب الإشراف في منازل الأشراف تأليف ابي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي ٠ ابن ابي الدنيا رواية ابي الحسن احمد بن محمد بن عمر الاصفهاني ٠ »

نماذج من الكتاب

(١) حدثني ابي قال حدثني نصر بن باب قال : أخبرنا داود بن ابي الهند عن الشعبي قال : كتب عمر بن الخطاب الى المغيرة بن شعبة ان استنشد من قبلك من الشعراء ماقالوا في الجاهلية والاسلام ، فأرسل الى الأغلب العجلي فقال أنشدني فقال :

أرجزاً تريد أم قصيدا فقد سألت هيناً موجودا

قال ثم أرسل الى لبيد بن ربيعة فقال : أنشدني فقال : ان شئت أنشدتك مما قد عفي عنه من شعر الجاهلية قال : لا ، أنشدني ماقلتَ في الاسلام ، فانطلق الى أديم فكتب فيه سورة البقرة فقال : أبدلني الله مكان الشعر هذا · قال : فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب · فكتب اليه عمر : انه لم يعرف احد من الشعراء حق الاسلام الا لبيد بن ربيعة ، فانقص من عطاء الأغلب خمس مائة واجعلها في عطاء لبيد · قال : فركب اليه الأغلب فقال تنقص عطائي من ان أطعتك قال : فرد الخمس مائة وأقر في عطاء لبيد الخمس مائة · (ص٧—٨)

(٢) أخبرني العباس بن هشام بن محمد عن أبيه قال : أخبرني مولى لزياد بن ابي سفيان قال : خرج ابو الاسود الدئلي حاجّاً بامرأته وكانت جميلة ، فبينا هي تطوف بالبيت اذ عرض لها عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي فغازلها · فاتت ابا الاسود فأعلمته فأتاه ابو الاسود فكلمه فقال عمر : مافعلت ، فلما عادت الى المسجد عاد فكلمها فأخبرت أبا الاسود فأتاه وهو في المسجد مع قومه فقال :

انت الفتى كل الفتى لولا خلائق اربع

فسكت عمر ولم يقل شيئاً · فقال ابو الاسود لامرأته : انه ليس بعائدٍ فلما خرجت الى المسجد كلمها ايضاً فأخبرت ابا الاسود فأتاه وهو في المسجد فقال :

واني ليثنيني عن الجهل والخنى وعن شتم اقوام خلائق اربع
حياء واسلام وبُقيا(؟) وانني كريم ومثلي قد يضر وينفع
نشتان ما بيني وبينك انني على كل حال استقيم وتظلع

فقال له عمر : لا والله يا عم لا أعرض لهذا بعد هذا اليوم ابداً بشيء تكرهه ففعل · (ص١١—١٢)

(٣) وأخبرني العباس بن هشام عن ابيه عن خالد بن سعيد الأموي عن خالد بن عُمير بن الحباب قال : كنا مع مسلمة بن عبد الملك في غزوة القسطنطينية فخرج الينا رجل من الروم فدعا الى المبارزة ، فخرجت اليه فاقتتلنا فسقط كل واحد منا عن فرسه ، فأخذته

أسيراً فأتيت به مسلمة فساءله . قال : وكان رجلاً جسيماً جميلاً فأراد ان يبعث به الى هشام بن عبد الملك وهو يومئذ بحرّان فقلت : أصلح الله الامير ، ان رأيت ان توليني الوفادة به اليه قال : انك لأحقّ الناس بذلك فبعث معي فكلمناه وساءلناه فجعل لا يكلمنا حتى انتهينا الى موضع فقال ما يقال لهذا الموضع قال : فاذا هو فصيح اللسان . قلنا هذا الجريش وتل محرا فقال :

ثوى بين الجريش وتل محرا فوارس من نمارة غير ميل
فلا جزعين ان ضراء نابت ولا فرحين بالخير القليل

قال : ثم سكت فكلمناه وقلنا من أنت فلم يرد علينا شيئاً فلما انتهينا الى الرُّها قال : دعوني فلاصلي في بيعتها قلنا : دونك . قال : فصلى وكل ذلك لا يكلمنا . فلما انتهينا الى حران قال : اي مدينة هذه قلنا : هذه مدينة حران . قال : اما انها اول مدينة بنيت بعد بابل ثم سكت فأقبلنا عليه فقلنا كلمنا ماحالك ، فأبى ان يكلمنا فلما دخلنا حران قال : دعوني حتى استحم في حمامها ، فاطّلى . ثم خرج كأنه برطيل فضة بياضاً وعظماً قال : فأدخلته على هشام وأخبرته كيف كان امره وماجعل يسألنا عنه فقال له هشام : ممن انت قال : انا رجل من إياد ثم احد بني حذافة فقال : ويحك أراك رجلاً عربياً لك جمال وفصاحة فاسلم تحقن دمك ونسني عطاءك قال : ان لي بالروم اولاداً قال : ونفك ولدك قال : وما كنت لارجع عن ديني ، فأقبل به هشام وأدبر فأبى ، فقال : دونك فاضرب عنقه . قال فضربت عنقه (ص١٢—١٤)

وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان هذه القصة عن احمد بن محمد الهمذاني عن خالد بن عُمير بن عبد الحباب السُّلَمي بالفاظها الا قليلاً ، وليس فيها من الاختلاف الا في مسألة المبارزة ، ففي رواية ياقوت : فخرج الينا في بعض الايام رجل من الروم يدعو الى المبارزة ، فخرجت اليه فلم أر فارساً مثله ، فتجاولنا عامة يومنا ، فلم يظفر واحد منا بصاحبه ، ثم تداعينا الى المصارعة فصارعت منه أشدّ الناس فصرعني وجلس على صدري ، ليذبحني وكان رسن دابته مشدوداً في عنقه ، فبقيت أُعالجه دفعاً عن روحي ، وهو يعالجني ليذبحني ، فبينا هو كذلك اذ جاضت[1] دابته جيضة جذبته عني ، ووقع على صدري فبادرت وجلست على

(١) جاضت حادت وانحرفت .

صدره ، ثم نفست به عن القتل وأخذته أسيراً . وبقية القصة ليس فيها شيء من الاختلاف وفي ياقوت كان البيت الثاني من اللذين أنشدهما الفارس الايادي :

فلا تجزعون ان ضراء نابت ولا فرحون بالخير القليل

(٤) وأخبرني العباس بن هشام عن أبيه عن عوانة قال قال الحجاج للحكم بن المنذر ابن الجارود : ما تلبس في الشتاء قال : ظاهر الخز . قال ففي الربيع قال : العصب . قال ففي الصيف قال : ثياب سابور . قال : فتشرب اللبن قال : لا قال : ولم ، قال لانه مذفرة مبخرة مجفرة . قال : فتشرب الطلا قال : لا قال : لم . قال : لانه ميبسة منفخة مقطعة . قال : فما تشرب قال : نبيذ الدقل في الصيف ، ونبيذ العسل في الشتاء . قال : أنت الذي يقول لك الشاعر :

يا حكم بن المنذر بن جارود سرادق المجد عليك ممدود
أنت الجواد والجواد محمود

قال : نعم قال : اما والله لأجعلن سرادقك السجن ، ثم قال الحكم :

متى ما اكن في السجن في حبس ماجد فاني على ريب الزمان صبور
فلو كنت خفت النكث والغدر لم أجب دعاك اذا كان الامان غرور
لقد كنت دهراً ما أخوّف بالتي تخاف وما يسطو عليّ أمير

فقال له الحجاج مالك لا تبالي من تزوجت ، قال : اني لا أتشرف بهن وهن يتشرفن بي . (ص ٣٠ — ٣٠)

(٥) حدثني الحسين بن عبد الرحمن قال : أوصت أعرابية من بني جشم بنتاً لها ليلة هدائها فقالت :

سليلة السادة من فرعي جُشَم
مضى الشباب ودنا وفدُ الهَرَم
وهاضني الدهر بتعراق السقم
وقرب القول مضت أم الحكم
وزاعم ناعٍ وحق ما زعم
بانني رهن ضريح ورجم

فالله فاخشي وارهبي لذع الكلم
وحالفي الصدق ومحمود الشيم
فالصدق للبر وللفعل ادم
والبعل لا تزري به عند العدم
ولا تذيعن عليه ما كتم
ولا تردي قوله اذا احتدم
فانه يعقب مذموم الندم
هذي وصاتي قبل حين اخترم (ص ٤٢)

(٦) حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي قال حدثنا اسماعيل بن عياش عن محمد ابن يزيد الرحبي ومحمد بن الحجاج الخولاني عن عروة بن رويم اللخمي قال : كتب عمر ابن الخطاب رحمة الله عليه الى ابي عبيدة بن الجراح كتاباً فقرأه على الناس بالجابية : من عبد الله عمر امير المؤمنين الى ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك . اما بعد فانه لم يقم أمر الله في الناس الا حصيف العقدة ، بعيد العزة ، لا يطلع الناس منه على عورة ، ولا يحنق في الحق على جرة ، ولا يخاف في الله لومة لائم والسلام عليك .

قال وكتب عمر الى ابي عبيدة : اما بعد فاني كتبت اليك بكتاب لم آلك ونفسي فيه خيراً ، الزم خمس خلال يسلم لك دينك ، وتحظى بافضل حظك : اذا حضرك الخصمان فعليك بالبينات العدول ، والأيمان القاطعة ، ثم ادن الضعيف حتى ينبسط لسانه ، ويجترئ قلبه ، وتعاهد الغريب ، فانه اذا طال حبسه ترك حاجته وانصرف الى أهله ، واذا الذي أبطل حقه من لم يرفع به رأساً ، واحرص على الصلح مالم يتبين لك القضاء والسلام عليك . (ص ٤٤ — ٤٥)

(٧) قال زبير بن ابي بكر أنشدني يحيى بن الزبير بن عمرو بن الزبير :

وتلفت في الديار خلاء ومضى للسبيل كل حبيب
وخلت بعد مجلس من كهول وشباب بها حماة وشيب
وتخلفت بعدهم في أناس جهلوا حرمتي وحق مشيبي

قدرماني الكبير بالغل منهم ورواه الصغير بالتأديب
غير ما جارم ذنوباً ولكن منع البر ضغن تلك القلوب
فالى الله أشتكي ذاك اني صرت في الدار كالبعيد القريب (ص ٥١)

(٨) حدثنا علي بن الجعد قال : اخبرني شعبة عن ابي عمران الجوني عبد الملك بن حبيب قال : كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري : انه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس ، فأكرم وجوه الناس ، فحسب المسلم الضعيف من العدل ان ينصف في الحكم والقسمة (ص ٥٠)

(٩) حدثنا ابي قال حدثنا هشام بن محمد عن ابي محمد القرشي قال : مرّ مسلمة بن عبد الملك بقبر الوليد بن عقبة بن ابي مُعيط بالرّقة فقال : قبر مَن هذا ؟ قيل قبر الوليد ابن عقبة قال : رحم الله اباوهب وجعل يثني عليه . فقبر مَن هذا الآخر قيل قبر ابي زُبيد الطائي الشاعر قال : وهذا فرحمه الله فقيل انه كان نصرانياً . قال : انه كان كريماً (ص ٥٣)

(١٠) حدثني سليمان بن ابي شيخ قال قتل أبان بن سعيد بن العاص يوم أجنادين شهيداً ، وقتل خالد بن سعيد بن العاص يوم مرج الصُّفّر شهيداً ، وكانت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام دخل بها بمرج الصُّفّر فخرج وهو عروس فقاتل فقتل ، وخرجت هي بعمود فقتلت سبعة من الروم وكانت قبله تحت ابن عمها عكرمة بن ابي جهل فقتل عنها يوم فِحل ، فلما انقضت عدتها خطبها يزيد بن ابي سفيان وخالد بن سعيد فخطبت الى خالد ثم تزوجها عمر بن الخطاب فهي التي تسحر عندها عبد الرحمن بن الحرث لان ام عبد الرحمن فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ماتت قبل ذلك بدهر ، وهي ام ام حكيم ، واستشهد قبل ذلك الحكم بن سعيد بن العاص يوم مؤتة مع جعفر بن ابي طالب ، واستشهد مع رسول الله (ص) يوم حصن الطائف سعيد بن العاص . وحدثني محمد بن عباد العُكلي قال سمعت عبد العزيز الاموي يحدث عن اهل بيته قال ولد سعيد بن العاص ابو احيحة ثمانية رجال لم يمت احد منهم على فراشه فقتل ثلاثة مع المشركين وقتل أحيحة يوم الفجار وقتل العاص بن سعيد بن العاص وعبيدة بن سعيد بن العاص يوم بدر وقتل

سعيد بن (٠٠) يوم الطائف وقتل الحكم بن سعيد يوم اليمامة وكان يعلم الحكمة بالمدينة وقتل خالد يوم مرج الصفر وهو الذي يقول :

مَن فارس كره الكماة يعيرني رمحاً اذا نزلوا بمرج الصفر

وقتل أبان وعمرو يوم أجنادين وقال ابن الكلبي قتل عمرو يوم فِحل (١١٨ — ١٢٠) قلنا فانظر الى مفاداة بني أُمية بارواحهم ليوطدوا دعائم الملك الاسلامي وينشروا الاسلام بين الانام .

(١١) حدثني محمد بن عباد بن موسى قال حدثنا زياد بن زيان الكلبي عن شرقي بن قُطامي عن الكلبي عن زهير بن منظور عن جارية بن اصرم قال : رأيت وداً في الجاهلية في صورة رجل آدم اشعر مرتد ببرد حبرة مؤتزر باخرى متقلد قوساً ووفضة وأمامه حربة من كوزة ، ثم رأيت رسول الله (ص) قدم تبوك فبعث خالد بن الوليد فجعله جذاذاً (ص ١٢٠)

(١٢) أنشدني أعرابي من بني تميم من بني حنظلة :

من تصدى لأخيه بالغنى فهو أخوه
فان اضطر اليه راء منه ما يسوه
يكرم المثري فان أملق أقصاه ذووه
نحن في دهر على الـ معدم لايجدي ابوه
وعلى الوالد لا يفضل ان عال بنوه
لورأى الناس نبياً سائلاً ما وصلوه
وهم ان طمعوا في زاد كلب أكلوه
لا تراني آخر الد هر بتسآل أفوه
ان من يسأل غير الله يكثر محرموه
والذي قام بارزاق الورى طراً سلوه
وعن الناس بفضل الله فاغنوا واحمدوه
تلبسوا أثواب عز فاسمعوا قولي وعوه

انت ما استغنيت عن صاحبك الدهر اخوه
فاذا احتجت اليه ساعة مجك فوه
أفضل المعروف ما لم تبتذل فيه الوجوه

(ص ١٢٤ — ١٢٥)

(١٣) حدثنا سليمان بن ابي شيخ قال : حدثنا سليمان بن زياد عن أخيه يحيى بن زياد قال : كان عبد الملك بن مروان يكتب الى الحجاج : جنبني دماء بني عبد المطلب فاني رأيت بني حرب أصابوها فلم يمهل لهم (ص١٢٦)

(١٤) وحدثني عبد الرحمن (بن عبدالله بن قُريب) قال حدثنا عمير قال : زعموا ان الحجاج بن يوسف مات ولم يترك الا ثلاثمائة درهم ومصحفاً وسيفاً وسرجاً ورحلاً ومائة درع موقوفة (ص١٣١)

(١٥) أنشدنا الحسين بن عبد الرحمن قال أنشدني الأُموي :

من عذيري من قائل اخواني كلهم في مقاله غير وان
نصحوني بزعمهم قلت كفوا لا أرى شأنكم يلائم شاني
لا أبيع الجزيل من عرض مثلي بخسيس من ناقص الاثمان
ماء وجهي يرد غرب لساني دون ما قد أردتم من بياني
ذهب المبتدون بالاحسان والمكافون بابتذال اللسان
ان ذل السؤال يأنفه الحر وان عضه مضيق الزمان

(ص ١٣٢)

(١٦) حدثنا هشام بن الوليد قال : حدثنا عبد الله بن حَشْرَج البصري قال : حدثني المستنير بن اخضر عن اياس بن معاوية بن قرة قال : جاءه دهقان فسأله عن السكر أحرام هو ام حلال . فقال : هو حرام . قال : كيف يكون حراماً . قال : أخبرني عن التمر أحلال هو أم حرام . قال : حلال . قال : فأخبرني عن الكشوث أحلال هو أم حرام . قال : حلال . قال : فأخبرني عن الماء أحلال هو أم حرام قال : حلال . قال : فما خالف ما بينها وانما هو من التمر والكشوث والماء ان يكون هذا حلالاً وهذا

حراماً . قال : فقال اياس للدهقان : لو أخذت كفاً من تراب فضربتك به أ كان يوجعك . قال : لا . قال : لو أخذت كفاً من ماء فضربتك به أ كان يوجعك قال : لا . قال : لو أخذت كفاً من تبن فضربتك به أ كان يوجعك قال : لا . قال : فاذا انا أخذت هذا الطين فعجنته بالتبن والماء ثم جعلته كتلاً ثم تركته حتى يجف ثم ضربتك به أ يوجعك قال : نعم وتقتلني قال : فكذلك هذا التمر والماء والكشوث اذا جمع ثم عتق حرم كما جفف هذا فأوجع او قتل وكان لا يوجع ولا يقتل (ص ١٣٣ — ١٣٤)

(١٧) حدثنا ابو كريب قال : حدثنا طلق بن غنام قال : حدثنا شريك عن عبد الملك بن عُمير قال : كتب المغيرة بن شعبة الى معاوية يذكر فناء عمره ، وفناء أهل بيته ، وجفوة قريش اياه . قال : فورد الكتاب على معاوية وزياد عنده . فلما قرأ الكتاب قال له زياد : يا امير المؤمنين ولني إجابته قال : فألقى اليه الكتاب . قال : فصدّر زياد الكتاب ثم كتب : اما ماذكرت من ذهاب عمرك فانه لم يأكله احد غيرك ، واما ماذكرت من فناء اهل بيتك ، فلو ان امير المؤمنين قدر ان يقي احداً الموت لوقى أهل بيته ، واما ما ذكرت من جفوة قريش إياك فانى يكون ذاك وهم امروك . فلما قدم الكتاب على المغيرة قرأه قال : اللهم عليك زياداً اللهم عليك زياداً . (ص ١٣٧)

(١٨) حدثني الحسين بن عبد الرحمن قال : قال شبيب بن شيبة : رأى خالد بن صفوان رجالاً قد أصابوا مالاً فتكلموا وغلوا فقال :

أناساً طال ما كانوا سكوتا ... وأنطقت الدراهم بعد عيٍ
ولا رفعوا لمكرمة بيوتا ... فما عادوا على جارٍ بخير
ويترك كل ذي حسب صموتا ... كذاك المال يجبر كل عيب

(ص ١٤٥) .

(١٩) حدثنا علي بن حرب الطائي قال : حدثنا اسماعيل بن زياد بن ابي زياد الفقيمي عن ابي جرير عن الشعبي قال : كان رجل يهدي لعمر بن الخطاب كل عام فخذ جزور فخاصم اليه رجلاً فقال : يا امير المؤمنين ، افض بيننا قضاء فصلاً كما يُفصل الرجل من سائر الجزور . قال : فقضى عليه عمر ثم كتب الى عماله ان الهدايا هي الرشا (١٥٨)

(٢٠) أنشدني ابو عبد الله بن فنن قوله :

أصبحت أنهض مثل الطفل معتمداً على اليـدين كذاك الشيخ يعتمد
من عاش أخلقت الايام جُـدته تكرهاً وجفاه الأهل والولد
نطوي الليالي وتطوينا فتخلقنا وهن من بعد ما أخلقتنا جدد
طال التأوه للضعف الذي أجد وباد قومي وطال الهم والسُهد
وصرت أرسف بعدالشد من كبر رسف المقيد بل بي فوق ما أجد
فهل نشيخ كبير لا حراك به من الزمان طبيب عنده رشد
أين الشباب الذي كنا نعيش به عيشاً رضياً وأين الجد والجلَد
فقدت للشيب لذات الشباب الا كل اللذاذة بعـد الشيب تفتقد
أمسى كثيري قليلاً يستدل به على الفناء ولكن بعد لي امد

(٢١) وأنشدني رجل من اهل البصرة لرجل من بلعنبر :

اذا ما أراد الله ذلَّ عشـيرة رماها بتشتيت الهوى والتخاذل
فأول عجز القوم فيما ينوبهم تدافعهم عنه وطول التواكل
واول خبث الماء خبث ترابه واول لؤم القوم لؤم الحلائل
(ص ١٨٨)

(٢٢) حدثني شيخ من بني تميم قال : أوصى رجل ابنه فقال : يابني اغتنم مسالمة من لا بدَّ لك من محاربته ، وليكن هربك من السلطان الى الوحش في الفيافي ، حتى تأمن من سعاية الساعي بك ، وطمع الطامع فيك ، لا يغرنك بشاشة امرئ حتى تعلم ما وراءها ، فان دفائن الناس في صدورهم وخُدَعهم في وجوههم ، ولتكن شكايتك من الدهر الى رب الدهر واعلم ان الله اذا أراد بك خيراً او شراً أمضاه فيك على ما أحب العباد او كرهوا . (ص ١٩٢)

(٢٣) سمعت شيخاً من قريش من ولد عمر بن عبد العزيز قال : كتبت الى رجل في حاجة : اني قد بذلت لك من جاهي ما قد صنته عن غيرك ، فضعني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك .

حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الانصاري قال : حدثني ابراهيم بن مسعود قال : كان رجل من تجار اهل المدينة يختلف الى جعفر بن محمد ويخالفه ويعرفه بحسن الحال فتغيرت حاله فشكا ذلك الى جعفر بن محمد فقال له جعفر :

لا تجزع وان أعسرت يوماً فقد أيسرت في الدهر الطويل
ولا تيأس فان اليأس كفر لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوء فان الله أولى بالجميل

قال فخرجت من عنده وأنا من أغنى الناس .

آخر كتاب الإشراف (ص ١٩٣)

هذا آخر النموذجات التي اخترناها وآخر الكتاب .

محمد كرد علي

ماهية الجنون وتاريخه

- ٣ -

الجنون في اللغة العربية — الجنون في اللغة الاستتار. وجن الشيء اذا استتر. وأجن الليل الشيء اذا ستره. والمجنون من الناس من كان مستور العقل. وقد أطلق العرب كلمة الجنون على جميع الآفات النفسية على اختلافها وتنوعها فقالوا: الجنون فنون، ولا يخلو العاقل من ضرب من الجنون. وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه: ليس من احد الا وفيه حمقة فيها يعيش. وسمى النبي صلى الله عليه وسلم من أبلى شبابه في المعصية مجنونًا. وسمى العرب العاشق مجنونًا. ونعتوا بالجنون من يخالفهم في عاداتهم فيجيء بما ينكرون. ولهذا قالوا في النبي صلى الله عليه وسلم حين تحداهم الى الايمان بالله انه ساحر أو مجنون.

فالجنون والحالة هذه كلمة عامة أطلقها العرب على جميع الأحوال النفسية الشاذة. والمجنون عندهم كل من أصيب في نفسه فلم يأتلف مع البيئة عقلاً أو فعلاً أو انفعالاً. وهذا أقصى ما وصل اليه العلم الحديث في تعريف الجنون في العصر الأخير.

غير ان الاصطلاح قد أخرج هذه الكلمة من معناها الذي تقدم ذكره وخصها بمن أصيب في عقله فراح يسب ويخلط ويهذي ويضرب ويخرق الثوب. وقد فقدت اللغة العربية بهذا التخصيص مادة عامة هي في أشد الحاجة اليها اليوم من الوجهة العلمية. ولما كان الرجوع الى كلمة الجنون متعذراً بعد ذلك التخصيص ولما علق بها من معنى الإهانة والتحقير رأينا ان يستعاض عنها بكلمة نُفاس أي مرض النفس اشتقاقًا على القياس كما يقال كُباد وقُلاب. فيقال منفوس كمكبود ومصدور.

أما ما يوجد في اللغة العربية من الألفاظ التي عدّها كثير من علماء اللغة مرادفة لكلمة مجنون فانها في الحقيقة غير مترادفة ونسبتها الى الجنون نسبة النوع الى الجنس. فان لكل

منها معنىً خاصاً يميزها عن الأُخرى · وقد لا يوجد في لغة من لغات العالم القديمة والحديثة ما في اللغة العربية من الأسماء الخاصة المتعلقة بالحالات النفسية المرضية · فالقدومة والبلاهة والرعونة والحمق والعته والسبه والهذيان والخرف والزور والمس والخبل والهوس والهلس والوسواس والجذب الى غير ذلك من عشرات الأسماء ما هي الا مسميات لحالات نفسية مرضية مختلفة خاصة · ووجودها قديماً في اللغة يدل دلالة واضحة على كبير إلمام بالاحوال النفسية وخصائصها في تلك العصور الغابرة ·

الجنون والشرع الاسلامي — للشريعة الاسلامية فضل السبق على سائر الشرائع القديمة والحديثة بوضع أحكام للمجانين جامعة مطابقة لروح العدل والعلم والاجتماع على اختلاف الزمان والمكان · فهي تنزل المجنون في الحكم وفي المعاملات منزلة الصغير غير المميز أو المميز أحياناً حسب نوع جنونه ودرجته · وتقضي على السفيه والفاسق اللذين يعدهما العلم الحديث من المنفوسين بالحجر محافظة على أموالهم · وتحدد درجات المحجورين والمأذونين منهم وتعرفهم وتبين أنواعهم وتفصل أحكامهم بالنسبة لأنواع التصرفات مما لم تتوفق اليه الشرائع المدنية الحديثة الا في القرن الأخير · فالمجنون في الشرع الاسلامي غير مكلف وهو محجور لذاته · وحكمه حكم الصغير غير المميز اذا كان جنونه مطبقاً · وحكم الصغير المميز اذا كان جنونه قسمياً · وتصرفات المجنون في حال إفاقته كتصرف العاقل · والسفيه المحجور هو في المعاملات كالصغير المميز ووليه الحاكم فقط · ويضمن المجنون الضرر والخسارة اللذين نشآ من فعله · ولا ينفذ حكم القتل على من جن قبل تنفيذ الحكم · ويستند القاضي في اثبات الجنون الى الخبير من الاطباء · الى غير ذلك من الاحكام الكلية المعمول بها في الاسلام منذ الف وثلاثمائة سنة والتي لا تختلف في نصوصها عن الاحكام المرعية اليوم عند أرقى الامم حضارة وثقافة ومدنية ·

* * *

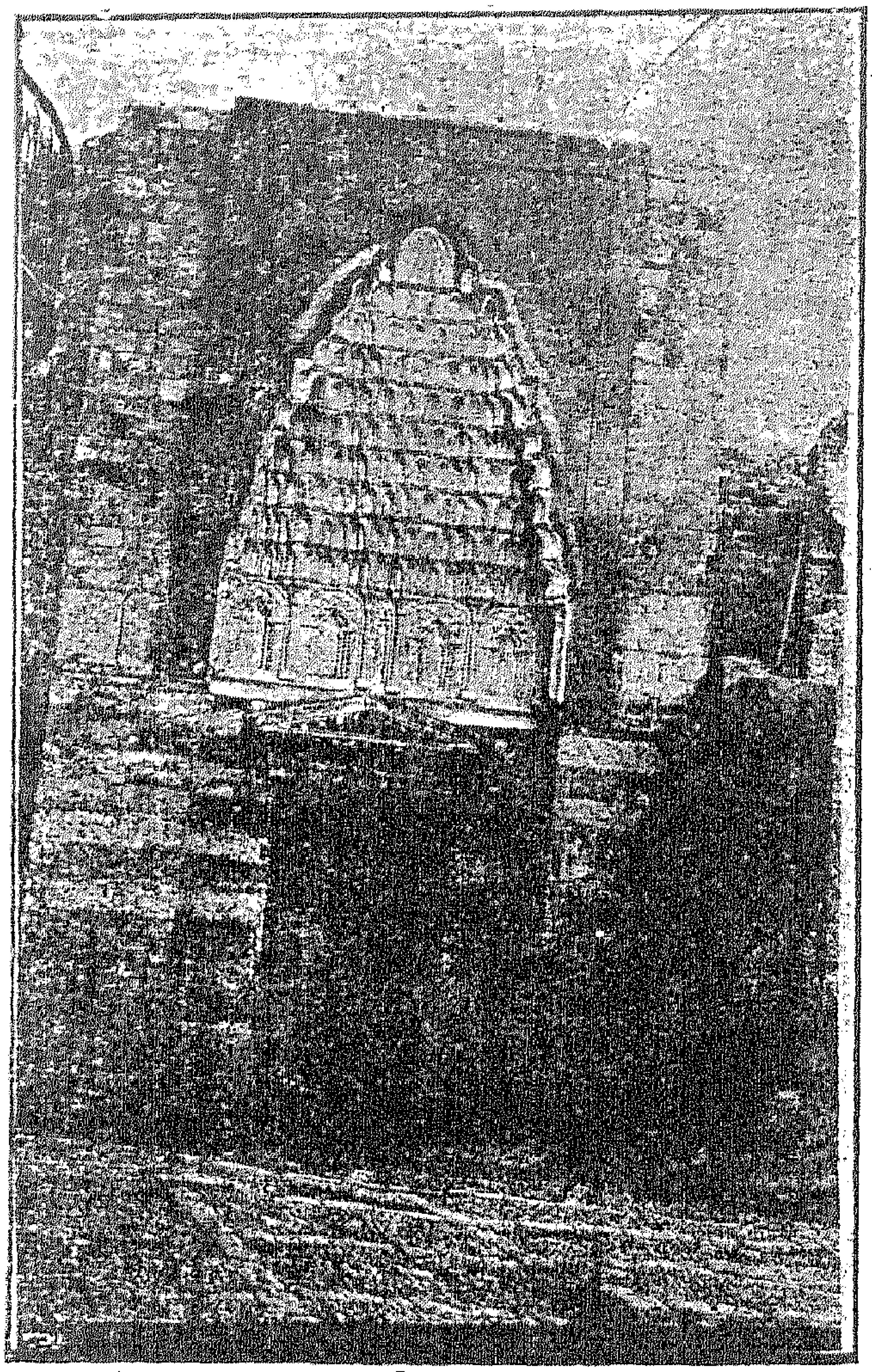

« البيمارستان النوري الكبير في دمشق »

أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٠ هـ

وهو اليوم ميتم للاناث

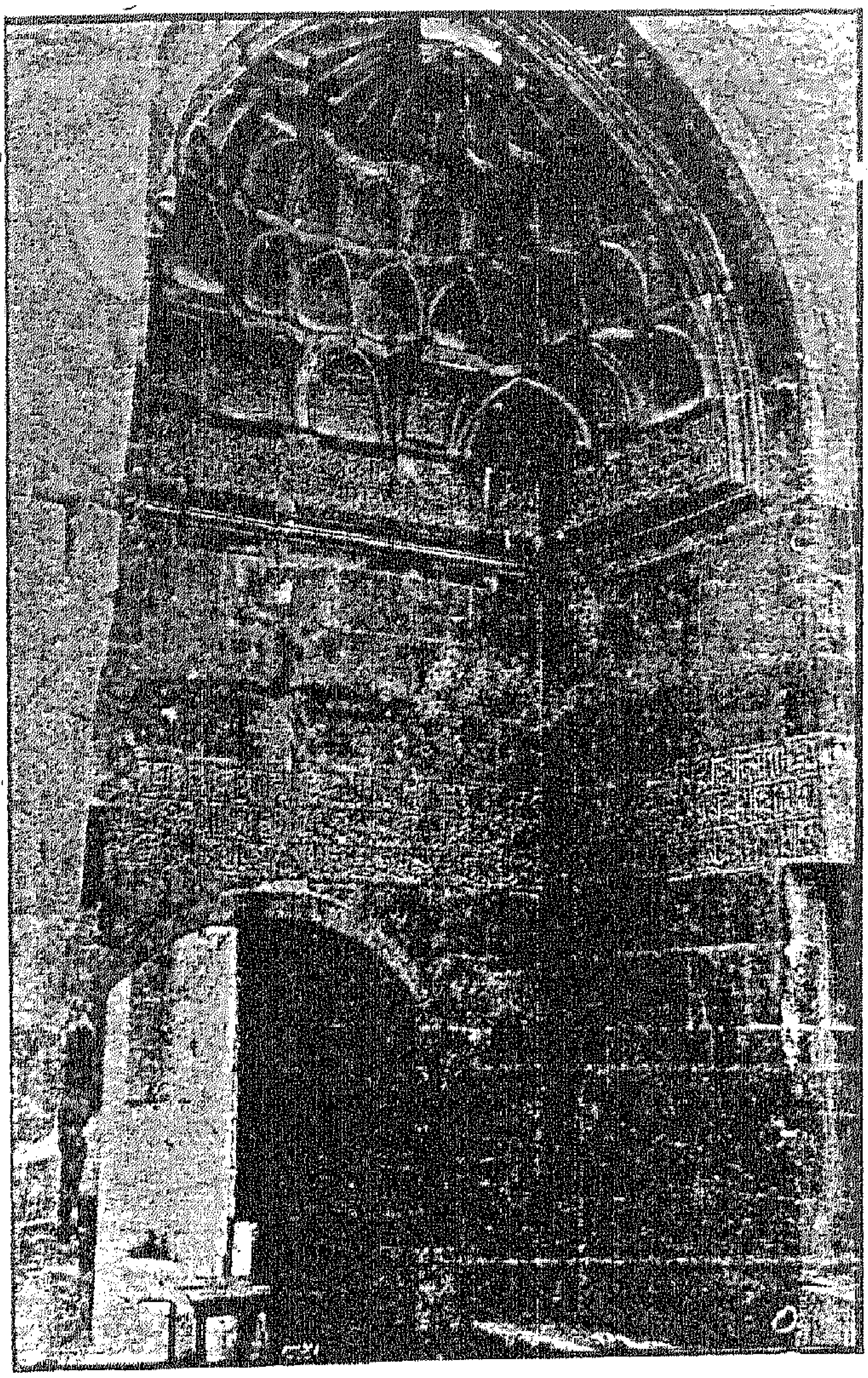

« البيمارستان القيمري في دمشق »
أنشأه الأمير سيف الدين قيمر سنة ٦٤٣ هـ في سفح جبل الصالحية
وهو اليوم حظيرة يأوي اليه الفقراء والمساكين

الجنون والمجانين في اوربة في القرون الوسطى — وبينا الطب النفسي يرفل في الممالك الاسلامية بابهى الحلل كانت اوربة تائهة في ليل من الأضاليل وقد شاع فيها الاعتقاد بالجنون الآلهي والشيطاني شأنه في القرون المتقدمة فراحت تبجل المصابين بالهذيان الديني وترمي بالكفر المبتلين بانواع الهذيان المخالف للشرائع والمعتقدات فيحكم عليهم بالسجن والقتل أو يقذف بهم في أعماق آبار روما القديمة حيث يقضون نحبهم ضحية الجهل المطبق · ولم يكن القانون الروماني يستثني من العقاب سوى المصابين ببعض أنواع الجنون المطبق كالعته التام والبلاهة الشديدة · وقد كان هؤلاء المرضى غير المسؤولين يرسلون الى قرى وجزر غير آهلة ولا منبتة تخصص لهم صيانة للناس من أذاهم ، والهولنديون هم اول من ابتدع هذه الطريقة في تجريد المجانين ، وقد كانت هذه القرى ذات أسوار ضخمة مرتفعة وفي داخلها غرفة ذات سلاسل وقيود يقيد بها المجانين المحتدون ويظلون فيها الى أن يقضوا نحبهم ·

الجنون والمجانين في القرون الأخيرة — بقي علم الجنون حتى أواخر القرن الثامن عشر غريباً عن علم الطب كأنه لا يمتُّ اليه بصلة · وظل العالم باجمعه حتى أواخر القرن التاسع عشر ينظر الى المجنون نظره الى الحيوان المفترس فيعمل على غله وتجريده والحجر عليه ليأمن أذاه دون ان تأخذه به رأفة أو أن يفكر بمداواته وبرئه · وقد كان المجانين في جميع البلدان يساقون في الأسواق مغلولي الأيدي حفاة مكشوفي الرؤوس مطوقي الأعناق بسلاسل طويلة يقودهم بها السجانون ومن ورائهم الناس والأولاد يهزأون بهم ويسخرون منهم الى ان يبلغوا المكان المعد لهم وهو أشبه بسجن في باطنه حجيرات صغيرة ضيقة منخفضة السقف مظلمة لا ينفذ اليها النور الا من نافذة صغيرة في السقف أو في أعلى الجدار وقد سلحت جدرانها بالسلاسل والأغلال يقيد بها المجنون ويزج فيها على الأرض أو على مقعد خشبي حيث يقضي ليله ونهاره بعيداً عن النور والهواء في جوّ تتكاثف فيه العفونة والروائح المنتنة الكريهة الى ان تمد اليه الطبيعة يد الاحسان والشفقة فتتداركه باحد أمراضها القتالة وتريحه من مظالم أخيه الانسان ·

ومن بواعث الأسى والأسف ان الناس كانوا حتى أوائل العصر الحاضر يؤمون هذه الملاجئ أو بالحري هذه المجازر لترويح النفس بمشاهدة اولئك الضعفاء الابرياء

فلا تعتريهم عندما يشاهدونهم يقاسون تلك الآلام شفقة ولا رأفة ، بل بالعكس كان منهم من يحاول إثارة غضب ذلك البائس بايذائه ليبادر اليه زبانيـة المحل بالسياط فيقهقه الناظرون لهذا المنظر الوحشي كأنهم ليسوا من طينة هؤلاء التعساء · ولا غرو فقد خلق الانسان ظلوماً ·

ومما تقدم ذكره يتبين لنا ان مدنية القرون الاخيرة انحصرت في تجريد المجنون عن الهيأة الاجتماعية لتتملص من أذاه دون ان تمد اليه يد الاسعاف ودون ان تلحظه عين العلم بطرف ، وفي ذلك لعمري منتهى الانانية والظلم ·

الجنون والمجانين في القرن التاسع عشر والعشرين — هكذا بقي الجنون يُعد حالة لا صلة للعلم بهـا والمجنون حيوانًا لا يمتُّ الى البشرية باصل الى سنة ١٧٩٣ حيث قيض الله له رسولاً من الرحمة حطَّم بجهاده العلمي سلاسله وقيوده ونهض به من درجة الحيوان الى مكانة الانسان المريض وذلك المصلح المجدد الكبير هو الدكتور بينل الذي تخلد له الانسانية في صدرها ذكراً مشفوعًا بالحرمة والثناء ·

عهدت حكومة الشعب الفرنسية ايها السادة الى بنيل (Pinel) سنة ١٧٩٣ بادارة مستشفى بيستر (Bisétre) فشق عليه ماراَه فيه من حالة المجانين التي اتينا على وصفها · فآلى على نفسه ان يعمل على انقاذهم من هذه المجازر التي يحمر منها وجه الانسانية خجلاً فتقرب الى الحكومة بطلب حل قيود المجانين ومعاملتهم باللين والحسنى فهزأت بكلامه مراراً ثم اجابته الى طلبه بعد ان اخذ على نفسه تبعة هذا العمل ويرهن فعلاً على ان اطلاق المجانين ينقص من هياجهم ويساعد على برئهم · فدخل الطب النفسي من هذا العهد في دور رقي جديد وقد عم هـذا الاصلاح انكلترا والمانيا وايطاليا وسائر الممالك الاوربية الراقية · فسادت فيها فكرة الانسانية وبديءَ بقلب تلك السجون الدامية الى دور تمريض يلقى فيها المجنون مايلقاه المريض من العناية والمعالجة والنظافة والغذاء والدرس الطبي والمشاهدة ·

ومنعًا لاساءة التصرف بالحجر على الناس المصابين بالآفات العقلية اصدرت الحكومة الفرنسية قانون ٣٠ حزيران سنة ١٨٣٨ المتعلق بنظام المؤسسات الصحية المخصصة للمجانين · ولم يزل هذا القانون معمولاً به حتى اليوم · وفي جميع الممالك الاوربية بفروق قليلة · وعلى الرغم من ان هدف هذا القانون اجتماعي غير طبي فان وضع المجانين في دور خاصة تتوفر فيها

اسباب الخدمة والتمريض وحسن الادارة فسح للاطباء مجالاً لدرس اولئك المرضى ومشاهدتهم مما عاد على الطب وعلى الانسانية بالنفع الكبير لان الجنون الذي لم يكن يعرف من حقائقه الا القليل بدأ يتضح رويداً رويداً ويدخل في نهج علمي صحيح ·

ففي سنة ١٨٢٢ ميز بيل (Bayle) الخبل العام (Paralysie génerale) ووصف لاسيك (Lasèque) سنة ١٨٥٢ هذيان الاضطهاد وجدد مارك وفورده طب المجانين الشرعي وفي سنة ١٨٥٤ وصف فالرت (Falret) وبيارجر (Baillarger)الجُنة المتناوبة ثم جاءت اعمال مولر ولفرن وكوتار وشاركو وغيرهم من الاساتذة المشهورين وكلها ترمي الى تصنيف امراض النفس وتمييز كل منها عن الآخر · اما المداواة فقد قامت في وجهها عقبات جمة اهمها الاعتقاد باستحالة شفاء المجنون وعدم امكان مداواته وقد ابلى مانيان (Magnan) في مقاومة هذه الفكرة بلاءاً حسنا ونهج في استقرائه العلمي طرق التشريح والتجربة متوخياً التوفيق مابين الفسيولوجيا والسريريات · فهداه عمله هذا الى اكتشاف اسباب كثير من الحالات النفسية الجنونية وذلك ان هذه الحالات تنشأ في الغالب عن اختلالات الجسم العضوية الناشئة عن المسكرات والسموم والعفونة وعدم كفاية الاعضاء الباطنية وغير ذلك مما يجعل مابين امراض الجسم والآفات النفسية علاقة قوية · ويفتح في وجه الامراض النفسية طرقاً جديدة للمداواة والوقاية ·

هنا دخل طب النفس في عهد جديد · فانه لم يقف عند عد المجنون مريضاً عادياً يعنى بمداواته مدة مرضه بل تجاوز هذا الحد الى القول بوجوب الاسراع بتشخيص الداء في بدء حدوثه ومكافحته كما تكافح سائر الامراض بطرق التحفظ والوقاية والمداواة العاجلة · وذلك لان المشاهدات الطبية اثبتت ان كثيراً من الامراض النفسية تشفى بسهولة اذا عولجت في بدء نشوئها كما ان الاحصاآت دلت على ان في ١٠٠ حادثة شفاء يوجد سبعون ممن عولجوا في السنة الاولى والثانية و٣ - ٤ ممن عولجوا في السنة الثالثة · وخير دليل ناطق على علاقة امراض الجسم بآفات النفس وامكان مداواتها والوقاية منها : الزهري اي الافرنجي فهو مرض وبيل تنشأ عنه امراض عصبية ودماغية عضالة تشفى بالمداواة العاجلة · كما انه من الممكن منع حدوثها بمداواة هذا المرض في بدء ظهوره ·

وهكذا يقال في المسكرات الغولية وغيرها فان ادمانها يفسد الكبد ويضعف

الاعصاب ، فتقف الخلايا الكبدية دون ايفاء وظيفتها فتتسمم الخلايا الدماغية وتصبح مريضة ينشأ عنها الاختلال العقلي والخلقي ، فاذا فطم السكير عن المسكر وأصلحت كبده بالأدوية الخاصة يقل تجمع السم في دمه فتصلح حاله النفسية . وهكذا الحال مع غير المسكرات من السموم ، ومع الامراض العفنية واختلال الافرازات الغدية وغيرها مما يسبب ضعف الخلايا الدماغية ويحدث فساداً في الافعال العقلية وفي الفاعلية والانفعال ، فيدعى صاحبها مجنوناً بينما هو مريض وكان بالامكان وقايته من هذه الامراض الجنونية بمداواة سببها كما انه في الامكان شفاؤه منها اذا اكتشف الطبيب السبب وعالجه قبل ان يتأصل الداء في جسمه .

ومما تقدم ذكره يتضح لنا أيها السادة ان كثيراً من الأمراض النفسية التي كان الطب القديم يحكم بعدم شفائها تشفى اليوم بفضل الرقي العلمي الحديث وهي تكافح وتتقى كما تكافح سائر الأمراض الجسمية .

على ان الوقاية النفسية قد خطت اليوم خطوة كبرى تعد على حداثة عهدها من مفاخر هذا العصر ومبتدعاته وبذلك بفضل جهود احد المحسنين الامير كيين كليفور ويليام بير (Clifford W. Beers) الملقب بينل اميركا . وذلك ان هذا الرجل المحسن الكبير كان أصيب باختلال عقلي من جراء مرض الوافدة ، وحجر عليه من سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٣ ، فلما شفي وخرج من المستشفى أخذ على نفسه ان يعمل على وقاية بني جنسه من الاختلالات النفسية ويسعى لحسن مداواتها ، فأسس سنة ١٩٠٨ في نيويورك جمعية حفظ صحة النفس وتطوع للتبشير بها ، فانتشرت فكرته هذه في جميع العالم المتمدن ، فتأسست في سويسرة وفرنسة سنة ١٩٢٠ وفي بولونيا سنة ١٩٢١ وفي البرازيل سنة ١٩٢٣ وفي بيرو والمجر وتشكوسلوفاكيا وبولونيا سنة ١٩٢٤ مؤسسات كبيرة لحفظ صحة النفس .

وقد كانت الحرب العالمية الاخيرة العامل الاكبر في توجيه أبصار العالم المتمدن الى أهمية الوقاية النفسية ووجوب الاعتناء بصحة عقلية الفرد التي تتوقف عليها حياة المجموع وسلامته . فقد كان يوجد وراء كل جيش من جيوش الامم المحاربة العظمى هيأة صحية عملها فحص نفسية الضباط والافراد ، ومستشفيات خاصة لمداواة الآفات النفسية في

خطوط القتال . قال الدكتور بترتريسكا في كتابه الوقاية النفسية : ان (٦٨٠٠٠٠) جندي أخرجوا من الجيش الاميركي وأعيدوا لبلادهم لاكتشاف آفات نفسية في جسومهم وانه بفضل هذا الانتقاء كانت صحة الجيش الاميركي النفسية جيدة مسرة ، فقد بلغ عدد حوادث الانتحار والجنايات فيه (١٢٠) حادثة انتحار و (١٧٣١) جنحة وجناية بينا كان عدد حوادث الانتحار فيه قبل الحرب (١١٧٠) حادثة و(٢٥٠٠٠) حادثة جنحة وجناية . وختم هذا البحث بقوله ان تجربة الحرب أثبتت أهمية العنصر النفسي في صحة المجتمع .

وقال الدكتور تولوز مؤسس الوقاية النفسية في فرنسة : « تتألف مقومات الفاعلية الاجتماعية الاساسية من نفسية الافراد ، فان مرض عضو واحد من أعضاء الفرد لا يمنعه من القيام بعمل صناعي صحيح ، بينا أخف الحالات النفسية السيئة تؤدي الى نقص الفاعلية المنتجة أو بطلانها ، فسلامة النفس والحالة هذه هي في الدرجة الاولى من الاهمية فيما يتعلق بانتاج الفرد الذي هو العنصر الذي تتألف منه حياة الامة السعيدة ، فمن الواجب على فرنسة التي نهكتها الحرب وأفقرتها ان تستجمع كل قواها لاعادة بنيان ثروتها من القدرة النفسية . »

واليكم خلاصة نظام اتحاد وقاية النفس الافرنسي المطبق اليوم :

(١) تهذيب الشعب وتعليمه ليدفع عن نفسه الامراض النفسية كما يتقي مرض السل وذلك بواسطة التبشير والصحف والدعاية لترك المسكرات واجتناب دور الفحش والميسر .

(٢) تأمين كشف المرض النفسي ومداواته في بدئه وذلك بفتح مستوصفات خاصة بالآفات النفسية يقوم بمهامها أخصائيون وممرضات سيارات .

(٣) وقاية الطلاب والصناع من الآفات النفسية بدرس درجة تحمل قواهم العقلية وتعيين الصناعة التي تتفق مع مداركهم .

ومن هذا النظام يتضح لنا ان جمعيات حفظ صحة النفس لم تقف عند حد مداواة الامراض النفسية والوقاية منها بل تعدتها الى هدف أسمى ، فهي تدرس قابلية الاشخاص والطلاب العلمية والعملية وهم في مدارسهم وتوجه كلاً منهم الى العلم أو الصناعة التي تلتئم مع مواهبه ، فيستثمر العلم والصناعة من قواه الحد الاقصى ، وفي هذا منتهى الرقي والتقدم .

ومن هذه الخلاصة التاريخية أيها السادة يتبين لنا ان علم الامراض النفسية ولا نسميها

نعد اليوم بالجنون لما تلوثت به هذه الكلمة من أدران الجهل والظلم والوحشية في العصور الماضية — قد تطور تطوراً سريعاً في هذه السنين الاخيرة من أساطير خرافية — الى علم طبي — الى فن مداواة ووقاية — الى علم اجتماعي ترتكز عليه سعادة الامم ورقيها ، وان المنفوس أي المصاب بآفة نفسية ولا نسميه بعد اليوم مجنوناً لما تدنست به هذه الكلمة من من الحقارة وعدم الدلالة على المعنى العلمي — قد ارتقى من سليب آلهة أو ملموس شياطين الى أثيم شرير يسجن أو يحرق أو يصلب — الى حيوان مفترس يكبل بالسلاسل والاغلال — الى بريء يستحق الرأفة والاحسان — الى مريض معصوم ينتقل ما بين سرير المستشفى وردهات المصح حيث النور والهواء الطلق والحدائق والمطاعم والمشاغل مما يعد من مفاخر هذا العصر ، وهو يؤيد ماقدمته في بدء هذه المحاضرة : إن أرقى عصور البشرية علماً هي التي عرفت فيها ماهية الجنون وأبهى أيام البشرية حضارةً هي التي عومل فيها المجنون معاملة المرضى بالرأفة والشفقة والاحسان .

الدكتور اسعد الحكيم

محاضرات

— في —

﴿ تاريخ آداب العرب ﴾

— (١) —

١ — ماهو الادب · ماتاريخه ؟ من هم العرب · ما أصلهم · واين منبتهم · لِمَ سموا عرباً · طبقاتهم · امهات قبائلهم · العرب والأعراب · جزيرة العرب · حدودها · واقسامها قديماً وحديثاً · · · الخ · أبحاث كثر ترددها في صدور المؤلفات الموضوعة في هذا الشأن · واحتلت من مقدماتها مكاناً فسيحاً ليس من حقها ان تحتله ؟ حتى أصبح الشداة من خريجي الثانويات يسأمون حشوها في آذانهم وحشدها في أذهانهم ·

اذا أضفنا هذا الى مافي الساعات المرصدة لهذا العلم في هذا المعهد من القلة ، تجدنا جدّ معذورين في ان نصدف عن هذه الأبحاث وما على شاكلتها مما ليس من الموضوع في العمود ، وان نمد يدنا الى المقصود من أقرب نواحيه ؟ من غير ما حاجة الى ركوب الصعب والذلول من المقدمات الطويلة ·

٢ — يرد العلماء اليوم اللغات البشرية الى ثلاثة أصول : السامي · والآري · والطوراني · ويعدون العربية من الأصل السامي · واذا اعتبرنا اللغة البابلية الاولى التي عُثِر على بقيتها في آثار الدولة الحمورية — هي الأصل السامي الذي انشقت منه اللغات المنسوبة اليه ؟ يترجح عندئذ أن العربية أقرب أخواتها الى ذلك الأصل ، او انها هي الاصل نفسه ، تقلبت في اطوار ، وتنقلت في احوال ، وحدثتها القرون الخالية بالصقال · حتى وصلت

(١) دروس الاستاذ طه بك الراوي عضو المجمع العلمي العربي واستاذ التفسير في جامعة آل البيت سابقاً والآداب العربية في دار المعلمين اليوم ·

الى ما وصلت اليه الآن . ذلك لأن العلماء رأوا مشابهة واضحة بين العربية الحاضرة والبابلية الاولى . ووجدوا في هذه كلمات ، وعلامات ، واصولاً ، وقواعد ، هي نفسها موجودة في العربية مع خلو سائر اخواتها السامية منها . أو هي موجودة فيها مع تحريف وتحوير ، ليسا بالبعيدين .

فمن وجوه المشابهة بين العربية المضرية والبابلية ، حركات الاعراب ، فانها في البابلية كما هي في العربية . ولا أثر لها في سائر اللغات السامية . ومن هنا يظهر ان الاعراب عريق في العربية عرفها وعرفته قبل أن يعرفها التاريخ . ومن وجوه المشابهة علامة الجمع السالم فانها في اللغتين (ون) . وصيغ الافعال في اللغتين متقاربة جداً . والتنوين في البابلية ميم ساكنة . والميم اخت النون في العربية . وكثيراً ما تتبادلان مثل (عنبر) تنطق (عمبر) ومن امثلة الكلمات التي جاءت في اللغتين معاً من غير ما تحريف : أنف ، عنب ، بلال ، صعصعة ، نسر ، شمس . الى غيرها من الكلمات التي لا تختلف شيئاً في اللغتين .

اذا أضفنا هذا الى ما يراه المحققون من أن مهد العنصر السامي جزيرة العرب ، يتبين لنا جلياً صدق ما ذهبنا اليه من ان اللغة العربية هي العمود الذي انشعبت منه سائر اللغات السامية . او لا أقل من أنها أقرب اخواتها كلها الى الاصل الاول المندثر على تقدير وجوده . والعلماء يعللون ذلك بكون العربية المضرية عاشت في معظم عصورها متبدية ، والبداوة حرز حريز لما تحوطه بعنايتها وتربيه في حجرها من اللغات ، إذ من البديهي أن اللغة تتلون بتلون العمران . وتصطبغ بصبغة الحضارة التي تعيش في اكنافها . وأين العمران والحضارة من المهامه الفيح ، والصحارى التي تحار فيها الريح !! .

٣ — ليس معنى كون العربية أصلاً . أو قريبة من الاصل أن هذه اللغة المضرية اليعربية التي تحوكها اقلامنا ، وتلوكها افواهنا ، هي تلك الام القديمة على ما كانت عليه في مهد حياتها ، حفظتها لنا القرون الخالية ، فأدتها الينا مصونة من التحوير والتغيير . لا . وانما المقصود ان الشعب العربي الذي مازال ولم يزل يحتفظ بجزيرته ، مهد العنصر السامي . احتفظ بأم لغات هذا العنصر . وان تلك الام تطورت من حال الى حال ، وتعهدتها الاجيال بالصقال ، ولم تزل تتنازعها عوامل البسط والقبض ، والرفع والخفض ، الى ان تناولتها يد النهضة الاسلامية . فجمعت شملها ، ولمت شعثها ، وزادت في ثرائها ، وبالغت

في نمائها ، ثم وطدت قواعدها ، وضبطت اصولها وفروعها ، واحاطتها بعظيم رعايتها وشملتها بجليل حمايتها ، الى ان بلغت مابلغت من البسطة في السلطان ، والكثرة في الاعوان . واتسع صدرها للعلوم المختلفة من بين شرعيـة ولسانية ، وفلسفية ، وغيرها ، وبلغت يوم ذاك شأواً قصياً لم تصل اليه لغة من لغات العالم التي كانت تعاصرها .

فاذا انت القيت نظرة اليها وهي زاخرة بالعلوم والفنون في العصر العباسي تجدها اوسع رقعة منها في العصر الاموي . وهي في العصر الاموي، وصدر الاسلام ، أفسح مجالاً منها في الجاهلية يوم كانت منعزلة في زوايا الجزيرة . وقس على ذلك حالها في الجاهلية الآخرة بالنسبة الى حالها في الجاهلة الاولى .

وبالجملة فان اللغة تنبسط بانبساط اهلها في الحضارة والعمران ، وتنقبض بانقباضهم . وترتقي بارتقائهم ، وتنخفض بانخفاضهم . وهي — بعد — كائن حي معروض لعوامل التركيب والتحليل . والتجدد والدثور . وسائر العوامل التي تخضع لها الاحياء من هـذا القبيل . واهم علائم الحياة في اللغة نشاط عاملي التجدد والدثور في بنيتها كالانسان في عنفوان شبابه . فتستغني عن الفاظ وتراكيب ، وتضم الى نفسها الفاظاً وتراكيب ، حسبما تقضي به عوامل النشوء والارتقاء ، او كما يقولون : حسبما يتطلبه قانون الانتخاب الطبيعي . ومن هذا نعلم ان لغة العرب اليوم تختلف عنها بالامس .

٤ — وليس في مقدور الباحث اليوم ان يحيط علماً بكل ماتقلبت عليه هذه اللغـة من أطوار التهذيب ، ومامرت به من عوامل النماء ، والتوسيع . ولكن يمكن ان يقال على سبيل الاجمال أن أطوار تهذيبها وعوامل نمائها وتوسيعها ، تابعة لتطور أحوال المتكلمين بها . فاذا علمنا — مثلاً — ان دولة حمورابي التي وصلت الى ماوصلت اليه من رفعة الشأن ، والتبسط في العمران — عربية النجار ، نعلم عند ذاك ان هذه اللغة نالت على عهد هذه الدولة قسطها من التهذيب والنماء بقدر ان بمقدار ما أحرزته تلك الدولة من سعة العمران ، وقوة السلطان . ويقال مثل ذلك في الدول العربية الاخرى ، التي ظهرت لمع من اخبارها من خلال غبار العصور الخالية ؛ مثل دولة العماليق في مصر المعروفة عند اليونان باسم (الهيكسوس) . ومثل دولة معين في اليمن ، وسائر الدول اليمانية التي تبسطت في الفتوح ، وتوسعت في الحضارة .

ومن هذا يتبين ان معرفة اطوار التهذيب لهذه اللغة تستمد من تاريخ الامة العربية فلنترك هذا الجانب للباحث في تاريخ العرب . على انه لا يفوتنا ان اطوار التهذيب ليست قاصرة على ما تتقلب عليه الامة من الاحوال السياسية . بل هناك تطورات لها شأنها خارجة عن هذه . منها : اتصال العرب بغيرهم بالمجاورة ، والمتاجرة ، وما الى ذلك . ومنها انتشار القبائل في انحاء الجزيرة ، وانفراد كل قبيل بمحاسن من القول يغبطه عليها القبيل الآخر . ومنها الأسواق المشهورة ، والمجامع المذكورة . مثل عكاظ . ومجنة . وذي المجاز . ومنها ، الحج . وغير ذلك من المجتمعات .

هذا أمر تطورها في الجاهلية وأما في الاسلام فلأطوار التهذيب تاريخ واضح النهج . سنلم به في غير هذا الموطن ان شاء الله تعالى .

٥ — أما عوامل النماء في اللغة فكثيرة أهمها : الاشتقاق ، والنحت ، والقلب ، والابدال ، والاشتراك ، والتضاد ، والترادف ، والمجاز ، والكناية ، والاصطلاح ، والتوليد ، والتعريب ...

واذا أنعمت النظر في هذه العوامل تجدها على قسمين : قسم منها يرجع الى بنية اللغة مثل الاشتقاق . وقسم تستمده اللغة من الخارج مثل التعريب . وهذا أشبه شيء بكيفية نماء الاجسام الحية . فان وسائل نمائها على درجتين : الاولى تمثيل الأغذية التي تستمدها من الخارج . والثانية تحصل بتكاثر الخليات بانقسام الواحدة منها الى اثنتين . ثم انقسام كل من الاثنتين وهكذا ...

١ — الاشتقاق :

يقول الصرفيون : ان الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما في أصل المادة والمعنى ، ليدل بالثانية على المعنى الاصلي ، مع زيادة مفيدة ، لاجلها اختلفت حروفهما ، أو حركاتهما أو هما معاً ، مثل كتب من الكتابة ، وقرأ من القراءة . وبعبارة أخرى : هو رد لفظ الى آخر لمناسبة بينهما في المعنى والحروف الاصلية .

وقد ذكروا له نوعين : الاول الاشتقاق الأصغر وهو المشهور بين علماء العربية . واذا أطلق الاشتقاق ينصرف اليه . والثاني الاشتقاق الاكبر . وأهم مميزاته عن سابقه انه لا يشترط فيه الترتيب في الحروف بين المشتق والمشتق منه .

والمذهب المعول عليه بين علماء العربيـة ان الكلم بعضه مشتق وبعضه غير مشتق ، وذهبت طائفة من المتأخرين الى ان الكلم كله مشتق . وهذا مذهب غير مفهوم لانه لو كانت كل لفظة فرعاً من غيرها للزم الا يكون هناك أصل ، وهذا محال . اللهم الا اذا قالوا : ان المراد بذلك ان الكلمة لاتخلو من احد أمرين : اما ان تكون مشتقة أو مشتقاً منها . فحينئذ يمكن ان يذكر قولهم هذا مع الأقوال . ويحتمل المناقشة والجدال ، وتذهب طائفة ثالثة الى انه ليس هناك اشتقاق ما وان الألفاظ كلها أصل ، وهو قول بعيد عن التحقيق .

ثم ان التغييرات بين المشتق والمشتق منه في الاشتقاق الأصغر تنحصر في وجوه : الاول — زيادة حركة في المشتق مثل (عَلِم) من (العِلْم) . الثاني — زيادة حرف فيه مثل (طالب) من (الطلب) . الثالث — زيادة حركة وحرف معاً مثل (ضارب) من (الضرب) . الرابع — نقص حركة منه (كالفرس) من (الفرس) . الخامس — نقص حرف منه مثل (ثبت) من (الثبات) . السادس — نقص حركة وحرف معاً مثل (نزا) من (النزوان) . السابع) نقص حركة وزيادة حرف مثل (غضبى) من (الغضب) . الثامن — زيادة حركة ونقص حرف مثل (حُرِم) من (الحرمان) . التاسع — زيادة حركة وحرف ونقصها مثل (استنوق) من (الناقة) . العاشر — تغاير الحركتين مثل (بَطِر) من(البطر) . الحادي عشر — نقص حركة وزيادة أخرى وحرف ، مثل (اضرب) من (الضرب) . الثاني عشر — نقص حرف وزيادة آخر ، مثل (راضع) من (الرضاعة) . الثالث عشر — نقص حرف وزيادة آخر وحركة ، مثل (خاف) من (الخوف) . الرابع عشر — نقص حركة وحرف وزيادة حركة فقط ، مثل (عِدْ) من(الوعد) فان فيه نقص الواو وحركتها وكسر العين بعد ان كانت ساكنة . الخامس عشر — نقص حركة وحرف وزيادة حرف ، مثل (فاخر) من (الفخار) .

وانما أشرنا الى هذه التغيرات المتنوعة لتدل على مافي هذا الباب من السعة ، وانه من أكبر الأبواب التي تنهض باللغة وتمدها بمعين لا ينضب .

اما الاشتقاق الأكبر فيشترط فيه حفظ أصل المادة دون تقلبات الهيئة ، مثل تقليب مادة (ق و ل) على وجوهها الستة المحتملة : ولق . لقو . . . الخ وهي في كل هذه التصاريف

تدل على الخفة والسرعة . قال ابوحيان النحوي : وهذا مما ابتدعه الامام ابوالفتح بن جني . وكان شيخه ابوعلي الفارسي يأنس به في بعض المواضع .

والذي يتقرى كلم اللغة العربية بانعام نظر ، يجد ان لمعظم موادها اصلاً يرجع اليه كثير من كلماته ان لم نقل كلها ، خذ على ذلك مادة (ف ل) ومايثلثهما تجد الجميع تدور حول معنى الشق والفتح . مثل : فلح ، فلج ، فلع ، فلق ، فلذ ، فلي . ومثل ذلك مادة (ق ط) وما يثلثهما تقول : قط ، قطع ، قطر ، قطف ، قطن ... الخ وكلها بمعنى لانفصال .

وأول من فتح باب هذا النوع من الاشتقاق ابو الفتح ايضاً ، وللعلامة الزمخشري ولوع فيه ، تجد ذلك كثيراً في كشافه ، ويذهب بعض اللغويين الى أن هذا الأصل جارٍ في كل تراكيب المواد اللغوية ولو بضرب من التأويل الا قليلاً . وهذا مذهب لايخلو من المبالغة ، اذ ان كثيراً من مفردات اللغة دخل عليها من لغات أخرى ثم صار مع الزمان كأنه منها في الصميم . ولا يمكن في حال من الأحوال ان يرد الى أصل من أصولها . وللغفلة عن هذه الناحية نجد الكثير من اللغويين يتمحلون لبعض الكلمات اشتقاقات أقل مايقال فيها انها من المضحكات . حكي عن بعضهم انه سئل عن اشتقاق الجرجير — نوع من النبات — فقال : سمي بذلك لان الريح تجرجره اي تجره . وسئل عن اشتقاق الجرة ، فقال : لانها تجر على الارض . ويقول انما سمي الثور ثوراً لانه يثير الارض للحرث ، الى أمثال هذا الهذيان والأعجب ان بعضهم يتكلف للأعلام العجمية ضروباً من الاشتقاق تتقاطر السخافة من أطرافها . ولا نعدم في هذا العصر أناساً من هذا القبيل . فقد بلغني ان بعضهم سئل عن البنجرة — وهي كلمة يستعملها الأتراك للنافذة — فقال : انها من فنجر الرجل اذا فتح عينيه ، لان النافذة تكون مفتوحة ، فاقرأ واعجب .

ولمكانة هذا الباب في علم العربية أفردوه بالتأليف وأحاطوه بالعناية الواسعة ، وممن الف فيه الأصمعي ، ومحمدبن المستنير المعروف بقطرب ، وابوالحسن الأخفش ، وابونصر الباهلي ، والمفضل بن سلمة ، والمبرد ، وابن دريد ، والزجاج ، وابن السراج ، والرماني ، وابن النحاس ، وابن خالويه وغيرهم . هذا زيادة على ماجاء به الصرفيون في كتبهم من التحقيق والتمحيص . وأكبرهم عناية في ذلك امام الصرفيين وسندهم ابو الفتح بن جني

الموصلي . وقد ألف فيه بعض المعاصرين من أعلام الشام كتابًا نفيسًا يعدُّ آية في بابه . هذا وان العصر الذي نحن فيه يتطلب من هذا الباب فضل توسع ، وبذل عناية ، لأن المعاني الجديدة المتدفقة ، والمبدعات العصرية المتكاثرة ، تتطلب من الألفاظ ما تعيا به مفردات اللغة اذا لم تفزع الى هذا البـاب فتوسع منه ما ضيقه غلاة المحافظين ، ثم تستمد منه العون ، فتجد منه خير معين وأقوى نصير .

ثم ان هذا الباب أوسع من ان يحاط به في مثل هذه العجالة ، ولكنا نظرنا اليـه من بعض نواحيه التي تتعلق بموضوعنا وتركنا التفاصيل للكتب الموضوعة فيه .

٢ — النحت :

قد يعمد العربي الى كلمتين فأكثر ، فيقتطع منها حروفًا يؤلف منها كلمة جديدة يدل بها على مجموع المركب الذي اقتطعت منه ، أو على معنى آخر قريب من معنى ما اقتطعت منه ، فيقول في النسبة الى عبد شمس ، عبشمي — مثلاً — كما يقول : (بسمل) يريد انه قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، ويسمون العجوز الصخابة الكثيرة الهذر : صهصلق ، أخذاً من (صهل) ، و (صلق) ، بمعنى صات صوتاً شديداً .

وقد أطلق علماء العربية على هذا النوع من العمل اللغوي النحت ، لان العربي ينحت من الكلمتين كلمة ، وفي هذا العمل من الفوائد مافيه مما يرمي الى امداد اللغة بالثراء ، زيادة على مافيه من الاختصار بكون الكلمة الجديدة تدل على جملة من القول ، فقولنا: (بسمل) مثلاً أخصر بكثير من قولنا : قال بسم الله الرحمن الرحيم .

ولم يضع له الأوائل قواعد واضحة ، ولذلك اعتبره بعض النحاة سماعيًا ، وقل الاعتماد عليه عند المتأخرين من العلماء ويظهر من كلام ابن مالك في تسهيله انه يعتبر هذا الباب قياسيًا في باب النسبة ، ولكن ابا حيان أنكر عليه ذلك وقال ان هذا الحكم لا يطرد ، وانما يقال منه ماقالته العرب فقط والمحفوظ منه — عند ابي حيان — عبشمي ، في النسبة الى عبد شمس . وعبدري ، في عبد الدار . ومرقسي ، في امرىء القيس . وعبقسي ، في عبد القيس . وتيملي ، في تيم الله . هذا ما أورده ابو حيان من المسموع في باب النسبة من المنحوت - ومعلوم ان النحت في غير باب النسبة أكثر منه في بابها فقد قالوا هلل ، وأكثر من الهيللة ، اذا قال : لا آله الاّ الله ، وحولق ، وأكثر من الحولقة ، وحوقل

(انكر بعضهم ان يقال حوقل • وعده من الغلط وليس بشيءٍ لانه جرى على ألسنة كبار اللغويين • ومن حفظ حجة على من لم يحفظ) واكثر من الحوقلة • اذا قال : لاحول ولا قوة الا بالله • ومنه حمدل حمدلة : قال : الحمد لله • وحسبل حسبلة ، قال : حسبي الله • وحيعل حيعلة قال : حي على الصلاة • حي على الفلاح • وحي على كذا • قال الشاعر :

اقول لها ودمع العين جار ألم يحزنك حيعلة المنادي

وجعفد جعفدة • قال : جعلت فداك • ودمعز دمعزة قال : دام عزك وطلبق طلبقة • قال : اطال الله بقاك • ومشكن مشكنة • قال : ما شاء الله كان • وكبتع كبتعة • قال : كبت الله عدوك • وسمعل سمعلة • قال : السلام عليكم وقالوا : حبرم القدر اذا وضع فيها حب الرمان • وامثلة ذلك كثيرة • حتى ذهب ابن فارس وجماعة من المحققين الى ان الاسماء الزائدة على ثلاثة احرف اكثرها منحوت • مثل قول العرب : رجل (ضبطر) أي شديد • أو ضخم مكتنز اللحم منحوت من ضبط وضبر • بمعنى اشتد خلقه وتوثق • قال : ومنه اسد (صلدم) ورجل صلدم أي صلب • منحوت من • صلد وصدم • (وبعثر) منحوت من بعث واثير • (وبحثر) من بحث واثار •

ويرى الخليل ان النحت يجيءُ في الحروف • قال : اصل لن • (لا أن) خففت فصارت لن وقد حدث لها بالتركيب معنى جديد في الجملة • • •

وللنحت يد سموح في امداد اللغة بالثروة ، ولاسيما لغة العلم • ولكن بعض المتأخرين من النحويين • حالوا بين أهل العلم وبينه بقولهم انه باب سماعي ، وبذلك أوصدوه في وجوه القوم على حين الحاجة ماسة الى فتحه وتوسيعه بقدر المستطاع لمعالجة الفاقة اللغوية تجاه المعاني العلمية التي فاض فيضها وعب تيارها في هذا العصر •

مالنا وللمتشددين من متأخري النحاة الذين كلما انفتح امام اللغة العربية باب تتنفس منه هرعوا اليه وسدوه على زعم انهم يخدمونها بالمحافظة عليها وسد مسالك العجمة عنها وماأشبه عملهم هذا بعمل تلك الصينية التي تضع قدميها في زوجي خف من الحديد للمحافظة على غضارتها وجمالها ، ولم تدر انها سوف يأتي عليها زمن تفقد فيه هاتان القدمان قوتهما وتعجزان عن القيام بوظائفهما ، وكذلك شأن اللغة عند هذا الفريق من القوم يوصدون عليها أبواب القياس ويأخذون عليها مجامع الطرق على زعم انهم يحرسونها ويحافظون على

نضارتها ويبقون على غضارتها ، وفاتهم انهم بهذا الصنيع يعملون على إماتتها بإماتة عناصر الحياة فيها ، وابعاد عوامل النماء عنها ، وانهم لا يزالون يضيقون عليها السبل حتى يقول المرجفون والذين في قلوبهم مرض انها أصبحت لغـة مصابة بفقر الدم ، وذبول الخليات ، ومنيت بسائر أعراض الهرم فدارت عاجزة عن ان يتسع صدرها للمعاني الجديدة المتكاثرة والعلوم العصرية المتدفقة بالمصطلحات وبذلك يسجلون عليها عجزها وهي غير عاجزة وفقرها وهي غير فقيرة ، وانما العجز في نفوس الذين يزعمون انهم قائمون على خدمتها ، وهم في وأدها مشتغلون ، والفقر في تفكيرهم ، ولكنهم لا يعلمون .

٣ — القلب :

هو تقـديم بعض حروف الكلمة على بعض ، وبذلك تتولد كلمة جديدة تتفق مع أصلها في مادة الحروف وتختلف عنها في الترتيب مثل : صاعقة ، وصاقعة ، وخطيب مصقع ، ومصقع ، ويئس وأيس ، وعاث في الارض ، وعثا فيها ، وأثول ، والوث ، ونزغ الشيطان بينهم ، ونغز ، وهو يتسكع ويتكسع اذا تحير ، ومرزاب السطح ، ومزرابه ، وكلام وحشي ، وحوشي ، وهم الأوباش والأوشاب ، اي الأخلاط من الناس .

وأمثلة هذا الباب كثيرة ذكر منها الجلال السيوطي في المزهر جملة صالحة ، وقد ألف فيه ابن السكيت كتاباً خاصاً ، وعقـد له ابن دريد في جمهرته باباً على حدته ، وكذلك فعل ابو عبيد في كتاب الغريب المصنف .

وليس في هذا الباب كبير فائدة من حيث الثروة اللغوية الا من ناحية الالفاظ ، اما المعاني فانها لا تتكثر به ، اذ المقلوب والمقلوب عنه يدلان على معنى واحد ، فان جذب ، وجبذ ، يدلان على معنى واحد وان تعددا لفظاً .

ويذهب البصريون من النحويين الى ان معظم ما يسميه اللغويون قلباً ليس به ، وانما هو من باب تعدد اللغات . فجبذ عندهم - مثلاً — لغة قبيلة وجذب لغة قبيلة أخرى . وعلى هذا يكون الكثير مما يظنون ان القلب قـد دخله ليس بذاك . ولا يتحقق القلب عند هؤلاء الا اذا تم لاحدى اللفظتين من التصاريف مالم يتم للأخرى، فعندئذ يعتبرون اللفظة ذات التصريف التام أصلاً وذات التصريف الناقص فرعاً ، مثل يئس وأيس فانهم

لما وجدوا للاولى منهما مصدراً وهو اليأس ، ولم يجدوه للثانيـة ، قالوا ان الاولى أصل والثانية فرع ، وليس هناك فائدة مهمة من وراء هذا الخلاف الا من وجهة واحدة وهي انه : هل كانت القبيلة الواحدة من العرب تستعمل اللفظين معاً ، أو كانت تستعمل لفظاً واحداً منهما . واللفظ الثاني تستعمله قبيلة أخرى ، سيأتي في باب المترادف مايلقي شيئاً من النور على هذه المسألة لان اللفظين في هذا الباب لايخرجان عن كونهما مترادفين ، سواء قلنا بالقلب أو بتعداد اللغات .

٤ — الابدال :

عرفنا ان القلب نقل حرف من موضعه الى موضع آخر من الكلمة نفسها فتتولد من ذلك كلمة جديدة ، وبعبارة أخرى تصير الكلمة الواحدة كلمتين .

اما الابدال فهو ان ترفع حرفاً وتضع غيره موضعه ، فتتولد من ذلك كلمة أخرى تدل على عين ماتدل عليه الاولى من المعنى ، فهو أخو القلب من ناحية أثره في الثروة اللفظية للغة دون المعنوية منها .

وقد اختلفوا فيه كما اختلفوا في القلب فقال فريق المبدل والمبدل منه يقعان في لغة القبيلة الواحدة ، فالقبيلة التي تقول (صراط) مثلاً هي نفسها التي تقول (سراط) ، ويذهب المحققون الى ان العرب لاتتعمد تعويض حرف من حرف ، وانما هي لغات مختلفة لفظاً ، لقبائل مختلفة ، تدل على معاني متفقة ، بان تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى انهما لايختلفان الا في حرف واحد ، وعلى هذا لاتتكلم القبيلة الواحدة بكلمة (صراط) — مثلاً — طوراً بالصاد وطوراً بالسين ، انما يقول هذا قوم وذاك قوم آخرون .

ومن أمثلة هذا الباب ، قولهم : ضربة لازب ، ولازم ، وتلعثم ، وتلعذم ، والقطر ، والقتر ، للناحية . وجمعها أقطار وأقتار . والحثالة ، والحفالة ، الردي من كل شيء . والثوم ، والفوم ، وهو الحنطة . واللثام ، واللفام . وبعثر ، وبحثر ، ومدّ الحرف ، ومطّه . والثرى ، والبرى . . . الخ .

والأمثلة كثيرة تكاد تفوت الحصر ، حتى قال بعض المحققين قلما تجد حرفاً الا وقد جاء فيه البدل ولو نادراً ، يريد به البدل ، السماعي . اما ما يذكره الصرفيون من ان حروف الابدال تسعة (ء ا ت د ط م هـ و ي) فانهم يريدون به الابدال القياسي وهو

مفصل في كتبهم وليس من موضوعنا الإفاضة فيه . وللابدال السماعي دواعٍ كثيرة . منها : سهولة النطق باحد الحرفين المبدل أو المبدل منه . ومنها — وهو أهمها — البيئة فان لها الأثر البين في تنشئة الألسن ولهذا نجد القبائل اليمانية مثلاً تختلف في كثير من الألفاظ عن القبائل الحجازية ، فان هؤلاء ينطقون السين شيناً فيقولون الناس مثلاً ، واولئك يقلبونها تاء فيقولون النات ، وهؤلاء يقولون : لبيك وسعديك — مثلاً — واولئك يقولون : لبيش وسعديش ، بقلب الكاف شيناً ، وهي شنشنتهم .

وسنعرض لهذا البحث في باب اختلاف لغات القبائل ونمحه فضل ايضاح ان شاء الله تعالى .

« للبحث صلة »

رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

— ٦ —

ومن يقصد قصر ابن وردان عن طريق الحمراء يغادر سلمية نحو الشمال فيرى على يساره ضريح الشيخ فرج الذي تقدم ذكره ومرجاً فيح يدعى مرج الخصيبية كان ولا يزال منزل اعراب هذه الديار كما ان بعض الملوك والامراء الذين كانوا يأتون للاستيلاء على سلمية او حماة ينزلون بجيوشهم فيه . منهم سيف الدولة بن حمدان في سنة ٣٤٤ لما جاء موحارب الأعراب الذين ثاروا عليه كما قدمنا والملك المعظم عيسى بن العادل بن ايوب ملك دمشق لما جاء في سنة ٦٢١ لمحاصرة ابن أخته الملك الناصر ملك حماة ، ثم اخوه الملك الكامل ملك مصر لما جاء في سنة ٦٢٦ لمحاصرة الملك الناصر المذكور ايضاً ، ثم تيمورلنك طاغية التتر في سنة ٨٠٣ جاء الى هنا بعد ان خرب حلب وبعث بفرقة من جيشه لتخريب حماة وقلعتها ثم قصد دمشق . ويرى السائر قرية تل اعدا وكانت مقر الامير مهنا بن عيسى الذي تقدم ذكره وفي شرقيها ذيل العجل وفي شماليها تل سنان واهل هذه القرى الثلاث في يومنا شركس . وفي غربي تل اعدا بطيحة صغيرة يحصل فيها ملح ناصع البياض لولا انه قليل المرارة ينشأ من توافد مياه القنى وسيول القرى المجاورة في الشرق والشمال في فصل الشتاء واجتماعها في هذه البطيحة التي في قعرها معدن الملح . ويقدرون كمية ما يمكن ان يجنى منها في السنة بخمسة آلاف قنطار لولا ان الحكومة مانعة ذلك منعاً باتاً وقايةً لملح الجبول . فيقوم بهذا المنع حراس مدة فصل الصيف الى ان تفد السيول المذكورة وتذيبه وتحمله اذا فاضت الى مرج الخصيبية فعين الزرقاء فالأودية الذاهبة الى العاصي . هذا

ويرى السائر على يمينه من الضياع جصين والبويض واللالا والربيعة وعلى يساره الدوسة وخنيفس والشهيب والشهبا والرُحيَّة • وفي شمالي الرحية هضبة عالية فوقها قلعة قديمة خراب تدعى « قلعة الرحية » لعلها من الحصون التي شيدها الرومان على طرف البرية لمنع البادية من العيث • يصل اليها الصاعد من طريق في غربيها فيرى بابها الذي لم يبق منه سوى عضادتيه وعتبته • وفناء هذه القلعة رحب لا يقل عن نصف هكتار كان حوله سور ضخم بقيت منه أسسه وفي وسطه أطلال دارسة وأحجار وأعمدة مبعثرة وكلها من الحجارة السوداء وبئر ذات فوهة واسعة مردومة على ان العمق الظاهر منها الآن لا يقل عن الخمسين متراً •

وبعد خمسة كيلومترات من هذه القلعة يصل السائر الى ثكنة الحمراء الخراب وهي من عهد السلطان عبد الحميد أقام فيها جنوداً يربون المهار المعدة لفرسان الجيش في المرج الافيح الذي في غربي الثكنة ويحفظون هذه البراري والضياع القائمة فيها وكلها كانت من أملاك هذا السلطان الخاصة ، ثم انتقلت بعد خلعه في سنة ١٣٢٧ الى بيت مال الدولة العثمانية وبعد انزالت هذه الدولة عقيب الحرب العامة في سنة ١٣٣٧ انتقلت الى بيت مال دولة الشام • وهذه الاملاك كثيرة ومنتشرة في شرقي حلب وجنوبيها وشرقي الحمراء وسلمية وحمص تعد نحو ثمانمائة قرية وضيعة يقطن ما كان منها في الشمال حول حلب والحمراء أعراب من قبائل وأفخاذ شتى تركوا سكنى المضارب وبنوا القباب وانصرفوا الى الحرث والزرع ويقطن ما كان منها في الجنوب شرقي سلمية وحمص قليل من الاسماعيلية وكثير من النصيرية • وقد كانت هذه القرى والضياع في زمن هذا السلطان عزيزة الجانب ينعم فلاحوها باحسن أمن وأجمل رعاية لانه منع عنها عيث البادية بفضل الثكنات والمخافر التي وضعها على حدود الحاضرة — كثكنة الحمراء وثكنة جب الجراح في سفح جبل الشومرية شرقي حمص ومخافر سعن الشجرة وتل الأغر وعقيربات السويد والفرقلس والمخرّم — واعفى فلاحيه من الجندية والتكاليف الاميرية فعمرت اذذاك هذه القرى والضياع بعد ان ظلت خراباً بضعة قرون • وما ان خلع هذا السلطان حتى زالت تلك الرعاية الا قليلاً ، ولما تقلص ظل الدولة العثمانية من ربوع الشام ونشبت فتن قبيلتي الموالي والحديديين خربت ضياع الحمراء وجلها مما يقطنه فنود هاتين القبيلتين وما ان يصطلحا ويرجع الجفّال الى

مواطنهم ومزارعهم ويعمروها حتى تنشب الفتنة ثانية فتعود للخراب وهكذا دواليك ٠

وفي القسم السالم من تكنة الحمراء أقاموا في يومنا مخفراً فيه بضعة جنود من الدرك يعززونهم بقوة كافية عند اللزوم ، وثمة حوش شبه الحظيرة لرجل حموي يستغل قسماً من مرج الحمراء بالحرث والزرع ويعمل مثله فلاحو قريتي الحمراء ورأس عين الحمراء المجاورتين ٠

وبعد مغادرة تكنة الحمراء يتجه السائر نحو الشمال الشرقي فيرى على يمينه من الضياع اللالا وجناة الصوارنة وأصل أهلها من صوران التي تقدم ذكرها في بحث طريق شيزر وحماة ، والشيحاو وعلى يساره تل محصر ومويلح الصوارنة وابو عجوة فقصر ابن وردان الواقف وسط هذه البراري الشاسعة كأنه رمز العظمة والخلود ٠

لما تسنى لي زيارة هذا القصر وخربة الأندرين في خريف سنة ١٣٤٥ ورجعت الى دمشق أنقب في كتبنا العربية لعلي أجد ذكراً لها لم أعثر الا على بضعة أسطر عن الاندرين قالها ياقوت في معجمه سأنقلها في موضعها ٠ اما قصر ابن وردان فلم يذكره ياقوت ولا غيره فاضطررت اذ ذاك لسؤال المرحوم الأب لويس شيخو فأجابني في مجلة المشرق «عدد نيسان سنة ١٩٢٧» ان اول من وصف قصر بن وردان الاستاذ موردتمان في المجلة الاثرية الكتابية الالمانية المطبوعة في النمسا سنة ١٨٨٤ ثم عاد بعده غيره من السياح كاوستروب وهرتمان وفون اوبنهايم وستريفوفسكي فوصفوه ونشروا صوره ٠ على ان هذا الوصف قد جاء واسعاً مستوفى مع نقوش وتصاوير بديعة في منشورات البعثة الاميركانية في جامعة برنستون بالانكليزية في القسم الثاني المطبوع في ليدن في هولاندة سنة ١٩٣٠ ص ٢٥ — ٤٥ ووصف خربة الأندرين في الكتاب المذكور ص ٤٧ — ٦٣ اهـ ٠ قلت لم أتمكن من الاطلاع على المجلة والمنشورات التي ذكرها الأب شيخو ولعل الخلاصة الموجودة في الدليل الازرق لمونمارشه مأخوذة عنها فجعلتها عمدتي في بيان ما يلي :

يتألف هذا القصر من ثلاثة أبنية لاتماثل قط بقية المباني التاريخية في بلاد الشام ، وتعزى مكانتها على ماقاله الاثريون الى ان بناءها وخاصةً امتزاج الاحجار والواح الآجر يختلف عن الطراز المعروف في فن البناء السوري ويقترب من طراز المباني الملوكية في

القسطنطينية في عهد يوستنيانوس[1] ويرجحون ان بانيها المهندس ايزيدور ، وشبه دوسو هذه الابنية من حيث التركيب ومزج المواد لما في قصر المشتى في شرقي الاردن ٠

والابنية الثلاثة تشمل كنيسة كبيرة ثم قصراً عظيماً وكان كلاهما حينما زرتها سالماً بعض السلامة ، وثمة بناء عسكري واسع خراب بالمرة ولعله كان ثكنة ٠ وأجل هذه الابنية القصر وهو واسع الأركان ذو طابقين عاليين في الاول منهما أروقة طويلة كل منها مؤلف من صفين من الغرف يتصل بعضها ببعض ٠ وقد شيد هذا القصر ومثله بقية المباني بالاحجار الحرّية السود وبالواح من الآجر كبيرة صفراء غاية في الصلابة والجودة ودعمت بملاط قوي ٠ وثمة أحجار جيرية بيضاء واعمدة من الرخام بنيت بها الاقسام الداخلية وعلى أسكفة احد أبواب القصر كتابة يونانية تاريخها ٥٦١ ميلادية وأخرى في موضع ثان تاريخها ٥٦٤ في عهد الامبراطور يوستنيان ٠ وقد تداعى معظم جدران الطابقين والاقسام الداخلية وتقضت الاحجار والاعمدة ولم يبق في الطابقين سالماً الا الواجهة الجنوبية وبعض الابهاء ذات القباب وبعض النوافذ وبقي في الواجهة الغربية قسم من القباب وعضادتان ضخمتان احداهما مزدوجة ٠ فالقصر في الجملة أخنى عليه الذي أخنى على لبد ٠ اما الكنيسة فقد كانت ذات بناء عظيم له ايقونستاس وهو رواق فوقاني ذو ثلاث قناطر يشرف على

(١) دام حكم هذا الامبراطور من سنة ٥٢٧ الى ٥٦٥ م وكان كثير السهر شديد الريبة من حاشيته ، فتح فتوحات عظيمة وأخضع ممالك الشرق والغرب التي كانت على وشك الانفصال عن بلاده وأعاد مجد الرومان ، وكان يقدر العدل والنظام ، أمر بجمع زبدة الشرائع الرومانية السابقة وحشرها في قانون واحد دعاه باسمه ، وكان عمرانياً شيّد كثيراً من الحصون وقناطر الماء والحمامات والمستشفيات والديارات والكنائس والقصور الفخمة ، أجلها وأعظمها كنيسة أياصوفيا في القسطنطينية ، بناها له المهندسان الآسياويان ايزيدور وآنثيوس ، (وفي الشام ينسب اليه قصر ابن وردان ودير سيدة صيدنايا ولعله بنى غيرهما ايضاً) ، الا ان تلك الحروب العظيمة والمباني الجسيمة أثقلت كاهل الشعب الروماني وأضنته ولما مات يوستنيانوس لم يؤسف عليه ، وسع بلاده وعمرها لكنه ابتز ضرعها وغادرها فقيرة بالانفس والاموال ٠ (عن تاريخ العصور الوسطى لماله وايساق الافرنسيين) ٠

داخلها . وكان على الكنيسة قبة عالية ركبت على قناطر تستند على دعائم ضخمة ولا تزال بعض جدران طابقها التحتاني والايقونستاس الفوقاني وقسم من نصف القبة وقنطرتها الكبرى مائلة وصحن الكنيسة متطاول ينتهي بحنية مدورة وثمة صحون تالية تمتد في كل جانب . والثكنة التي خرب معظمها ذات شكل مستطيل وكان لها سوران بينهما غرف ذات قبب ، وفي داخلها فناء رحب في وسطه بناء عال ذو طابقين وقبب عديدة . ولا يمكن الزائر ان يميز في هذه الثكنة الا باب مدخلها الكبير وهو في شماليها وعلى اسكفته كتابة كبيرة والزاوية الشمالية الشرقية للسور الخارجي وبضعة أقسام من البناء المتوسط .

ومن الغريب ان هذا القصر الفخم المبني قبل الاسلام لم يذكره احد من جغرافيي العرب ولا ياقوت الذي ذكر قصوراً عديدة أقل منه شأناً لذا فقد غمض علينا معرفة ابن وردان الذي نسب اليه هذا القصر وفي اي عهد كان ومن رفه فيه وبذخ ثم متى وكيف بدأ خرابه وقد قيل ان معظم ذلك حدث في عهد السلطان عبد الحميد حينما أمر بانشاء ثكنة الحمراء فنقلت الجنود احجاره اليها ثم أجهز الجوار على مابقي حتى أصبح على ما وصفناه وهم ما زالوا على هذا الاجهاز دائبين وياللأسف . ومن الغريب ايضاً ان عمال يوستنيانوس الذين بنوا هذا القصر وتوابعه كيف انتقوا هذه الاماكن النائية عن حماة نحو ٦٠ وعن سلمية ٤٦ كيلومتراً وعنوا بحسن هندستها وزخرفها أكان ذلك لجمال هذه البراري وهي في يومنا أشبه بالفلوات لخلوها من الخضار والأشجار قل ان استتب فيها الأمن في العصور الغابرة ان غلت سنتين او ثلاث بارت سنين وما زال هذا شأنها حتى يومنا الا قليلاً — أم لعمران القرى التي حولها وكلها الآن ضياع حقيرة لاتدل رسومها وآثارها على انها كانت من الكبر بحيث تستحق وجود مثل هذا القصر ومشتملاته ؟ هـذا وعلى مقربة من القصر ضويعة ذات قباب يعمل أصحابها على إخراج قناة قديمة في أراضيها وثمة في الاطراف من الضياع الصغيرة رسم الورد ورسم عيزى وابو خنادق وابو عجوة والشيحاو العطشانة والمنطار وخربتي المصيطبة والثروت .

والسائر من قصر ابن وردان الى الأندرين يجتاز نحو الشمال الشرقي ٢٥ كيلومتراً جلها منبسطات محصاة وتلعات يكثر فيها الشيح والقيصوم والروثة وغيرها من نباتات البادية

ويتخللها أودية فيها زروع ضئيلة قليلة المساحة لبعد هذه الربوع وضعف زراعيهـا وهم من صعاليك العربان الحاضرة ، ويرى السائر في طريقه خرائب ورسوماً لايحوى جلها الا قليلاً من الخيم او القباب منها على اليمين رسم الورد وعلى الشمال رسم عيزى والخطابيـة وا لجنينة والحنية وتفاحة وحوى الى ان يوافي الاندرين . تقع هذه البلدة الخراب وسط برية منبسطة شاسعة يحدها شمالاً جبل الاحص الممتد جنوبي حلب وـفي سفحه الجنوبي الشرقي قرية خناصرة التي كانت مصيف الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز وغربا ممالح وبطائح تمتد الى قرية خرايج الشحم وشرقاً البادية المترامية الأطراف نحو دير الزور وما وراءه وجنوبا السباسب التي تنتهي عند أرياف قصر ابن وردان وسعن وسعين او سعن الشجرة وبغيديد وهذه ورد اسمها في صبح الاعشى للقلقشندي ـفي ذكر طريق جعبر ، وفي معجم ياقوت وقد عدها من قرى حلب .

واليك ماقاله ياقوت عن الأندرين : أندرين اسم قرية في جنوبي حلب بينهما مسيرة يوم للراكب في طرف البرية ليس بعدها عمارة وهي الآن خراب ليس بها الا بقية الجدران واياها عني عمرو بن كلثوم بقوله :

الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

وهذا مما لا شك فيه . وقد سألت عنه اهل المعرفة من اهل حلب فكل وافق عليـه وقد تكلف جماعة اللغويين لما لم يعرفوا حقيقة اسم هذه القرية والجأتهم الحيرة الى انـ شرحوا هذه اللفظة من هـذا البيت بضروب من الشرح ... الخ اهـ . قلت وقد أتيح لي ـفي خريف سنة ١٣٤٥ زيارة هذه البلدة البيزنطية التي ما برحت خراباً يباباً منذ الفتح الاسلامي على مايظن وتجولت بين كنائسها السبع وأطلالها ورسومها التي مابرح بعضها ماثلاً وبعضها هدم وأصبح ركاماً أو طمر تحت الرمال السافيـات . ولما لم أجد في كتبنا العربية بحثاً عن الاندرين سوى ما نقلته آنفاً عن ياقوت وهو لا ينقع غلة من الناحية الاثرية رجعت الى كتب مستشرقي الافرنج فوجدت مونمارشه في دليله الازرق يقول :

الاندرين وكان اسمها قديماً Androna بليدة تمتد أحياؤها ومبانيها في ساحة كبيرة لم يبق منها الآن سوى الانقاض المركومة والاطلال المهدومة وجلهـا من الحجر الحري

وبعضها من الآجر المشوي · وهذه الأنقاض والأطلال تدل على ان الاندرين كانت بليدةً بيزنطيةً مسورة لاتزال خططها ماثلة كما كانت حينما هجرها قطانها في عهد نظنه عهد الفتح العربي · وحينما يقترب السائح من هذه البليدة يرى أبنيةً تشبه الابراج شيدت بالحجارة الحرية السود تظهر منفردةً أو مجتمعة في أحياء مختلفة ، وكانت هذه الأبراج في زوايا جدران المباني العظيمة التي أضحت أنقاضاً مركومة · اما المباني التي لاتزال أنقاضها كثيرة فهي الشكنات وهذه جدران طوابقها السفلى ما برحت قائمة على انهـا مدفونة تحت أنقاض الطوابق العليا ثم كنيسة عظيمة ولعلها الكاتدرائية ثم كنيسة في جنوبي البلدة يحيط بها جدار ثخين ثم خزان ماء جسيم · ولايزال ثمة كميات عظيمة من أنقاض المباني التي شيدت بالآجر المشوي يصعب البحث عنها وهناك كنيستان متجاورتان مخصصتان الى الملائكة العلويين وأخرى قرب الجدار الشرقي وواحدة أصغر في الجنوب الشرقي من الشكنات ومذبحان احدهما مربع الشكل كان له قبة والثاني كان مستطيلاً ، وتجاه الشكنات بناآن لم يشيدا على مخططات منتظمة احدهما تظهر فيه غرفة مدورة واخرى متطاولة منتهاها على شكل نصف دائرة مما يدل على انه كان حماماً · وثمة كثير من الخرائب وأنقاض الدور الخاصة كان معظمها على ما يظهر مبنياً حول فناء رحب ، وفي بعض هذه الأفنية أحواض محفورة · وثمة ايضاً طريقان احدهما من الشمال الى الجنوب والثاني من الشرق الى الغرب كانا يتقاطعان في منتصف هذه البلدة · وسور الاندرين لايزال سالماً في كثير من الاماكن وتظهر منه أبراج مربعة عادية وأبراج مزواة · والسور مبني بأحجار ضخمة مستطيلة الشكل وقد دعموه بعضائد في كل ٣ — ٤ أمتار ·

والشكنات تؤلف في وسط المدينة بناءً مربع الشكل يبلغ طول احدى واجهاته ثمانين متراً تنم هيأته على انه مكان عسكري · ولهذا البناء مدخل واحد في الجهة الغربية وأبراج مزواة سداسية الاضلاع وأخرى مربعة في وسط الجهات الشمالية والغربية · وفي وسط الفناء الواسع في هذه الشكنة شيدت كنيسة ابعادها ٢٠×١٥ متراً · والكاتدرائية وهي كنيسة الاندرين العظمى موجودة في الجهة الجنوبية الغربية من الشكنة قرب المصلبة التي يلتقي فيها الشارعان الكبيران ، وأنقاضها الباقية تجعلنا نضعها في مصاف النماذج المدرسية

للكنائس العظمى ، لها صحن متوسط عظيم منفصل عن الاجنحة الجانبية بثلاث أقواس محمولة على عضادات متطاولة . والحنية ذات خمس نوافذ وقد هدم معظمها ولم يبق منها الا جدار الشامة وجداران آخران مع قسم من الصحن المحني الذي كان بينهما . وأكثر مباني الاندرين سلامة هي الكنيسة الجنوبية كان كلها مبنياً بالحجارة الا سقفها فمن الخشب ، وما خلا ذلك كان حول الكنيسة سور خاص مبني بالحجر مع دعائم وأبراج مما يدل على انها كانت كنيسة محصنة مشيدة وسط البلدة . ومرتسم هذه الكنيسة يشبه الكاتدرائية لولا ان انحناء الحنية لايمكن ان يرى من الخارج وليس فيه سوى ثلاث نوافذ . ولاتزال الحنية قائمةً مع الغرف الجانبية حتى الطابق الاول وكذلك دعائمها ، ولكن نصف القبة قد زال بالكلية ، اما القسم الاعظم من الجدار الشمالي فلايزال سالماً وكذلك قسم من الجنوبي والزوايا الغربية للصحن . والدعائم المتصالبة في المنتهى الغربي لهذه الكنيسة محفوظة لكن الجدار والابراج الغربية خربت بالكلية ، وقد بنوا تجاه الغرفة الجانبية الشمالية بناء لا يزال سالماً يظهر انه كان ضريحاً وخارج الكنيسة مستطيل اما داخلها فعلى شكل الصليب .

وفي جنوبي الاندرين وخارج أسوارها خزان ماء مربع الشكل طول كل ضلع فيه ٦١ متراً مبني باحجار الجير بعضها ذو نقوش ورسوم رومانية ، وعمق الخزان لا يربو على خمسة الامتار ولعله كان يبلغ السبعة ابّان مجده ، والقسم الأعلى من الكورنيش يؤلف ممشى عريضاً يدور حول الخزان كله وفي خارجه صف من الاحجار الضخمة مربعة الشكل جعلت لمنع مياه السيول من النفوذ الى الخزان اه . قلت ويصل الماء الى هذا الخزان من قناة عظمى قسمها القريب من الخزان ستر باحجار منحوتة ضخمة وهي تأتي من الجنوب الشرقي من أراضي رسم يدعى أم أميال الشرقي عمرته من عهد قريب جالية من اسماعيلية القدموس وتتصل هذه القناة بأخرى ترد من ارض رسم آخر يدعى ابو الغر يقع في شمالي سعن وسعين وربما بلغ طول القناة الاولى عشرة كيلومترات وفي شمالي الاندرين الى الغرب خزان ثان لم يذكره مونمارشه تصل اليه الماء من قناة آتية من رسم المقطع الواقع في جنوبي الاندرين للغرب وتتصل هذه ايضاً باخرى ترد من الغرب الى ضيعة تدعى التفاحة

وربما زاد طول القناتين على سبعة الكيلومترات ·

والاندرين تتبع ناحية سميت باسمها من أعمال قضاء معرة النعمان المرتبط بولاية حلب · وقد كان احد الحلبيين أحي قبل الحرب العامة قسماً من ارضها الموات وبنى في شمالي الخربة حوشاً فيه قباب عديدة وشرع بالاستثمار الا ان شدائد تلك الحرب الطاحنة وكثرة مرور غزاة البادية من هذه الربوع النائية اضطرته الى ترك العمل · وفي سنة ١٣٤٦ جاء أناس من نصيرية جبال اللاذقية وشرعوا باستثمار ارض الاندرين وفتح قنواتها وتنظيف دورها الخربة وتكبدوا اتعاباً ونفقات جمة الا ان جشع ورثة ذلك الحلبي وتوالي سني المحل وفقدان المعونة فتّ في عضدهم فعادوا أدراجهم وهكذا ضاع الامل برجوع العمران الى هذه البلدة التي ما برحت منذ اربعة عشر قرناً خاوية على عروشها ولا يعلم الا الله ما اذا كان يرجع اليها في المستقبل ·

ويظهر انه كان في الاندرين كروم واسعة جيدة تنتج خموراً طيبة مشعشعة تحمل الى الاقطار البعيدة ومنها الحجاز فيتغنى بها شعراؤه أمثال عمرو بن كلثوم في معلقته · ولاغرو فارض الاندرين المستوية الرملية الكلسية الصفراء صالحة لانبات الكروم وغيرها اذا توفرت لها مياه الري في مستهل حياتها او جاءها في كل عام مطر يزيد مجموعه على ما يهطل في عهدنا في هذه البراري النائية · فهل كانت هذه الشروط متوفرة حينما دعا العمران ورغد العيش لاشادة تلك الكنائس والثكنات والحمامات والابراج والقصور والدور والخزانات والقنى · · · واين غاضت تلك المياه وكيف قلّ تهطال الامطار ؟ أيكفي استئصال الحراج وتجريد الجبال من نضرتها لحدوث هذا الشح في سماء الشام وتوالي اعوام المحل التي صرنا نشهدها في عهدنا ؟ تلك اسئلة تحتاج الى كثير من التفكير لا يتسع المجال لخوضها ·

ومن الغريب ان يخلط البستاني صاحب دائرة المعارف بين هذه الاندرين التي حقق ياقوت موقعها بجلاء وبين اندرين أخرى خارج حدود الشام الشمالية كانت في عهد الترك مركز قضاء يتبع ولاية حلب وبقيت الآن في حوزتهم وان ينسب بيت عمرو بن كلثوم اليها ·

ومما يجدر ذكره حول الاندرين اسرية — بكسر الالف والسين — وهي تبعد عن

الاندرين الى الشرق نحو ٣٥ كيلو متراً . وهي ايضاً قرية خراب ذكرها ياقوت انها « موضع بين خناصرة وسلية وتسميه العامة سورية » وصوابه ان يقول اسرية وقد أخطأ ايضاً بظنه ان اسم سورية الذي كان يطلقه الروم على بلاد الشام خاص بهذه الخربة . وفي اسرية آبار يرتادها العربان في تشريقهم وتغريبهم واطلال لا يستهان بها وصفها مونمارشه في الدليل الازرق قائلاً : اسرية واسمها القديم (Seriane) تشرف على الطريق الآخذة من الرصافة الى سلية . وليس ادل على مقدرة البشر على عمران بادية الشام من وجود المعبد الروماني الجميل الموجود بين خرائب اسرية . فقد قام هذا المعبد فوق نشز ضمرت تحته الانقاض المركومة لهذه البلدة ، في جداره الشرقي باب عريض عال غاية في الزخرف له افريز ذو زهور وزوافر على طرفي الاسكفة وفوق الباب قوس واسعة وهي مزخرفة ايضاً . وفي كل من اطراف المدخل بناء مربع يشبه البرج ، فالذي على اليمين يحوي درجاً حلزونياً يصل الى سقف المعبد ، والجدران الجانبية القوية في المعبد دعمت في الخارج بعضائد . وطراز هذه المباني وزخارفها تدل على انها بنيت في القرن الثالث للميلاد ايام كانت بعلبك في سؤددها اهـ . وثمة في شمالي اسرية بينها وبين جبل الشُبيث الذي يناوح جبل الاحص عين تدعى عين الزرقاء وبالقرب منها الحمام ، وقد ذكرهما ياقوت قائلاً : الزرقاء بين خناصرة وسورية (وصوابه ان يقول اسرية ولعل ذلك من خطأ النساخ) من اعمال حلب وسلية وهي ركية عظيمة اذا وردها جميع العرب كفتهم وبالقرب منها موضع يقال له الحمام وهي حمة حارة الماء اهـ .

« للبحث صلة » وصفي زكريا

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٩ —

حدثني ابي قال كان اول شيء قلدته القضاء بعسكر مكرم وتستر وجنديسابور والسوس واعمال ذلك من قِبَل القاضي ابي جعفر احمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي وكنت في السنة الثانية (١) والثلاثين من عمري وذلك في شهور احدى عشرة وثلاثمائة لان مولدي في ذي الحجة من سنة ثمان وسبعين ومائتين فلما سلم الي ابي جعفر العهد وصاني بتقوى الله عز وجل وباشياء من امور العمل وسياسة في الدنيا والدين وبامر جاريه ينجزه من العامل هناك لانه كان مسبباً عليه فودعته ونهضت . فقال اجلس فقد أنسيت مهماً فجلست فقال انك شاب وفضلك تام وعملك وافر وانك سترد على قوم فيهم شر وسيحسدونك على فضلك أو يطلبون معايبك اذا حكمت عليهم بالحق فلا يجدوا طريقاً الى الغض منك الا بنسبتك الى الحداثة وقلة حنكتها ولن تعدم منهم ذلك فان صدقت تحققوا ما يريدون والكذب لا يجوز فاياك

(١) الصواب : الثالثة .

ان تخبر بسنك على حقيقتها ولكن اذا سئلت عنها فقل دون الاربعين سنة فلو كانت عشرين أو أقل لكنت صادقاً في فرعك الى الاربعين ستر (١) عليك لانها الاشد(٢) وحد المتكهل والحنكة فان بليت بمن يطول معك فيقول دون الاربعين بكم ؟ فقل لست اذكر وابق(٣) انك ليس تخبر ليقطع الخطاب(٤) ويقع للسائل انك تامن(٥) حقيقة سنك قال فخرجت . واتفق ان شعرة واحدة ابيضت في لحيتي في مسافة الطريق فلما دخلت الأهواز تعملت لاخراجها بالمشط الى حيث يلحقها النظر تجملاً بها واستقبلني محمد بن جعفر ابن معدان الشاهد وكان يخلف ابا جعفر على الوقوف وقد كاتبه باعظامي وتلقيّ فجاءني بمركوب الى الشط وركبته الى دار اتخذت لي وكان يغشاني في كل يوم فلما أردت الخروج الى عملي قال لي قد هالني ما رأيته من فضل القاضي أيده الله فكم سنوه فذكرت وصية ابي(٦) فقلت دون الاربعين سنة فقال دونها بكم فقلت لست اذكر فلم يشك اني ناس لتحققها فأمسك عني وهذا ضد ما نشاهده الآن . فاني قد رأيت ببغداد قاضيين هاشميين خطيبين شاهدين احدهما أجلّ وأنبه واليها (٧) أعمال جليلة واحدهما قد تقلد من جهة الخليفة جلائل الاعمال ووهّل (٨) نفسه لقضاء القضاة وخطب ذلك فما تم له وهما يخضبان لحيتيهما ظاهراً بالسواد واحدهما ترك ذلك قبل موته بسنين وهو

(١) لعله : فزعك الى الاربعين ستراً عليك .

(٢) راجع كتاب الاضداد لمحمد بن بشار الانباري ص١٤٤ (طبع ليدن) .

(٣) لعله سقط : على . (٤) الاصل : الحصاب . (٥) كذا بالاصل : والصواب ناس . (٦) الصواب : ابي جعفر . (٧) لعل الصواب : اليه (٨) يريد : أهّل .

الادون محلاً والآخر باقٍ مقيم على الخضاب الى الآن ونسأل الله ستراً جميلاً فان الخضاب وان كانت فيه روايات فانما يعذر فيه الجند والكتاب ومن لا يتصدى للحكم والشهادة فاما من نصب نفسه فلا عذر له فيه ·

* * *

حدثني ابو القاسم عبد الرحيم بن جعفر الفقيه المعروف بابن السماك السيرافي قال كنت بحضرة ابي بكر احمد بن علي بن شاهويه القاضي بارّجان فتقدم اليه نفسان ادّعى احدهما على الآخر الف درهم فسأله فأنكر فقال للمدعي لك بينة فقال لا ولكن استحلفه لي فقال للمدعى عليه أتحلف؟ قال فقد كان قدمني الى القاضي الذي كان قبلك واستحلفني له على هذه الدراهم فقال للمدعي ماتقول فقال نعم قد كان حلف لي كاذباً فقال انصرف فلا مطالبة لك عليه فانصرفا ثم التفت اليّ والى ابي الوعد الفقيه على مذهبنا وجماعة من الفقهاء كانوا قعوداً يعني مذهب ابي حنيفة (١) والجماعة حنفيون فقال أرأيتم ان ادعى هذا المدعي الألف انه قد حلفني (٢) المدعى عليه واني ماحلفته وأردنا ان نعرض اليمين عليه فذكر انه قد حلف على هذا المعنى ولم يزل ذلك يتردد بينهما في دعوى كل واحد على صاحبه كيف نفصل الحكم بينهما؟ قال ففكرنا جميعاً ساعة ثم جرى خوض لم يتقرر له معنى ولم يتضح لنا وجه الفتوى فقلت له ان رأى القاضي ان يذكر ماعنده فقال: حكى لنا القاضي ابو طاهر الدباس عن

(١) الصواب: على مذهبنا يعني مذهب ابي حنيفة وجماعة من الفقهاء الخ ·
(٢) كذا بالاصل ·

ابي حازم القاضي في هذه المسألة بعينها انه قال : للحاكم ان يستحلف الذي ادعيتُ عليه الالف في الابتداء ان هذا المدعي عليك الالف درهم لم يستحلفك عليها عند حاكم آخر .

* * *

سئل بعض غلمان ابي الحسن الكرخي عن الدليل على تحليل النبيذ التمري المعمول بالداذي الشديد المسكر فقال قد وجدت الله تعالى لما وعدنا بالجنة ووصفها لنا أباح لنا في الدنيا من جنس ما وعدنا به فيها وحلل لنا تأويلها (١) لنعرف بذلك فضل ما وعدنا به في الجنة ودوام ذلك وانقطاع هذا فلما وعدنا بالخمر في الجنة وقد حرمها علينا في الدنيا ولا طريق الى علم (٢) لنحرص على الاعمال التي توجب دخول الجنة وشربها فيها فوجب ان يبيح لنا في الدنيا شيئاً من جنسها كهذا نستدل به على طيبها فكان النبيذ .

وكان قد سئل عن مثل هذا مرة أُخرى فقال : ان الله تعالى خلق المنثور الذي ليس بخيّري (٣) . والله لا يخلق ما لا فائدة فيه وليس فيما عدا الخيري من المنثور فائدة الا ان يشرب عليه النبيذ وكان يخرج هذا القول مخرج الجدل لمن يستضعفه ومخرج النزول (٤) مع أهل العلم . وأصحاب الحديث والحفاظ يقولون انه لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث في تحريم النبيذ ولا في تحليله فذهب ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي في

---

(١) لم أجد لهذه الكلمة معنىً مناسباً . (٢) لعله سقط : فضلها .
(٣) الخيّري هو المنثور الاصفر . (٤) لعله الهزل .

مسألة أملاها في تحليل النبيذ مشهورة الى ان الاصل في الاشياء انها على الإباحة الى ان يثبت حظرها فلما كان العقل لا يدل على تحريم النبيذ ولم ينقطع العذر عن تحريمه (١) وجب ان يكون على الاصل في الإباحة ثم نصر ذلك باشياء أوردها واعترض أدلة المحرّمين له وبيّن فسادها وأورد زيادات على نفسه وانفصل عنها بما يطول شرحه ويخرج عما نحن فيه ان أوردناه ٠

***

حضرت مجلس ابي محمد المهلبي وكانت العامة ببغداد قد هاجت في بعض ايام وزارته وعظمت الفتنة وقبض على جماعة من العيارين وحملة السكاكين وجعلهم في زوارق مطبقة وحملهم الى بيروذ وحبسهم هناك فاستهانوا بالقصة وكثف أمرهم وكثر كلام القصّاص في الجوامع ورؤساء الصوفية فخاف على تجديد الفتنة فقبض على خلق منهم وحبسهم وأحضر ابا السائب القاضي (٢) القضاة اذذاك وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء وكنت فيهم لمناظرتهم وأصحاب الشرط لنأمن مضرتهم اذا قامت الحجج عليهم فاتفق ان بدىء برجل من رؤساء الصوفية يعرف بابي اسحاق بن ثابت ينزل بباب الشام احد الربانين (٣) عند اصحابه فقال له بلغني انك تقول في دعائك « يا واحدي بالتحقيق يا جاري اللصيق» فمن لا يعلم ان الله لا يجوز (ان) يوصف بانه لصيق على الحقيقة (فمن وصفه بذلك) فهو كافر لان الملاصقة من صفات الاجسام

(١) لعله : تحليله ٠ (٢) كذا بالاصل ٠

(٣) الصواب : الربانيين ٠ وليراجع كشف المحجوب للهجويري ٠

ومن جعل الله جسماً كفر فمن يكون محله في العلم هذا يتكلم على الناس وقال لي ما معنى ما بلغني عنك انك تقول في جملة كلامك « أخذتني مني ولم تبقني عليّ فها انا بلا انا » حصلنا على انكم تهذوا(١) وتوهموا الناس على انكم ربانين وتستدعونهم بالجهالات الى الضلالات وتفتنون حضرة السلطان عليه · السياط يا غلام ، فلم يزل يسأل في أمره حتى كفّ عنه وكتب عليه ان لا يتكلم على الناس ولا يحلق حلقة ·

***

كان يجيء بالبصرة الى معلمي معلم يكنى ابا الحسن وكنى نفسه بابي البيان فسمعت معلمي يعاتبه على ذلك ويقول ياهذا غيرت كنيتك وهي مقبولة وكنية امير المؤمنين؟ فقال له يا باجعفر كم رأيتَ في عمرك من كنيته ابو الحسن؟ قال لا أحصي ، قال فهل رأيت ابا البيان غيري (قال لا) ، قال خذ بيدك هذه واحدة من فضائلها ، ومن ذلك اني اشتهر بها ولا أشارَك فيها ، ومن فضائلها يسقط عني التلقيب وان يشتغل الناس بها عما سوى ذلك من عيوبي ·

ورأيته يوماً عند معلمي في مكتبي وقد حضر وقتاً كان المعلم يأخذ علينا(٢) الشعر وكان عادته ان يقيم الصبيان صفاً فيطالبهم بانشاد القصيدة فأقامهم في تلك العشية وقد حضر ابو البيان فقال له يا باجعفر ماهذا القريض؟ قال وكيف؟ قال ان لي عادة في سياسة الصبيان لأرخص لهم فيها · ان سألتني

(١) يظهر ان الوزير كلمهم بلغة العامة ولذلك لم نغير شيئاً من كلامه ·

(٢) لعله سقط : فيه

عنك إياها فقال افعل قال تقدم الى صبيانك يمتثلوا أمري لأريك ذلك فقال لهم ابوجعفر انظروا مايأمركم به ابواليان فافعلوه . فأقبل عليهم يخاطبهم في كلامه فقال: لكم أقول أيها الصبيان . ولمن يجاوركم من الغلمان . الى حدود الأحداث والفتيان . اسمعوا وعوا فمن خالف بعد البرهان . أنزلت به غليظ الامتحان . تراصّوا في صفوفكم . والزقوا أقدامكم وأقيموا ألواحكم . واقبلوا عليّ بالحاظكم . واحضروا فيما تنشدون قلوبكم . وارفعوا أصواتكم . وقولوا قول صبي واحد :

(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

وصاح بالشعر مطرّباً فما ملك الصبيان الضحك وضحك معلمي معهم فقال ياباجعفر التراب والجندل بفيك وعلى رأسك والويل والويح محيطان بك أتطمع ان تعلمهم بهذه الهيبة ؟ حقت بك اللعنة والشيبة . أسبابك أفسدت . أمن قدري بضحكك وضعت ؟ ام ستري عند هؤلاء الانكاد هتكت ؟ اشهد الله لا أكلمك او تعتذر . وأخذ ابوجعفر يداريه ويعتذر اليه حتى رضي لوقته وكان يقول الشعر وينشده اباجعفر دائماً وما حفظت منه شيئاً ولولا انهذه الألفاظ تعاودناها في المكتب ونحن صبيان لم تعلق بحفظي فلما ترعرعت كتبتها في موضع وانسيتها ثم نقلتها منه الى هذا الموضع وبقيت عندي الى الآن .

وسمعت وانا في الكتّاب انه جاء الى معلمي فاسلم اليه ابنه فقال له لمَ نقلته من عند المعلم الاول ؟ قال لانني جزت به يوماً والصبيان يتشاتمون وهو

لايمنعهم باكثر من ان يقول قيدوا الفاظكم خزى الله حرماتكم لاتتشاتمون يابني البظر واذا هو ليس يمنعهم من سوء الادب ويدخل في جملة المشتومين فنقلته .

* * *

حدثني عبد الله بن عمر بن الحارث قال كان ابي يكتب الى (١) الرقى على اصل وقع اليه في ذلك وكان مما يكتبه رقية للمرأة اذا خافت ان تسقط ولدها وتعلق في وسطها فلا تسقط . قال وجربنا عليه ذلك على طول السنين فلم يخطئ . يكتب بسم الله الرحمن الرحيم (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا الآية) (وما قدروا الله حق قدره الآية) (ونفخ في الصور فصعق من في السموات والارض الا من شاء الله الى آخر السورة) (ومثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة الآية) قال وكان يكتب رقية الابق ما رأيتها أخلفت وهي ان تأخذ رقاً فتكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم: (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه — الى ننجي المؤمنين . أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج الى آخر قوله تعالى فما له من نور . فساهم فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت وهو مليم) أدركه بآيات الله يرده رب السماوات والارض فاجعل ما بينهما أضيق على فلان — يعني الابق — من مسك جمل حتى تمكن منه فانه من فضلك وعطائك . ويدفن الرق في عتبة باب . قال وكان يكتب للرعاف في ورقة ويعلقه على جبهة المرعوف . بسم الله الرحمن الرحيم: (وقيل

(١) لعله : آي

يا أرض ابلعي ماءكِ ويا سماء أقلعي) الى قوله تعالى : (للقوم الظالمين . واذا ذكرتَ ربك في القرآن وحدَهُ ولَّوا على أدبارهم نفوراً) وكان يكتب للخُراج على ورقة سلق وتوضع على الخُراج (ما أصابك من حسنة فمن الله الآية) .

« للبحث صلة »

آراء وافكار

اثنا عشر كوكباً

رأيت في المحاضرة التي القاها الاستاذ المغربي باسم (اثنا عشر كوكباً) مواضع للتعليق احببت ذكرها هنا قال :

الكوكب الخامس بوران الحلبية . والصواب كما هو في نسخة مخطوطة عندي من در الحبب لابن الحنبلي — بوران . وقد ذكر لها ابن الحنبلي بعد البيتين اللذين ذكرهما الاستاذ بيتين آخرين وهما :

فقدت اخي وكان اخي وظهري   على الحدثان سماعاً لأمري
فان عجزت عن الندب القوافي   بعثت الدمع نظماً غير نثر

وقال قبل ذلك : ومن شعرها ترثي اخويها العفيف الحسين والمحب عبد الباسط :

يابين بالغت في الاشجان والمحن   وجلت فينا بجد ليس بالحسن
اضرمت نار فؤادي والحشاء معاً   أوليتني في الورى حزناً على حزن
اغلقت باب علوم ثم باب هدى   أخذت مني محب الدين من وطني
قد مات في غربة والشام مسكنه   ياليتني قبل ذا ادرجت في كفن
وقد فقدت عفيف الدين واسني   فليت بعد عفيف الدين لم اكن
قد كان موت محب الدين نائبة   واطول حزني لذاك المنظر الحسن

الى ان قالت :

واطول حزني وواوجدي وواسفي   فيم الاقامة بالشهباء لاسكني

ولعل هذه الأبيات لم يذكرها النجم الغزي في الكواكب السائرة ولذا لم ينقلها الاستاذ المغربي .

وقال بعد ذلك الكوكب السابع فاطمة بنت قزيان . والصواب قريزان كما في التاريخ المتقدم وقوله كانت رئيسة للزاويتين العادلية والدجاجية الصواب الزجاجية بالزاي وهذه كانت مدرسة للشافعية وهي اول مدرسة بنيت في حلب وقد تكلمت عليها في تاريخي (اعلام النبلاء) وسميت بذلك لانها كانت في سوق الزجاجيين .

واتخذت هذه المدرسة خانًا يعرف بخان (ابن مطاف) وشهرته بين الناس بخان الطاف وهو في محلة الجلوم واذا دخلت الى هذا الخان ونظرت الى يمينك بعيد الباب تتراءى لك آثار المدرسة .

ثم قال الكوكب الثاني عشر هو عائشة الباعونية الدمشقية وقد ذكر فيها ان عائشة لما وصلت الى القاهرة مع ابي الثناء محمود انزلها في داره ثم قدمها الى شيخ الادب السيد الشريف العباسي فأعجب بها وبعث اليها بقصيدة من بديع نظمه فاجابته بقصيدة مطلعها وافت تترجم الخ البيت .

وهنا نكتة لطيفة لعل النجم الغزي اغفلها ولذا لم يذكرها الاستاذ المغربي وهي تستفاد من عبارة الحنبلي في در الحبب وهي ان السيدة المشار اليها لما مدحت ابا الثناء بقصيدة مطلعها :

روى البحر اخبار العطا عن نداكم ونشر الصبا عن مستطاب ثناكم

عرضها على شيخ الادباء في زمانه وامام البلغاء في اوانه الحسيب النسيب الزين عبد الرحيم ابن عبد الرحمن العباسي القاهري احد شيوخنا بالاجازة فبعث اليها بقصيدة من بديع نظمه طالبًا ان تجيب في الحال بلسان الارتجال فأنشدت في الحال قاصدة للامتثال قصيدة مطلعها :

وافت تترجم عن حبر هو البحر بديعة زانها مع حسنها الخفر

ثم بعث اليها اخرى ملغزاً فيها فقال :

قل لمن بالقريض بذ الفحولا وانثني عن قصورهم مستطيلا
وارانا عرائس الثغر تجلى بمعان اضحى علاها جليلا
رافلات من زاهيات المعاني في مروط تجر فيها الذيولا
مسفرات عن حسن معنى بديع من سناه تبغي البدور الافولا

وتود الرياض ان لو اعيرت   من افانين وشيها اكليلا
كل طرف اذا تراجع منها   عاد من حسنه حسيراً كليلا
واذا ماظبا اللواحظ غازا   ن ظباها اولت شباها فلولا
مااسم شيء حروفه عاطلات   وهوفي الدهر لايرى تعطيلا
ولع القلب دائماً بثلاث   فيه لم نستطع اليه وصولا
ولباقيه في الخواطر ود   لم تجد للسلو عنه سبيلا
واذا الحذف جال في طرفيه   رادف اسماً يحبوك منه جميلا
واذا ما استقل ثان بتاليه   حباه منه ثواباً جزيلا
واذا ما قلبته دون ترتيـ   ـب ترى سؤدداًوقدراً نبيلا
واذا ما اعتبرته دون قلب   لن يداني مقامه تبجيلا
واذا ما عكست منه اخيراً   لثلاث وجدت دوحاً ظليلا
وهووصف يخص من قد تعالى   عن زوال وان يلاقي مثيلا
واذا ما نقصته واحداً صا   ر لرتع الظليم شوطاً طويلا
مثل مافي العلا تصور فرداً   من غدا بابه لعاف مقيلا
كاتب السر رقية الدهر تار   يخ المعالي من قد سما تفضيلا
ذو السجايا التي تريك المزايا   قد تعالت عن ان تعدعديلا
دام في ظل نعمة وشفاء   لايري الدهر عنها تحويلا

فأجابته بقولها :

ياحبيباً قد حاز مجداً اثيلا   وفخاراً بالمصطفى لن يحولا
واماماً فيما حوى لايجارى   في علوم جرت له التفضيلا
جئتنا بالعجاب نظماً تحلى   من لآلي البديع عقداً جميلا
سافراً عن وجوه معجز لغز   كل فكر اضحى لديه كليلا
قد سمعنا وما سمعنا لمعنى   لغزك الفائق البديع مثيلا
وعلى كل حال فهو محمو   د صفات مكملاً تكميلا
راقنا واسم كاتب السر فيه   زاده رونقاً فاضحى جميلا

سيداً كاملاً وجيهاً نبيهاً عالماً عاملاً عطوفاً وصولا
زاده الله رفعة وحباه من جميل الهبات حظاً جزيلا
وحمى ذاته وابقي بقاه في سرور ونعمة لن تزولا
ما سرت نسمة وفاح اريج وزها الروض بكرة واصيلا

ومدحها في قصيدة الجناب العالي عبد الرحيم العباسي فقال :

لهينك مجد الخ . ثم قال :

فياروضة العلم التي بان فضلها سقاك من الغيض البسيط مديد

هذا هو الصواب في الشطرة الثانية لا كما جاء في المحاضرة وهي فيه (وليس من الفضل السري مديد) وهذا لا معنى له ولا يلتئم مع ماقبله ومابعده فاجابته الباعونية تقول (تساميت مرمى فاللحاق بعيد) الخ الابيات التي اوردها له الاستاذ المغربي وبعدها :

فيا علماً في العلم اصبح مفرداً ومن هو في فن البديع وحيد
وفاني تأهيل لما لست اهله وقد شملتني بالوفاء سعود
تطولت احساناً بعز لو انجلت لحسان لم يبرح لهن يعيد
ولو ابصر المعمار ماقد تأسست عليه لأضحى للثناء يشيد
ولو شهد الوردي بهجة حسنها لشاهد عنها العجز وهو مجيد

هذا آخر ما أورده لها الحنبلي في تاريخه ولم يذكر تاريخ وفاتها وليس في ترجمتها فيه أكثر مما نقله الاستاذ المغربي عن الكواكب السائرة .

حلب : محمد راغب الطباخ

الدرر الكامنة

« في أعيان المائة الثامنة »

كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة هو لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ ١٤٤٨ م وقد أخذ المستشرق الالماني الاستاذ فريتس كرنكو — او سالم الكرنكوي كما يوقع على رسائله لي باللغة العربية — بطبعه في الهند ·

وقد استعان الاستاذ على طبعه باصول اربعة مخطوطة لهذا الكتاب الأصل الاول نسخة قديمة له تشتمل على الجزء الاول بتمامه ومختصر الجزء الثاني(١) وقد كتب الأول في حياة المؤلف وفيه تصحيحات بخطه ·

والأصل الثاني نسخة قديمة محفوظة في خزانة التحفة البريطانية في مجلدين هي الاصل الذي نسخت عنه نسخة دار الكتب المصرية ·

والاصل الثالث نسخة مكتبة ثينا بالنمسة حديثة العهد كثيرة الخطأ ·

والأصل الرابع نسخة في مجلدين في خزانة دار حكومة الهند تحتوي الجلد الاول من النسختين الاولين وهذه ايضاً كثيرة الخطأ والمتتبع لهذه الاوصاف يرى ان هذه الأصول الاربعة فيها بعض النقص سواء بوجود اجزاء مختصرة بينها أو بكثرة اغلاطها ·

وقد كان يجدر بالاستاذ الناشر ان يضيف الى الاصول المخطوطة نسخة المكتبة الظاهرية في دمشق لأن هذه النسخة على الرغم من اهمال نقطها ورداءة خطها هي من الاصول التي يصح الاستناد اليها فقد وصف الاستاذ محمد كرد علي في مجلته المقتبس(٢) تلك النسخة ونقل عنها بعض التراجم وذكر انها بخط ابراهيم البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ ١٤٨٠ م وهو من معاصري المؤلف ومن الثقات الذين يعول عليهم ·

وذكر ذلك ايضاً في كتابه الممتع خطط الشام (٣)

---

(١) في كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون طبع القسطنطينية جزء ١ ص ٤٨٩ ان جلال الدين السيوطي اختصر كتاب الدرر الكامنة فلعل هذا الجزء المختصر له ·

(٢) مجلة المقتبس م ٥ ص ٦٢٦ ·

(٣) خطط الشام ج ٦ ص ٢٠٧ ·

ومما يهم الاطلاع عليه نقله عبارة البقاعي التي اختتم بها نسخته اذ قال :

« قلت وكانت كتابتي فيه للنسخة الاولى في ربيع الآخر سنة ٨٥٥ وعسر عليّ قراءة كثير من النظم الذي في التراجم وغير ذلك ثم نقلته كذلك الى هنا والمرجو من فضل الله تعالى تحرير ذلك ومقابلته جميعه على الاصل المنقول منه ان تيسر أو يحرر ذلك من اصوله ان شاء الله تعالى وكان فراغي من هـذه في ١٧ شوال سنة ٨٥٩ بمنزلي بحارة بهاء الدين في القاهرة اهـ »

ورداءة خط النسخة الدمشقية خدعت بعض العلماء فظنوا انهـا نسخة المؤلف فقد ذكر الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف في مجلة المقتطف [1] ذلك كما ذكره لي الاستاذ سعيد الكرمي .

اما ذيل الدرر الكامنة الذي عرض بذكره المؤلف وقال انه ألحق فيه الى سنة ٨٣٧ ونقل عبارته الاستاذ كرنكو عن نسخة خزانة التحفة البريطانية فسودته التي بخط المؤلف في الخزانة التيمورية التي اضيفت الى دار الكتب المصرية في القاهرة .

ومن هـذا الذيل نسخة في خزانة كتب شيخ الاسلام عارف حكمة في مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام .

وانت ترى ان النسخة الدمشقية من الاصول التي تستحق الاهتمام لانها منسوخة بقلم احد معاصري المؤلف كما ان الذيل الموجود بالقاهرة هو مسودة المؤلف فلعل الناشر المجد العامل يحاول الانتفاع بهذين الاصلين لان الايدي لم تتداول الكتاب المطبوع الى الآن على الرغم من مباشرة طبعه منذ سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م .

عبد الله مخلص

---

(١) المقتطف م ٥٦ ص ٢١٢

مطبوعات حديثة

—(())—

كتاب الاكتفاء

«في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء»

للامام ابي الربيع سليمان بن سالم المشهور بالكلاعي البلنسي المتوفى سنة ٦٣٤ ﻫ
الجزء الاول ص ٤٠٤ . طبع بعناية الشيخ هنري ماسّه بمطبعة جول كربونل بالجزائر

طبعت كلية الادب بجامعة الجزائر بضعة مجلدات عربية قديمة فبعناية العلامة الشيخ محمد ابن ابي شنب نشرت ديوان علقمة بن عبده مع شرح الامام الشنتمري وديوان عروة بن الورد مع شرح ابن السكيت والجمل للزجاجي . وبعناية الشيخ هنري بيريس نشرت في جزءين ديوان كُثيّر عزة مع شرح مختار . وبعناية الاستاذ الشيخ هنري ماسه احيت اليوم هذا الكتاب الجليل وقد اعتمد في الطبع على نسختين في المكتبة الدولية بالجزائر وعارضه على نسختين نفيستين في بعض المكاتب الخصوصية وقدم له مقدمة بالعربية مع ترجمة المؤلف من مختلف المصادر . واعتمد المؤلف الاول في كتابه على الكتب المشهورة مثل سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد ولكنه نقل نقولاً كثيرة عن «مثل كتاب الواقدي وكتاب الزبير بن ابي بكر القاضي وتاريخ ابي بكر بن ابي خيثمة وميز رحمه الله بين الغث والسمين» واستوعب هذا الجزء نسب رسول الله واولية بيت الله الحرام ومن تولى بناءه وعرض لذكر الحبشة ودخولهم اليمن ولحفر عبد المطلب زمزم وبنيان قريش الكعبة مع ذكر ما احدثوه من المناسك وما حفظ عن الاحبار والرهبان والكهان من امر رسول الله ثم فصل في مبعثه وفي إسلام حمزة والهجرة الى الحبشة . وطريقة المؤلف في تأليفه كطريقة ابن سعد وابن هشام .

وهو من اكبر بلغاء الاندلس على ماتجلى في ترجمته ، ومن مطالعة كتابه المفيد جداً في بابه . وقد عني زميلنا الناشر بتصحيحه حتى جاء من اهم المطبوعات التي عُني علماء المشرقيات باحيائها من كتبنا . م ٠ ك

ضحى الاسلام

« تأليف السيد احمد امين الجزء الاول طبع لجنة التأليف والنشر بالقاهرة »
« سنة ١٣٥١ — ١٩٣٣ ص ٤٠٨ »

نشر الاستاذ صاحب هذا التأليف « فجر الاسلام » بالامس واليوم ينشر « ضحى الاسلام » وهو في الحياة الاجتماعية والثقافات المختلفة في العصر العباسي الاول اي الى خلافة الواثق وقدم له الاستاذ الدكتور طه حسين مقدمة أبانت الغرض منه ودلت على حسناته الكثيرة . وقد قارن فيه بين العهد الأموي والعهد العباسي في العلم وبحث في سكان المملكة الاسلامية وعناصرها ومزاياها واهوائها ومختلف آدابها ، وفي ميزات المولدين والتوليد العقلي والتوحيد بين العناصر والصراع بين العرب والموالي وتاريخ العصبيات والنزعات الشعوبية والرقيق وأثره ، وحياة اللهو وحياة الجدّ والترف وتاريخه والزهد واسبابه ، والزندقة والايمان ، والثقافة الفارسية وانتشارها في العرب والثقافة الهندية والثقافة اليونانية الرومانية ، ومادخل في المجتمع العربي من آثارها بواسطة الكتب المترجمة وغيرها وماصار اليه العرب بالثقافة العربية وادبها البدوي والحضري والجاهلي والاسلامي ، ومابقي من الثقافات الدينية اليهودية والنصرانية في المملكة الاسلامية ، وكيف امتزجت الثقافات ومن هم المقدّمون من المؤلفين والكاتبين الذين يعزى اليهم الفضل الاول في هذا التطور .

هذه أمهات ابواب الكتاب . وقد جوّد المؤلف في كل بحث منه ، فكان اماماً في استقرائه واستنتاجه ، واماماً في جميل أسلوبه وحسن مأتاه . وقل جداً في تآليف المعاصرين ما كتب له الايغال مع الاجادة الى هذا المدى البعيد . ذلك ان المؤلف قد خُصّ بالصبر على الاقتباس من مصنفات القدماء والمحدثين ، وعرف بالرفق في أحكامه على الموافق والمخالف ، وقلّ من يضبط نفسه مثله وندر من رزق مثله اعتدال دم عند مواجهة المصاعب

التاريخية والاجتماعية · واذا قلنا ان ضحى الاسلام كفجر الاسلام لاعيب فيهما من حيث الوضع وعموم النفع لانكون الى الغلوّ · لا جرم ان جمهور المتأدبين سيقعون في كتابي الاستاذ احمد امين على أنفع تأليف جمع العلم القديم والأدب الجديد فعدّ من المبرزين بين حملة الاقلام في هذا الموضوع الطريف ·
م · ك

يقظة الاسلام والعرب

Eugène Jung : Le réveil de l'Islam et des Arabes 1933

مؤلف هذا الكتاب مشهور بابحاثه السياسية في الاسلام والمسلمين ، وهذا آخر كتبه تكلم فيه على المؤتمر الاسلامي ومقرراته في القدس وعلى المسلمين في شمالي افريقية وعلى المطامع الاستعمارية وعلى المشاكل التي عرضت للاستعمار وكاد يتأتى اتقاؤها لو جرى المستعمرون على قواعد الانصاف · وللمؤلف صلات حب ووحدة فكر مع رجال الاسلام ولا سيما مع الاستاذين محمود بك سالم والامير شكيب ارسلان وقد استشهد باقوالها ودافع عن منازعهما ومنازع زعماء المسلمين خير دفاع ، ومما قاله ان عدد المسلمين في اوربا يبلغ ثلاثين مليونًا منهم عشرون في روسيا الاوربية (٢٦ مليونًا في روسيا الآسيوية) · ومليونان ونصف مليون في يوغوسلافيا ونصف مليون في بلغاريا و٩٠٠ الف في البانيا و١٠٠ الف في اليونان و٦٠٠ الف في رومانيا و٢٠ الفًا في بولونيا وليتوانيا و٥٠٠ الف في المجر أو هنغاريا ، ومما قاله وهو دليل على إعجابه بالمدنية الاسلامية ان العرب على ما يظهر جد محقوقين ان كانوا كلهم مسلمين الا قليلاً وبهذا السبب نالهم من الاضطهاد الحقيقي ظاهرًا وباطنًا ما نالهم ، على حين كان لهم ماضٍ يحق لهم ان يُعجبوا به : ماضٍ حربي اولاً ثم ماضٍ في العلم العالي والصنائع والرفاهية مما اتخذته اوربا في القرون الوسطى وكانت نصف متوحشة — دعامة لقيام المدنية الحديثة · ولعله يقال ان الاوربيين لا يستطيعون ان يغفروا لاساتذتنا غلطهم فيما لقنوهم من المعارف · وقال ايضًا : ليت شعري هل القوة الاجتماعية في الاسلام هي التي تُقلِقُ اوربا ودولها العظمى ؟ ربما كان ذلك لان تعاليم الاسلام حرة فهي لا تقول بالطبقات والامتيازات ولا تدعو الى الفتح على ما كان من

الكنائس النصرانية وليس في مطاويها شيء من الرياء السيامي الذي تنقاد اليه بعض الحكومات ، وشعار المسلمين الجميل تقريب القلوب والأرواح وهي مرحلة انتقال الى السلام العام وهذا ما يراد ولا شك القضاء عليه وما مصير من يعمل ذلك الا الخيبة اه ·

فنثني على المؤلف بما هو أهله لعلمه وتجاربه وجميل أدبه ولطيف نصحه لنفع الناس وأهل الاسلام وأهل المدنية الحديثة خاصة · م · ك

التربية عند العرب

« تأليف السيد خليل طوطح طبع في المطبعة التجارية بالقدس ص ١٧٥ »

المؤلف من رجال التربية والتعليم في فلسطين قسم كتابه الى فصول تكلم فيها على المدارس عند العرب فبدأ بنشأة القراءة والكتابة في الاسلام وتعليم القرآن والتعليم في العصرين الأموي والعباسي وأنواع المعاهد العلمية والكتاتيب والجوامع ومجالس العلم والأدب وبيوت الحكمة في بغداد والفسطاط · وفاته الكلام على دار العلم ودار الحكمة في طرابلس وقد جددها جلال الملك القاضي ابن عمار (٤٧٢ هـ) فنشرت العلوم والآداب وأصبحت بها طرابلس مباءة علم ودرس وجهز هذه الجامعة بمائة الف مجلد بحيث أصبحت الفيحاء أول بلدة علمية في الشام على ماقاله الاستاذ فان برشم (خطط الشام مجلد٤ ص٣٨) · وتكلم على المدارس الجامعة كالنظامية في بغداد وزعم انها كانت لنشر مذهب السنة فقط ولم يتكلم على المستنصرية ، وأفاض في الكلام على مناهج التعليم والأوقاف والمعلمين وتراتيبهم وأساليب تدريسهم وفلسفة التربية عندهم وكتب التربية وعدد ما عرفه منها وأدمج فيها كتاب الدارس لابن جني ومختصره للنعيمي وكان الأولى ان يعدا في كتب الخطط والبلدان وذكر عيوب التربية وحسناتها عند العرب وأورد قائمة غير تامة من أسماء المدارس في بغداد والقاهرة ودمشق والقدس وغيرها · ويا حبذا لو رجع الى ما نشرناه من أسمائها في الجزء السادس من خطط الشام فانها كانت أكثر تحقيقاً رجعنا في تصحيحها الى العارفين وأخذنا عن أمهات معتبرة فيها شيء كثير مما يدخل في تاريخ التربية العربية · والكتاب مكتوب باسلوب طلي جلي رجع المؤلف في وضعه الى الأمهات العربية وبعض

المصادر الافرنجية . فله الشكر على هذه التحفة الأدبية ونهنئه بتوفيقه الى وضع ما وضع ونرجو له ان يظلّ يتحف العلم بهذه النفثات الطيبة . م٠ ك

منتهى آمال الخطباء

« تأليف الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامي طبع بمصر سنة ١٣٥١ هـ »

هو ديوان خطب كبير ، مؤلف من نيف ومائتي خطبة مشكولة ، مشتمل على أكثر من خمسمائة صفحة ، استهله مؤلفه بمقدمة مفيدة في موضوعه ، ولكنه التزم السجع وراعى الفواصل في جميع خطبه ، فكل واحدة منهن مركبة من ثلاث فقرات متماثلة في الحرف الأخير ، والفقرة الرابعة لها فاصلة أخرى متماثلة في الحرف الأخير ايضاً ؛ على انه سليم من التصلف ، خال من التكرار في غير فائدة ، فهو من نوع السجع البديعي المقبول ، وخطبه جامعة بين القديم والحديث .

ولم يسلم هذا الديوان — على حسنه — من هنات رأينا ان نشير الى بعضها كقوله (ص٦) ليس فقط باللسان ، وكرر هذا الأسلوب ، وصوابه تأخير كلمة (فقط) فيها كلها . وكقوله (ص ١٠٤) : فضل الناس على بعضهم وكرر هذا التعبير ايضاً ، والصواب ان يقول : بعضهم على بعض وكذا الباقي .

ومن المنفرات الشديدة ماذكره في الخطبة (٦٧) من نداء الاولياء في الشدائد قال : « ولا لوم عليك اذا ناديت اي ولي عند حلول كارثة من كوارث الأزمان » وكان يجب على المؤلف ان يعمل بما أورده في ديوانه من حديث « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي » الخ . وقد تناظر الصحابة بعد وفاة النبي (ص) في أمر الخلافة وفي جمع القرآن ، وفي المعارك الدامية كوقعة الجمل وصفين والنهروان والحرة ، وتناظر الشيخان في قتال مانعي الزكاة وفي إرسال جيش أسامة ، ولم يستغيثوا به في هذه الشدائد ، ولا استفتوه في شيء منها ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبداهة ، فيجب رد ما يتجدد من الوقائع والحوادث الى الوحي المنزل ، وما عرف من سنن الصدر الاول للاسلام . محمد بهجة البيطار

هندسة العمارة

« للسيد عبد المنعم عرفة الجزء الاول طبع بالمطبعة العصرية بالقاهرة »

يغلب على الظن ان كتاب هندسة العمارة لمؤلفه الاستاذ عبد المنعم عرفة هو الاول من نوعه في اللغة العربية وقد قسمه الى اربعة أقسام عدد بصورة واضحة أنواع مواد البناء والصفات والمميزات التي يتطلبها الفن المعماري كما عدد الشرائط الواجب اتباعها في استعمال هذه المواد . وقد عين المؤلف في بحث تصميم الدور الحد الأدنى للأبعاد الممكنة للمنافع المنزلية كالمطبخ والحمامات الخ ... وعني ايضاً بوضع بعض مصورات لمنازل متنوعة مؤلفة من دور الى ثلاثة أدوار ومنها (الڤيلات) .

أما مايتعلق بالمواد الأولية فمنها ماهو عام مثل الاسمنت وغيره ومنها ماهو خاص بالقطر المصري مثل أحجار المقالع المصرية وكذلك الشرائط فهي الشرائط العامة المتبعة في بلديات أغلب الحكومات ووزاراتها وهو ما يدعونه (بدفتر الشروط Cahier des charges) اما المقاسات والابعاد فقد وضع لها المؤلف الحد الادنى المتبع في البلاد الاوربية وهذا قليل بالنسبة لبلاد كمصر والشام . اما مصورات تصميم البناء فهي من الطراز الاوربي الحديث في مقطعها الأفقي وفي واجهاتها وهذا الطراز يلاقي الآن في بلادنا رواجاً لابأس به وكان من الأوفق ان يتقدم لنا المؤلف في هذا الكتاب الوحيد في بابه (واجهات) من الطراز الشرقي ممزوجة بشيء من الطراز الحديث ليسعى لاحياء البناء الشرقي القديم وإعادة مجده الغابر .

دمشق : المهندس
مختار دياب

المجلد الثالث عشر الجزء ٥ و ٦

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

أيار وحزيران سنة ١٩٣٥ م
الموافق صفر وربيع الاول سنة ١٣٥٤ هـ

دمشق :
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى السادسة الى كل سنة منها
« ٣٠٠ « السابعة الى الثانية عشرة «
في الخارج ٦٠٠ « الاولى الى السادسة «
« ٣٥٠ « السابعة الى الثانية عشرة «

مطبعة ابن زيدون . دمشق

استئناف العمل

باسم الله نستأنف العمل في هذه المجلة بعدما اضطررنا إلى وقفها أربعة وعشرين شهراً (من أول أيار سنة ١٩٣٣ إلى آخر نيسان سنة ١٩٣٥)، فالأعداد الثمانية التي سنصدرها في هذه السنة (١٩٣٥) تقع متممة لأربعة الاجزاء التي سبق إصدارها في أول سنة ١٩٣٣ م، فباعتبار عنوان المجلد يكون مجلد هذه السنة موسوماً بالثالث عشر على نسق المجلدات التي قبله وباعتبار تاريخ السنين تكون أربعة أجزائه الأولى مؤرخة في سنة ١٩٣٣ م وثمانية أجزائه التالية مؤرخة في سنة ١٩٣٥ م

شرحنا هذا كي لا يَهِمَ القارئ مذ يرى هذا الجزء متصلاً بالذي قبله من حيث وحدة المجلد ونسق عدد الاجزاء وتاريخ الشهور، ومنفصلاً عنه من حيث تاريخ السنين: فتاريخ هذا الجزء ١٩٣٥م بينما تاريخ الجزء الذي قبله ١٩٣٣ م

وبين التاريخين أربعة وعشرون شهراً انقضت في إشفاق على المجمع لاينسى، وشوق إلى مجلته لايحصى، وسعي في حياطته لا ينفد، واهتمام بشأنه من ولاة الامور لا ينكر. بل يحمد ويشكر، حتى تم لهم ما أرادوا من تثبيته، وتعديل في بعض أوضاعه، وتنظيم ميزانية له تكفل (على قلتها) بقاءه،

ودوام الانتفاع به ، ريثما يتسنى لهم توفير المال المخصص له ، وتوسيع دائرة عمله بإضافة آخرين إلى موظفيه العاملين .

وكان مما ارتأته الحكومة أن عهدت اليوم برئاسة المجمع الى كاتب هذه السطور ، وبكتابة سره الى الاستاذ عز الدين علم الدين احد أعضائه المؤسسين ، كما أنها في خلال هذه المدة ألفت لجنة لاستقراء (جرد) ما في (الدار الظاهرية) و (دار المجمع) من الكتب والاسفار ، وتقصي التنقيب فيها خشية أن يكون فقد من مخطوطاتها شيء كما كان أشيع في بعض الصحف ؛ لكن اللجنة لم تجد – والحمد لله – في الكتب المخطوطة نقصاً ، ولا في الأدارة إخلالا ، اللهم الا إهمالاً طفيفاً في بعض نواحي الأعمال التنظيمية ، رأت وزارة المعارف على أثره أن تحدث بعض التغيير والتبديل في موظفي دار الكتب ففعلت .

وهكذا عاد العمل في المجمع ودار الكتب إلى سابق عهده ، ووجهة قصده ، وراجع نفوس محبيهما شيء يقال له الإطمئنان ، « وكأنّ ما قد كان لم يك كان » .

رئيس المجمع العلمي العربي

عبد القادر المغربي

مجمع اللغة العربية الملكي

جرت في خلال تعطيل المجلة أحداث علمية وأدبية ولغوية ذات بال فاتنا تدوينها والتعليق عليها ، ومن أهمها إنشاء مجمع اللغة المصري . وقد لا نعذر اليوم اذا أغفلنا ذكره ولم ندون في المجلة خبره ، وهوأخو مجمعنا العلمي الدمشقي الذي يحق له أن يقول فيه ماقاله موسى في هرون : « هرُونَ أخي ، أشْدُدْ بِهِ أزْرِي ، وأشْرِكْهُ في أمري » .

إنه من يوم أن استقلت البلاد العربية عن حكومة الاتراك وأخذ العرب في ممارسة شؤونهم الادارية والعلمية ، والاضطلاع بسائر مرافق حياتهم القومية والاجتماعية شعروا بالحاجة الى اصطلاحات وأوضاع جديدة يستخرجونها من معاجم لغتهم كي تحل محل الاصطلاحات الاعجمية المنبثة في لغة الدواوين ولغة التعليم والتصنيف وسائر نواحي الحياة العربية . على أنهم ما داموا اليوم عيالا في الفنون الحديثة على اوروبا فانه لا يمكن ان تقام سدود دون تسرب اصطلاحات تلك الفنون وأوضاعها الفنية الى لغتهم . وان قبول هذه الاصطلاحات على علاتها وتركها تسرح وتمرح في جو اللغة العربية يفسدها ويعرضها للفناء ، وهذا لا يتفق مع الاستقلال الذي بذل العرب مجهودهم للحصول عليه ، إذ أن أول حجر في بناء استقلال الامم انما هو استقلال لغاتها .

شعر بهذا رجال الحكومة الفيصلية فأنشأوا في أواخر سنة ١٩١٨م لجنة علمية باسم (الشعبة الاولى للترجمة والتأليف) ثم تحولت هذه الشعبة الى مجمع أطلقت عليه الحكومة اسم (المجمع العلمي العربي) وكان ذلك في ٨ حزيران سنة ١٩١٩م حتى جاءت حكومة الانتداب الافرنسية فأبدت الحكومة الفيصلية في العناية بهذا المجمع وتثبيت الوان خطوطه الابتدائية ، وقد قالت في المادة الاولى من القرار الذي أصدرته سنة ١٩٢٨م ما نصه :

« L'académie Arabe est une société savante ayant pour rôle »
« la conservation et le perfectionnement de la langue arabe , »
« les recherches érudites d'histoire de la Syrie et de la langue »
« arabe. »

وترجمة ذلك :

« ان المجمع العلمي العربي هو جمعية علماء اخذت على عاتقها المحافظة على »
« سلامة اللغة العربية ونشر بحوث واسعة في تاريخ سوريا وفي تاريخ اللغة العربية »

وقد بذل المجمع العلمي في القيام بوظيفته هذه جهد طاقته وظهرت آثار مجهوده او إنتاجه في مجلته ومحاضراته وغير ذلك من أعماله التي استغرقت الى اليوم نحو سبعة عشر عاماً ، وكلما زاد طولا في العمر ازدادت الحكومة حرصاً عليه والامة رغبة في بقائه . ومما هاج هذه الرغبة ان مجامع علمية أخرى كانت تنشأ في البلاد العربية المجاورة على مثال مجمع دمشق من حيث وحدة الغاية في المحافظة على سلامة اللغة ؛ لكنها ما كانت تنهض حتى يلحقها الونى والفتور ، وحتى تقصر بيئاتها عن مواتاتها وإرفادها باسباب القوة والحياة .

على أن الحاجة الى إنشاء مجمع لغوي يحافظ على سلامة اللغة العربية هي والحق يقال فكرة مصرية كانت تختلج في صدور فضلاء مصر وتشرئب على ألسنتهم منذ سنين طويلة ، وقد تلقفناها نحن منهم وسبقناهم الى تكوينها أو تجسيدها . وكنا في هذا السبق مقرين لهم ، مثيرين لثار حميتهم ، فأنشأوا مجمعهم الجديد على هذا الأساس المتين ، وأبرزوه في هذا المثال الانيق .

ولا غرو فان جلالة مليكهم فؤاد الاول حفظه الله أعلم ملوك العرب بخطورة امر المجامع اللغوية ، وعظم فائدتها ، وشدة حاجة الامة العربية اليها . كما أنه رعاه الله أقدرهم على إنشائها وإمدادها بالمال الكافي الذي يمكنها من اتقان عملها وإيتاء أكلها .

ففي ١٣ كانون أول سنة ١٩٣٢ م صدر مرسوم [1] جلالته القاضي بانشاء مجمع لغوي باسم (مجمع اللغة العربية الملكي) وقد جاء في مادته الثانية بيان لاغراضه وهي تلخص : بالمحافظة على سلامة اللغة العربية ، وجعلها وافية بمطالب العلوم العصرية وحاجات الحياة

(١) راجع نص هذا المرسوم في ص ١٢٠ من هذا المجلد

الحاضرة ، ووضع معجم تاريخي للغة العربية ، وبحوث في تاريخ بعض كلماتها ، ودراسات في اللهجات العربية المختلفة .

هذه هي امهات اغراض مجمع مصر وهي أغراض مجمع دمشق التي ذكرت مجملة في المادة الاولى من قرار إنشائه كما ذكرنا آنفاً .

ومما يشد أواصر الاخوة بين مجمع مصر ومجمع دمشق عدا ما ذكر ان نحو نصف اعضائه هم اعضاء في المجمع العلمي الدمشقي :

ففيهم الاساتذة محمد كرد علي (عن سورية) والمعلوف (عن لبنان) والاب انستاس (عن العراق) وحسن حسني عبد الوهاب (عن تونس) والاسكندري ومحمد الخضر (عن مصر) وماسينيون (عن فرنسا) ونللينو (عن ايطاليا) وكاتب هذه السطور (المغربي) ، وكلهم اعضاء في مجمعنا الدمشقي .

والباقون احد عشر استاذاً ودكتوراً : معالي توفيق رفعت وحاييم ناحوم وحسين والي وفارس نمر ومنصور فهمي وابراهيم حمروش وأحمد العوامري وعلي الجارم (هؤلاء عن مصر أيضاً) وجب (عن انكلترا) وفيشر و ليتمان (كلاهما عن المانيا) فالمجموع عشرون عضواً : عشرة مصريون وخمسة شرقيون وخمسة مستشرقون .

تتنافى اللغاتُ والدينُ والعا ... داتُ منهم والزيُّ والاسماءُ
ألفتهم مع التباعد نعماً ... وُلِك حتى كأنهم خلطاءُ

وقد كثر التساؤل عما هي الفائدة من وجود مستشرقين في مجمع عربي امانحن فقد لمستا الفائدة لمساً في ناحيتين من نواحي اعمال المجمع

(الناحية الاولى) تنظيم اعمال المجمع وخاصة الاعمال التمهيدية لوضع المعجم من مثل طريقة تدوين الكلمات وترتيبها واصطناع خزائن وتنظيم جزازات الخ . .

(والناحية الثانية) تحديد معاني الكلمات الفنية حسب تفسيرها في معاجم اللغات الاوربية المختلفة .

فتنظيم الاعمال وتحديد معاني الاوضاع التي نبتت في تربة اوروبا هما فائدتان يقدرهما كل منصف قدرهما . عدا الفوائد المعنوية التي لا تنقص عن تينك الفائدتين .

وللمجمع دورة في كل سنة تكون في الشتاء او الربيع ، ومدة الدورة شهر واحد

تعقد فيه عشرون جلسة على الاقل الا في السنتين الاوليين ، فيجوز ان تقع في كل منهما دورتان. وقد وقعتا بالفعل في السنتين الاوليين من سني المجمع وانعقد في كل من الدورتين خمس وثلاثون جلسة .

وقد ألف المجمع لجانا للنظر في بحوثه واعماله المختلفة وتهيئة المواد اللازمة للمجمع وللمذاكرات الجلسات العامة : من ذلك لجنة الاصول العامة ولجنة المعجم ولجنة المجلة ولجنة وضع الفاظ عربية تسد مسد الالفاظ الاعجمية ولجنة اللهجات وغير ذلك من اللجان .

وقد اصدر المجمع مجلة بل سفراً وقع في نحو ٤٠٠ صفحة ضمنه المراسيم والقرارات المتعلقة بتأسيسه وطائفة كبيرة من اعمال لجانه التمهيدية في وضع الالفاظ والاصطلاحات ومقالات لبعض اعضائه وغيرهم ، وسيصدر سفراً آخر في هذا الحجم او اقل منه يتضمن اعمال الدورة المزدوجة الثانية التي انعقدت في شتاء عام ١٩٣٥ م

ثم ان اعمال المجمع في الدورتين المذكورتين كانت تدور حول ثلاثة مطالب او اقطاب كبرى :

(١) وضع معجم . وقد مهد له في الدورة الاولى (شتاء عام ١٩٣٤) تمهيداً ثم مشى في الدورة الثانية خطوات واسعة في ما كان مهده من قبل : فشرع في تبويب كلمات الفنون وتهيئة جزازات لها واصطناع خزائن خشبية ذات طوبقات او عيون تسهل ترتيب تلك الجزازات كما اشرنا آنفاً الى ان ذلك مما نبه اليه الزملاء المستشرقون .

(٢) وضع الفاظ عربية للاصطلاحات العلمية والفنية وقبول كلمات اعجمية او مولدة اشتهر استعمالها في هذه الاصطلاحات مراعيا في ذلك الاصلين اللذين وضعهما للمعرّب وللمولد ، ولا يخفى ان هذه الاوضاع الجديدة هي المادة التي يتغذى بها المعجم الجديد كما يتغذى بالالفاظ العربية القديمة .

(٣) تقرير اصول عامة تساعد على الوضع والتعريب كما تسهل اللغة العربية وتعلمها والكتابة فيها على ابنائها وغيرهم .

هذه هي الاقطاب او المحاور الكبرى التي دار حولها البحث والجهد في جلسات المجمع في دورتيه السابقتين ، وقد ظهر أثر جهوده هذه في الجزء الاول الذي أصدره من مجلته ، بحيث تلقى فضلاء البلاد العربية هذا الجزء برضى وارتياح لما تضمنه من البحوث

المفيدة ولا سيما بحث الاصول العامة التي قررها المجمع : فاني سمعت ثناء عليها من افواه كثير من الفضلاء وخاصة اساتذة العربية في المدارس عدا ما كتبه النقاد في الصحف من الثناء على تلك الاصول وتمني الاستكثار منها .

اما الالفاظ الجديدة التي وضعها المجمع ونشرها في مجلته وهي زهاء خمسمائة كلمة فقد كان القراء ازاءها فريقين فريق عاذل وآخر عاذر

ويرجع العذل الى ان كثيراً من تلك الكلمات لسنا في حاجة اليه من حيث قبح لفظه او من حيث إمكان الاستغناء عنه بما هو احسن من الكلمات القاموسية او بما هو أليق من الكلمات المستعملة في لغة العلم او لغة التخاطب وامثلة ذلك في كلمات مجلة المجمع كثيرة . اشتهر منها على السنة النقاد العاذلين كلمة (إرزيز) التي اريد استعمالها للتلفون وأصل معنى (الارزيز) الندي الصوت أي الطويله او البعيده فقالوا إنه لا ينبغي قبولها لقبح لفظها او لأن في الكلمات العربية الموضوعة حديثاً ما يقوم مقامها مثل كلمتي المسرة والهاتف و إن في العدول عنهما الى كلمة (إرزيز) تكليف ما لا يطاق وينشدون :

(إنك ان كلفتني مالم اطق ساءك ماسرك مني من خلق)

ومثل (إرزيز) كلمات أخر .

ثم ان هؤلاء العاذلين — لما علموا ان المجمع إنما نشر هذه الالفاظ لغرض اطلاع أهل الفضل عليها او لغرض عرضها على اعضاء المجمع في جلساته المقبلة العامة فينقدونها ويميزون غثها من سمينها وقد فعلوا ذلك في جلسات الدورة الثانية — لما علم العاذلون ذلك خففوا لومهم وعادوا الى الرضى ؛ لكنهم تمنوا لو ان المجمع نشر تلك الكلمات في مجلته تحت عنوان واضح مثل ان يقال : (القسم غير الرسمي وهو يتضمن الكلمات التي يعرضها الاعضاء او غيرهم مقترحين على المجمع النظر فيها واختيار ما هو الأنسب منها)

وهذا ما حمل كتابة سر المجمع على نشر بيان في الصحف اشارت فيه الى الغرض من نشر تلك الكلمات في المجلة وان المجمع سيتدارك مواضع النقد في جزئها الثاني .

وهذا نص ما جاء في البيان المذكور بعد حذف فاتحته وخاتمته :

(درس المجمع في هذا الدور مايقرب من خمسمائة كلمة ، في الشؤون العامة وفي علوم الاحياء والطب ، وفي العلوم الطبيعية والكيميائية ، قدمها اليه اعضاؤه وغيرهم ، مما

عرض اكثره في الجزء الاول من مجلة المجمع ليكون مادة من مواد مدارساته في تلك الدورة . وأقرّ منها ما اتفقت عليه نصوص كتب اللغة والمظان وعدل كثيراً من الالفاظ ، فوضع لها اوضاعا جديدة اكثر موافقة للنصوص اللغوية ، وأتم ملاءمة للذوق والاستعمال .

وان المجمع — وكل اعضائه يقدرون أمانة العلم وما تتطلبه من التنقيب وتقليب الامور على وجوهها في صبر واناة — يرى ان تصدر عنه هذه الكلمات في الجزء الثاني من مجلته ، حتى اذا ابدى ارباب الاختصاص والدراية ملاحظات صائبة بشأنها ، كان في ذلك ما يشجع المجمع على ان يقرر صحة استعمال هذه الكلمات فيما وضعت له .

وجلي ان مسلك المجمع في انتهاج التقصي والتمحيص اولا ، ثم في التريث والاناة لاشتراك اهل الرأي ثانيا ، ثم في افساح الزمن للوصول الى احسن نتيجة بتلقاها ثالثا ، مما يدل على التزام اعضائه ما يقتضيه العلم من الامانة والتعاون والتواضع .

ولقد بحث المجمع في هذه الدورة كذلك بعض اصول لغوية عامة يؤدي بحثها الى تيسير اللغة دون خروج على اصول قواعدها . ومن اهم هذه القرارات ما يأتي :

١ — قرار بتكملة مادة لغوية ثبت اصلها او بعض فروعها في اللغة

٢ — قرار النسبة الى جمع التكسير

٣ — قرار في قياس (مفعلة) لما يكثر الشيء فيه

٤ — قرار لصوغ صيغة (فعّال) للمبالغة من الفعل اللازم والمتعدي

وستنشر هذه القرارات وأمثالها مع شواهدها والاحتجاج لها في الجزء الثاني من مجلة المجمع الذي يظهر ان شاء الله قريباً .

وان لجنة المجلة جريا على مألوفها لترحب بكل ما يرغب العلماء في نشره فيها من البحوث المتصلة باغراض المجمع .

وكذلك شرع المجمع في وضع نظام محكم لتدوين المصطلحات تمهيداً لما يوضع من المعجمات وهو آخذ في السعي الى اقتناء ثمرات الجهود التي نضجت في خدمة اللغة العربية ممن عكفوا على دراستها من العلماء ، وذلك لتكون دار المجمع غنية بالمواد الصالحة لبحث الباحثين وتحقيق المحققين اهـ)

والحاصل ان جمهور القراء مرتاحون الى اعمال المجمع من حيث (وضع المعجم) و (تقرير الاصول العامة) لكنهم ارتابوا قليلا من حيث طريقة اختيار الالفاظ والاوضاع الجديدة وتمنوا ان يكون المجمع اكثر تسامحا وتساهلا في قبول ما اشتهر من الكلمات الشائعة في لغة العلم حتى لو كانت اعجمية .

وان المجمع في بيانه المذكور أزال مخاوفهم ، وقارب أن يلبي مطالبهم ، فهو وهم على وفاق ، وحسن فراق بعد تلاق .

« المغربي »

الـكلمات غير القاموسية

عزوز البهلا (١)

كان الأخ (المغربي) بعث إلي كما بعث الى غيري بأسئلته اللغوية لأجيب عنها فيمن أجاب لكن كتاب الأخ غرق في لجج أوراقي الزاخرة — إذ معدل ما يرد علي في دور السنة هو من ألفين الى ثلاثة آلاف مكتوب — وإن شئت أغوص على تلك الدرة الثمينة لزم لي ساعات طويلة لا أملكها . فبقيت ساكتاً عن الجواب الى أن تكون انتشرت الأسئلة كلها مع أجوبة جهابذة اللغة عليها في مجلة المجمع العلمي العربي ولقد جاء هذا التأخير خيراً لي وخيراً من المجلة إذ صرت لا أدلي بدلوي إلا من بعد أن عرفت ما عند غيري ونخلت الآراء التي تقدمت رأيي .

ولندخل الآن في الموضوع :

« الصنف الأول »

الـكلمات التي وردت في كلام فصحاء العرب ولم تدونها المعاجم وذلك مثل « تبدى » بمعنى « ظهر »

لا يمكنني ابداً أن اقول باهمال هذا الصنف وانا الذي كتب وكرر الكتابة في

---

(١) – المجمع – كان الاستاذ الرئيس (المغربي) استفتى أعضاء المجمع في الكلمات غير القاموسية واصنافها السبعة : أيها الجائز وأيها غير الجائز ، وقد نشرت اجوبتهم في المجلدين الثامن والتاسع ثم لخصت واستخرجت زبدتها في المجلد ١٢ ص ٥٢١ وصفحة ٥٧٧ وكان الامير شكيب أرسلان أحد أعضاء المجمع ممن سئل رأيه في الموضوع فأجاب بهذا المقال متأخراً معتذراً كما يرى القارئ

انه « ليس للغة قاموس محيط بها » واورد شواهد كثيرة من كلام الفصحاء تؤيد مذهبه . نعم ان هذا الفصيح الذي أهملته معاجم اللغة يجب ان يكون موثق الرواية غير محتمل لوجهين ولا لتحريف او تصحيف من قبل النساخ

ولما كان الوثوق من هذه الجهة يختلف كثيراً فلا بأس عندي في جعل هذا الصنف درجات في الوثوق كما يصنع علماء الدين بالاحاديث . فالمحدثون يروون الاحاديث كلها لكنهم يشيرون الى درجة كل حديث فيقولون هذا صحيح وهذا حسن وهذا ضعيف . لا نقدر أن نقول هنا : وهذا متواتر أو مشهور لأن التواتر والشهرة في اللفظة لا يمكن تأليفهما مع عدم ورودها في المعاجم . فمثل هذا الصنف لابد أن يبقى في طبقات الصحيح والحسن والضعيف وإليك المثال :

لفظة « تبدّى » بمعنى « ظهر » جاءت في كلام[1] فصيح وبصورة لا تقبل تأويلاً ولا احتمال تصحيف أو تحريف لأنها جاءت قافية . فهذه تستحق رتبة « صحيح » ومثلها ما رأيته في كلام جاهلي « ربيعي الذي أبغي نوال وصالك » أي نيل وصالك مع أن المعاجم لا تذكر النوال بمعنى نيل .

مررت مرة بلفظة « خابر » في معنى « فارض » في بيت استشهد به أحد العراقيين نقلاً فيما أتذكر عن مستشرق طلياني . وأظن أن الأب الكرملي هو الذي دل على هذا البيت . فبعد التأمل فيه وفي الرواية وسياق البيت لم أجده يستحق رتبة « صحيح » وإنما وجدته يستحق رتبة « حسن » ومن كان متشدداً في اللغة يقدر أن يجعله من باب « الضعيف » .

وهل يجوز وضعه في المعجم العتيد أم لا ؟ أقول : بل يجب إيراده في المعجم العتيد لكن مع الاشارة إلى مصدر الرواية . والكاتب بعد ذلك هو بالخيار . فهو يقدر أن

(١) ومما قرأته أخيراً في تاريخ بغداد لابن الخطيب (جزء ١ ص ٣٠١) بيتين من الشعر قالهما إبراهيم بن العباس يهجو أبا الوليد بن القاضي أحمد بن أبي دؤاد ويمدح أباه ولله دره على هذين البيتين وهما :

عفت مساوٍ تبدّت منك واضحة ... على محاسن أبقاها أبوك لكا
لئن تقدمت أبناء الكرام به ... لقد تقدم آباء اللئام بكا

يأخذ بقول ضعيف كما يأخذ بعض الفقهاء بأقوال مرجوحة لأن الحديث الذي استنبط منه الحكم كان من أصله حديث آحاد أو ضعيفاً فبعضهم ليّنه ولم يطمئن إليه والآخرون وجدوه جديراً بالثقة أو لم يجدوا سبباً يردّه . وهكذا الكاتب أو حافظ اللغة له أن يقول : تردّى بمعنى ظهر على رواية صحيحة لكن لم ترد فيما عثرنا عليه إلا مرة واحدة . خابر بمعنى فاوض جاءت في بيت جاهلي واحد من شاء أن يعمل به فله ذلك على أنه يكون عمل برواية وحيدة ضعيفة .

وإليك مثالاً آخر :

« الدعاية » لم ترد في معاجم اللغة . ولكنها وردت مرتين في صحيح البخاري . ثم ورد في المعاجم « الدعاوة » بمعناها . ومن المعلوم أن الواو قد تقلب ياء لخفتها فقد قالوا « مسنيّة » من سنا المطر الأرض يسنوها وكان الحق أن لا يقال إلا « مسنوّة » وقد قالوا « أحجية » من حجا يحجو كما قالوا « أحجوة » وهذا باب قد سبق لي أني أشرت اليه في الجواب على من انتقد استعمال « الدعاية » فلأجل ورودها في الحديث الشريف مرتين ولموافقتها كثيراً مما ورد في كلام العرب من الألفاظ التي تقال بالياء مقلوبة عن الواو يمكننا أن نجعل « الدعاية » من القسم الصحيح الفصيح ولو لم تأت في المعاجم .

وهنالك ألفاظ رويتها عن سيدنا عمر رضي الله عنه وذلك في فصل سبق لي في هذه المجلة . وهي مما لم يرد في المعاجم لكني اعدها من باب الصحيح الفصيح وان لم تكن من باب المتواتر ولا المشهور . والسبب في صحتها عندي اني بعد التأمل لم أجدها مما يحتمل تحريف النساخ او تصحيفهم واني وجدتها مكررة مرتين أو اكثر وانها موافقة للقياس وان راويها محمد بن سعد رواها في الطبقات الكبرى . ومحمد بن سعد ثقة كبير وعهده متقدم .

❋ الصنف الثاني ❋

الكلمات التي وردت في كلام فصحاء الاسلاميين الذين لا يحتج بأقوالهم مثل «اقص» الخبر بمعنى قصه الوارد في كلام الطبري

فهذه أيضاً اوافق على تدوينها في المعجم لكن مع الاشارة الى أنها لم ترد في كلام الجاهليين وانها مع ذلك معدودة في الصحيح لامرين أحدهما انها صدرت عن رجال ينزلون

ما يقولون بمنزلة ما يروون ٠ والثاني انها موافقة للقياس ٠ وهذا مما يفيد الاستئناس وان لم يكن بذاته حجة في اللغة

ومن هذا النمط قول بديع الزمان «تقلّق» وقول الحافظ ابن الابار القضاعي البلنسي « استركب » بمعنى طلب الركوب ٠ وقد جاءت لفظة (استركب) في كلام لسان الدين ابن الخطيب ٠ وهو في اللغة علم شهير راسخ رسوخ ابن الأبار ٠ ومثله استعمال المتنبي « استأسر » بمعنى « اخذ أسيراً » ومثله استعمال ابن خلدون « المتارك » في مقابلة « المآخذ » ومثله جمع الفيروزابادي النادي على « النوادي » في مقدمة القاموس مع أن جمعها في المعاجم لم يأت الا على « أندية » ومثله استعمال صاحب البردة « احترم » بمعنى رعى الحرمة « او يرجع الجار منه غير محترم » واستعمال الاكثرين لها وهي ليست في المعاجم إلا أني اعترض – كما اعترض الكرملي وأصاب – على جعل « فخيم » الذي قاله صديقنا الشيخ ابراهيم اليازجي و « صدفة » التي قالها استاذنا الشيخ محمد عبده من هذا الباب ٠ فالاستاذان المشار اليهما مع علو كعبهما في اللغة لا يقال انهما من فصحاء الاسلاميين وانا على رأي قسطاكي بك حمصي الذي يرى تحديد أعصر الفصحاء الاسلاميين وذلك حتى لا يدخل الخطأ والسهو في هذا الباب ٠ فالشيخ نصيف اليازجي استعمل لفظة « انعكف » وكان اديباً مشهوراً ولغوياً أفنقول ان « انعكف » مما يجب ان يدون لانه جاء في كلام اليازجي الكبير ؟ وهو ما جاء الا خطأ او سهواً ٠ وقد جاء في كلام احمد فارس الشدياق (كتلألؤ الجام للفرنسيس تلألؤ) وذلك على ظن ان الفعل هو « تلّ » الجواد بلجامة ٠ والحال أن هذا الفعل هو المزيد « أتلّ » وان « تلّ » هو بمعنى صرع ٠ وليس هو المراد هنا ٠ أفنقول يجب استعمال « تل الدابة » بمعنى قادها لانها جاءت في كلام احمد فارس وان مكانه في اللغة اشهر من أن يذكر ؟ لا ٠ فهذه اغلاط سبقت بها اقلام هؤلاء الكتاب سارية اليهم من الكلام العامي فاستعملوا هذه الالفاظ بدون مراجعة في كتب اللغة ٠ وكلنا وقع له مثل هذا ٠ واللغة العامية مرض يسري الى الفصيح سريان الميكروب الى الصحيح وأنا قد استعملت مرة « الرفاه » بمعنى الرفاهية او الرفاهة وذلك من كثرة ما سمعت الناس يقولون (رفاه) ومن كثرة ما قرأتها في الجرائد ٠ واستعملت (الطياشة) بمعنى الطيش لاني كنت قرأتها أيضاً في الجرائد ٠ فجاء الشيخ ابراهيم اليازجي في مناقشة له معي فانتقدني

فيهما . وكان مصيباً في انتقاده . وانا لم أجد جوابا اقوله له الا ان ذلك خطأ (وسبحان الذي اوقعني في الخطأ ولم يستثن الشيخ) واوردت له يومئذ اغلاطا سرت الى قلمه من اصطلاحات غير المحققين . كلا . لا تدخلوا أغلاط العصريين في القسم المذكور . ولا تنسوا هنا « التكتم » اللفظة التي لا تزال تكتبها الجرائد ولم ترد في اللغة وانما جاء « كتم » و « كتّم » المشددة قال المتنبي : مالي اكتم حبا قد برى جسدي واما «التكتم» فهو يعني التظاهر بالكتمان وليس هذا ما يريدون ثم اني أقول ما قال التكدي : أية حاجة الى تدوين هذه الاغلاط في المعجم وعندنا ما يقوم مقام هذه الالفاظ من الفصيح الصحيح . اني افهم ان ندون في المعجم لفظة « تفرج » لاننا لا نستغني عنها ونحن نصححها بالقياس . وافهم ان ندون (تنزه) لاننا بحاجة اليها . ولكنني لا افهم ان نقول (احتار) وعندنا (حار) و (تحير) ولا ضرورة لقولنا (احتار) الا اذا كان المراد تصحيح اسم حاشية ابن عابدين (رد المحتار في شرح الدر المختار) او تصحيح قول الشيخ عبد الغني النابلسي :

حكم حارت البرية فيها وجدير بانها تحتار

فهذه الفاظ سرت الى اقلام هؤلاء الاكابر من الفاظ العامة . وفتح الباب للعامي لا يجوز الا عند الضرورة . ولا ضرورة هنا . « وفخم » يقال مكانه « فخم » و « اصبته صدفة » يقال مكانها « مصادفة » او « اتفاقا » او « عرضا »

« الصنف الثالث »

الكلمات العربية التي اصطلح عليها رجال العلوم والفنون والصناعات ولا يعرفها اهل اللسان كقولهم « ميزانية » و « كيفية » و « كمية » و « هوية » و « ذاتية » و « هيأة المحكمة » و « انعقدت الجلسة » .

اقول: هذه يلزم ان تدخل في المعجم لان اللغة لا تكون لغة امة مثقفة بدونها . ولكنني استحسن هنا ما قاله السيد عيسى المعلوف وهو ان تنظر في كتب العرب صدر الاسلام فالمعنى الذي نجدهم اصطلحوا له على لفظ ولم يرد عن اهل اللسان نقبل ما اصطلحوا عليه له وندفع به الاصطلاح الجديد والا فاننا نقبل هذا الجديد تحت حكم الضرورة لان اللغة هي ايضا

مثل الشريعة يجب ان ينظر فيها الى التيسير على الناس قبل كل شيء

ثم اني استحسن ايضا غربلة هذا الصنف على رأي الكرملي لانه صنف متشعب واسع: فما قاله السلف مثل « كمية » و « كيفية » و « ماهية » و « ذاتية » نقبله وندونه اي ندون « كشاف اصطلاحات الفنون » الجديد وغيره · وما اصطلح عليه أهل هذا العصر ندون منه ما لا غنى لنا عنه ونتجنب مخالفة الاسلوب العربي ما امكن ·

غير أني أزيد على أقوال الاخوان اننا نحن العصريين مقصرون كثيراً في التنقيب في كتب السلف عن هذه الاصطلاحات التي لو نقبنا كما يجب لوجدنا مايغنينا عن كثير من الاصطلاحات الحديثة ·

الصنف الرابع

الكلمات التي ولدها العرب الاسلاميون من مادة عربية الاصل مثل « خابر » من الخبر و « تفرج » من الفرج و « احتار » من الحيرة و « تنزه » من النزهة الخ ··

سبق اني ذكرت في الكلام على الصنف الثالث اني ارد من اصطلاحات المولدين كل ما لا تدعو اليه ضرورة مثل (احتار) و (رفاه) و (فخيم) و (صدفة) واعده من باب العامي الذي يجب نبذه · اما (خابر) فان كان ورد بها بيت جاهلي فيكون لها حينئذ شأن آخر وتدوّن مع الاشارة الى سبب تدوينها · واما (تفرج) و (تنزه) فلا غنى عنهما · ومثلهما (التطور) بمعنى Evolution لا غنى عنها وان لم ترد في المعاجم ولا في كتب السلف · واعود فاشير الى وجوب تنقيبنا في كتب السلف وفي المعاجم ايضاً لا سيما مخصص ابن سيده الذي فيه الفاظ لا تحصى من أسماء وافعال عن معان لا نجد لها نحن الفاظاً فصيحة ونلجأ فيها الى الفاظ عامية واحيانا اجنبية · يجب ان ننخل كتبنا القديمة قبل ان نرضى بالعامي والاجنبي بحجة الحاجة اليه ·

الفصل الخامس

الكلمات المولدة بالتقريب وذلك مثل « فلم » و « اتوموبيل » و « برسوناليته » فهذه اقول فيها : مالا نجد في لغتنا مايسد مسده من لفظ قديم او لفظ نشتقه نحن ونصطلح عليه نقبله بلا مراء ·

ولا افرق هنا بين الازمنة الكريمة وغيرها · فجميع ما تدعو الضرورة الى تعريبه ولا نجد له من لغتنا ما يفيد معناه يجب أن نجعله في المعجم ونلحقه بما عربه السلف وصار عربيا · نعم لا يجوز لنا هذا الا بعد استنفاد الوسع في ايجاد اللفظة التي تعوزنا وذلك اما بالعثور على لفظة عربية قديمة تفيد معناها أو بصوغ لفظة جديدة من لفظ عربي موجود نراعي في صوغه قواعد اللغة

ولا اشارك الزهاوي في قبول كل دخيل وعدم اشتراط شيء في قبوله غير صقله واعادته الى الاوزان العربية · فالاعجمي لا يجوز ان نقبله الا مضطرين · نعم ان اجدادنا قبلوا الفاظاً اعجمية وأدخلوها في اللغة ولم يبحثوا في اللغة عما يفيد معناها وقالوا اسطرلاب واسطقس وغير ذلك ولكن زمانهم كان غير زماننا · كانت اللغة لعهدهم في عنجهيتها فلم يكن ليخشى عليها كما يخشى عليها اليوم وقد طمى عليها سيل العجمة وفشا بين العرب تعلم اللغات الاجنبية

وفي هذا التسامح بقبول الاعجمي مع وجود ما يفيد معناه عندنا لا اشارك الكرملي ايضاً · وما جاء على خلاف القياس فلا يكون مقيساً عليه

انا هنا موافق للسيدين ادور مرقص ورشيد بقدونس الا في قول الثاني انه يجب أن نخترع كلمة مهملة من حروف عربية ولا نقبل الاعجمية · فهذا تجاوز الحد

❋ الصنف السادس ❋

· اساليب او تراكيب ذات معان اعجمية الاصل وقد تسربت الى لغتنا العربية مترجمة عن اللغات الاجنبية ولا عهد للعرب الاقدمين بها كقولهم « ذر الرماد في العيون » و « عاش ستة عشر ربيعاً » و « ساد الامن في البلاد » الخ ٠٠

اني لا اميل الى قبول هذه التراكيب وإني احب ان اسد عليها الباب ولو كانت هي عندي درجات لأن منها ما ينطبق على الذوق العربي ومنها مايقرب ومنها ما هو نافر

وإني لاعجب كيف ان اكثر الاخوان قبلوا هذا الصنف وقالوا : ان لم يكن فيه ما يخالف القواعد النحوية واللغوية فاننا نقبله · افيكفي هذا ؟

واعجب العجب من السيد بقدونس كيف اقفل الباب ووثقه بسلاسل من حديد

من جهة وترك حائط البيت مهدوما من الجهة الاخرى

فاني ارى خطر هذه الجمل عربية الظاهر اعجمية الباطن اشد بكثير من خطر المفردات الاعجمية التي حجر فيها كل ذلك التحجير

وليس هذا من باب المجاز والكناية والتشبيه . بل هذا من باب اساليب العرب وعدمها . والحكم فيه للذوق العربي

قال قائل مرة : (جزئيات الأمور وصغار الوقائع وصبيان الحوادث) فهل في هذا شيء مخالف لقواعد اللغة ؟ أفليس قوله : صبيان الحوادث مجازاً ؟ بلى ولكنه مردود ، لان الذوق يأباه

وان كثيراً من هذه الجمل يأباه الذوق العربي بتاتاً وان بعضها لا يقبله الا بتكلف وان النادر منها مثل « ساد الامن » لا يجد فيه مقالا

فتقييد الدكتور انولا فياض بقوله انه يجب في قبول هذه التراكيب موافقتها للاذواق السليمة يعجبني

وقول الاب الكرملي : « بشرط ان يكون تركيبها عربيا لا خلل فيه » اجيب عليه بان هذا لا يكفي

ولله در النشاشيبي الذي يقول : ولكل لسان اسلوب والتسامح في هذا الشأن هو الهلاك

وموافقة هذه الجمل المترجمة عن الاعجمي لاساليب العرب هي الشرط الاول ولكني أقول ان هناك شرطا آخر هو موافقتها للذوق العربي . و يا ليتنا نستغني عنها بالمرة لانها تفسد اللغة العربية ولا حاجة اليها : غريب وغير اديب . اقول انها ليست من باب قبول المعرب ولا من باب قبول الاصطلاحات الفنية فتلك امور قضت بها الضرورة ثم لا يخشى منها فساد اللغة

واما هذه فانها تذهب بطلاوة الانشاء العربي وتهجنه بعد ان كان خالصا

انا اصبحت لا اقدر ان اسمع « عالم بمعنى الكلمة » و « عسكري بمعنى الكلمة » و « سياسي بمعنى الكلمة » الخ و « اهديت فلانا سلامك وهو بدوره يسلم عليك » وما اشبه ذلك مما اقرأ فيه جملا افرنسية بحروف عربية واما « يحرق البخور امام فلان » فاكاد احترق عند ما اسمعها . واما « ضحى فلانا على مذبح اغراضه » فاري على من يقولها

تضحية كبش فدية عن هذه الجملة

اني اكره هذه الجمل واكره قائليها ولولا قليل لاعلنت : اني لا اريد ان تكون لي علاقة بهم

هؤلاء اعداء اللغة العربية ومفسدو بيانها ومهجنو نسبها

طالما عاشرنا ادباء من الفرنسيس وترجمنا لهم جملا من العربية الى لغتهم ، ذلك باحسن بيان وافصحه بلغتهم وكانو يجاوبون نبراً :

Ce n'est pas français

اي ليس هذا بافرنسي ، كانوا يعترفون بانه ليس في هذه الجمل ادنى شيء يخالف نحو لغتهم او صرفها او بيانها . ولكنه يخالف اسلوبها وذوقها

وكثيرا ما ترجمت جملا من الافرنسية الى الالمانية ولم أخطيء فيها من جهة القواعد وكان الالمان يقولون : نحن لا نقول هذا ومن لا يعرف الافرنسية لا يفهمه

فاتقوا الله ايها الاخوان في لغتكم واثاثكم وصكوا الباب على هذه الخوانس التي لا تزيد لغتنا رونقا بل تفسدها والتي لا تمس اليها ادنى حاجة شكيب ارسلان

(المجمع) : رأينا ان نلحق بهذا المقال النبذة التالية لظهور علاقتها به وهي للاستاذ زكي مبارك :

قرات الكلمة التي نشرها الاديب محمد عطية يوسف يناقش بها الامير شكيب ارسلان اذ اعترض على قول المتنبي :

وان تكن محكمات الشكل تمنعني ظهور جرى فلي فيهن تصهال

وقال : « فانك لا تجد تصهال في كتب اللغة وانما قاسها المتنبي على غيرها »

اما صاحبنا محمد عطية يوسف فقد قال : ان المتنبي لم يقس ولم يبتدع وانما نقل عن صاحب احدى المعلقات وهو الحارث بن حلزة اليشكري الذي يقول

اجمعوا امرهم عشاء فلما اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء

من مناد ومن مجيب ومن تصـ ـهال خيل خلال ذاك رغاء

والمهم في إيراد هذه الملاحظة هو تذكير القراء بخطأ الوقوف عند المعاجم اللغوية ،

فانها اعمال افراد يعسر عليهم الاستقصاء ، ومن العنت ان نرفض كل كلمة لم ينص عليها القاموس

على ان أخطاء المتنبي تصلح نماذج للفصيح ، لان ملكة اللغة عنده مثلا قوية جدا ، فلا يخطيء إلا وفي طبعه مرشد الى الافصاح ، وقد ظل الناس عشرة قرون يخطئونه في هذا البيت :

فان يك بعض الناس سيفاً لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول

وقالوا ان البوق لا يجمع على بوقات ، وانما يجمع على ابواق

ولو تأملوا لعرفوا ان البوقات ليست جمع بوق وانما هي جمع بوقة ، وقد رأيت شاهداً عليه في كتاب تجارب الامم لابن مسكويه

وعلى مدرسي البلاغة ان يرحموا المتنبي فيمحوا قصة البوقات التي تراها في مقدمة البلاغة من كل كتاب .

الاوضاع الجديدة

والاصطلاحات الفنية

بعد ان استأنف المجمع العلمي اعماله وأخذ وضعه الحاضر ، شرع يضاعف اهتمامه بخدمة اللغة العربية وبحوثها اللغوية ، ومن امهات اعماله التي يقوم بها العناية بالاوضاع الجديدة والاصطلاحات الفنية، ثم انه تحقيقاً لغرضه هذا توسل بوزارة المعارف الى الاتصال بدوائر الحكومة على اختلاف انواعها ، وبالمعاهد العلمية والمدارس الاميرية ، كما كتب المجمع العلمي الى المعامل الصناعية والبيوت التجارية وذلك لكيما يوافوه بما يعرض لهم من اشكالات التعابير الفنية ، وهذا نص بلاغ وزارة المعارف العام المنشور برقم ٣٢٢٤/٥١٩ وبتاريخ ١١ رمضان ١٣٥٣ و١٧ كانون الاول ١٩٣٤ :

« ان المجمع العلمي قد أخذ يواصل اعماله ، ويبذل مساعيه في تهذيب اللغة وتنقيتها من الكلمات الاعجمية والدخيلة . ويفكر في الاوضاع والاصطلاحات الجديدة فيطلب الايعاز الى اساتذة الجامعة والمعاهد العلمية ورؤساء ودواوين الانشاء والدوائر الفنية ، ولاسيما دوائر الترجمة ، فان المجمع العلمي مستعد لمشاركتهم في ملافاة ما طرأ على اللغة العربية من ملابسة الدخيل واختيار اوضاع جديدة تحل محل الاصطلاحات القديمة ، وان المجمع متفرغ لهذا العمل فهو ينظر في ذلك بمعونة اعضائه وغيرهم ممن لهم اختصاص في فن من الفنون ؛ واذا كان لاحد الأساتذة أو غيرهم رأي في ترجيح كلمة فالمجمع لا يقصر في التنقيب عنها واعلان صحتها والشكر للفاضل الذي اختارها او وضعها فلا يمضي حين حتى تتكون لدى المجمع مادة وافرة للمعجم الذي ينتظره ابناء الامة .

فنرجو ، والحال ما ذكر ، ابلاغ من يجب ضرورة الاعتناء بهذا الامر ومؤازرة المجمع العلمي في عمله توصلا الى غايته النبيلة التي ينشدها . »

وزير المعارف

حسني البرازي

وعلى اثر نشر هذا البلاغ الوزاري العام اخذت ترد على ادارة المجمع طائفة من قوائم الالفاظ التي يرغب اصحابها الى المجمع ان ينظر فيها ويضع لها المصطلحات الصحيحة ومن تلك القوائم قائمة وردت من ادارة البرق والبريد العامة تطلب بها من المجمع « وضع اسماء عربية لمسميات فنية ما زال موظفو دائرتها يسمونها باسمائها الفرنسية » وارسلت الدائرة المذكورة الى المجمع كاتبها الفني مصحوبا بالادوات الفنية لكي تراها الهيئة العاملة في المجمع بحيث يسهل عليها الوضع والتعريب . فنظرت فيها ووضعت ازاء كل لفظ فرنسي لفظا عربيا وكانت تتعمد ترجمة اللفظ الفرنسي احيانا مراعية في ذلك كله انطباق الاوضاع الفنية الجديدة على استعمال تلك الأدوات كما راعت فيها وضوح الدلالة في نفوس مستعمليها اذ بغير ذلك لا يكتب للمصطلحات والاوضاع بقاء اصلا . وقد وافق كاتب المصلحة الفنية على هذه الاوضاع ، ومما قلناه يوم نشرها في جرائد دمشق ابتغاء أخذ رأي الاخصائيين فيها وفي صحة وضعها ما يلي :

« وها هي تلك الاوضاع وقد رقم ازاءها اصلها الفرنسي ، والمجمع يرجو من الفضلاء الفنيين النظر في اوضاعه هذه ، ونقد ما يمكن نقده منها . ثم بعد ذلك يعرضها على اعضائه في جلسة عامة يعقدها لهذا الغرض ، وبعد استقرار الراي فيها يرسلها الى وزارة المعارف لترى رأيها فيها . »

الاوضاع العربية	الاوضاع الفرنسية
١ — الجهاز الهاتفي	1 - Combiné téléphonique
٢ — المجهار	2 - Microphone
٣ — المقحمة المجهارية	3 - Capsule microphonique
٤ — الوردة الخزفية	4 - Rosace en porcelaine

٥ — القرصة	5 - Rondelle en bois
٦ — المنشبة او المنشبة الكهربائية	6 - Prise électrique
٧ — الناشبة	7 - Fiche de prise électrique
٨ — السداد الكهربائي	8 - Bouchon électrique
٩ — السلاكة	9 - Filière
١٠ — الشريط العازل	10 - Toile isolante
١١ — النسالة	11 - Etoupe
١٢ — التقويم	12 - chargement
١٣ - حجرة المقومات	13 - Cabine de chargement
١٤ — الحاصرة	14 - Serre-fils
١٥ — الناقلة	15 - Translateur
١٦ — العارضة	16 - Traverse
١٧ — القائمة	17 - Potelet
١٨ — القوارة	18 - Alésoir
١٩ — التوتيد ، دق الاوتاد	19 - Piquetage
٢٠ — الدعامة	20 - Appui moisé
٢١ — السناد	21 - Jambe de force
٢٢ — المقطع	22 - Coupe circuit
٢٣ — القابضة (قابضة العارضة)	23 - Bride
٢٤ — النعل	24 - Semelle

وبعدان نشرت هذه القائمة في الجرائد المحلية ارسل احد الادباء من موظفي حكومة حلب الى المجمع برسالة يذكر فيها ملاحظاته الست الاتية فاجبته على استشكالاته بمانصه :

« لم ينشر المجمع العلمي اوضاع البرق والبريد في الصحف العامة الا ليطلع عليها العاملون على احياء لغتهم القومية من علماء العربية وادبائها فينشروا ملاحظاتهم اللغوية، وتكثر المناقشات حولها، اذ بمقدار كثرتها تزداد قربا من العثور على الاسم الخاص

الذي لا ينطبق على المسمى سواه ، ويسهل بذلك على المجامع اللغوية اختيار اللفظ الرشيق ببنائه ، والدقيق بمعناه ، ولهذا يثني المجمع العلمي على الاستاذ الناقد ويرحب بملاحظاته كما يرحب بسائر الملاحظات التي ينتجها البحث العلمي والرغبة الصادقة في احياء لغتنا القومية وهذه هي الملاحظات :

١ — لقد عربتم المسمى بـ :

Toile isolante

بالشريط العازل ، والاحسن استبدال النسيج العازل ، او القميص العازل بها ، لان لفظة الشريط نعتبرها تدل على السلك المعدني وهو مستور بالنسيج العازل ، او بقميصه ، ولفظة السلك تدل على معدن الشريط مجرداً عن قميصه .

الجواب . — ان الملاحظة الاولى وجيهة لو اردنا بالشريط السلك المعدني ، ونحن لم نقصد الا لفافة من النسيج العازل بعرض السنتيمتر يلفها عمال البرق والكهرباء على السلك المعدني لعزله ، ولفظة شريط فعيل بمعنى المفعول اي المشروط وشرط في العربية بمعنى شق ، ومنه مشرط الحجام لمبضعه الذي يشق الجلد به ، وقد اخبرنا كاتب الدائرة الفني ان المصريين يسمونه ايضا بالشريط العازل فوافقناهم توحيدا للاصطلاح

٢ — عربتم كلمة : Filière

بالسلاكة ، وهي وان كانت مشتقة من سلك كاصلها الافرنسي قد لا توافق معنى الاصل تماما اذ أن الاخير يدل على آلة تحوي ثقوبا مختلفة الاقطار تمر منها رؤوس القطع المعدنية الحامية ، وتسحب لتحويلها الى اسلاك معدنية فهي اذن اجدر ان تسمى بالمسحب (بكسر الميم وفتح الحاء) من ان تسمى بالسلاكة التي يجمل بها ان تكون مسمى للآلة التي تجمع عليها الاسلاك بعد سحبها

الجواب . — ان لفظة المسحب او المثقبة كما سماها احد اعضائنا — ينطبق على مسحب معامل الاسلاك المعدنية ، ولا ينطبق على السلاكة المستعملة في دار البرق ، لانه لا يقصد بها امرار الاسلاك المحمية من ثقوبها ، وانما يقصد بها لوحة صغيرة من الفولاذ ذات ثقوب مختلفة الاقطار تضم اسلاكا مختلفة الثخانة ليس الا ، فسميت Filière على التشبيه ، وكذلك تنطبق هذه اللفظة في الفرنسية على مسميات كثيرة منها الثقوب التي تمر منها خيوط الحرير من افواه دود القز ، ولسنا في لغتنا العربية ، ام الاشتقاق ،

مضطرين الى استعمال لفظة واحدة لمسميات عديدة ولذلك آثرنا السلاكة .

٣ — اطلقتم على :

Prise électrique

كلمة المنشبة ، ويظهر ان الناشبة :

Fiche de prise

تنشب فيها ، والافضل تسمية الاولى بالمأخذ الكهربائي (مكان الآخذ) وتسمية الثانية بالآخذة او الآخذ

الجواب . — جاء في اللغة (نشب الشيء في الشيء علق فيه ولم ينفذ ، وهو عين ما تفعله الناشبة (او الآخذة على تعبيركم في المنشب او المأخذ كما تقولون) ، وقد رأينا تسميتها بهذين اللفظين الجديدين اعلق بالاذهان من مادة الاخذ الكثيرة الاستعمال في لغة العامة) ، وتطلق كذلك في دار البرق والبريد على الآخذة للبرقيات Récepteur

على ان كلمة الناشبة تدل بعملها على معنى Fiche الفرنسية فيكون وضعها هذا ادعى الى توحيد الاصطلاحات الفنية بين الاسم ولو بالمعنى

٤ — اذا اعتبرتم كلمة التقويم ترجمة لـ

Chargement

فالاصح ان تسمى :

Cabine de chargement

بحجرة التقويم ، عوضاً عن حجرة المقومات التي تقابل :

Cabine de chargeur

الجواب . — نرى أن حجرة المقوّمات (بفتح الواو) تدل مع ذلك على معنى التقويم وهي أبعد من الالتباس بالتقويم الذي يأتي بمعنى التعديل ايضاً ، وليس هناك في دائرة البريد غرفة باسم Cabine de chargeurs

٥ — ان كلمة :

Serre - fils

تدل على آلة شربط سلكين مع بعضهما وتصل التيار الكهربائي المار بالسلك الثاني وهي تكون على شكل فك في الغالب ويستحسن تسميتها بالفك السلكي بدلا من الحاصرة

الجواب . — ان لفظة (سرفيل) الفرنسية التي يستعملها عمال البرق والكهرباء ليست بشكل فك ، وانما هي أداة خزفية صغيرة ذات فلقتين في كل منهما حزان او مجريان

يحصر فيهما شريطان فيكونان بتعدد الحواصل متوازيين على بعد واحد ، ولهذا اخترنا الحاصرة التي هي بمعنى سرفيل الافرنسية رغبة في التقريب بين المصطلحات ولو بالمعنى وذلك مما يسهل فهمها ويضمن نشرها على أنا نستحسن موافقة احد اعضائنا الاستاذ اللغوي المعروف الشيخ عبد القادر المبارك في تعريب هذه اللفظة المأنوسة (سرفيل) وجمعها سرافيل ، وهي من باب زرفين وزرافين التي عربها الاولون بمعنى حلقة الباب .

٦ — ثم انكم تؤنثون بعض المسميات في حين ان اصلها الافرنسي يكون مذكراً مثل Potelet التي عربتموها بلفظة القائمة بدلا من القائم من دون سبب اذ ان اسماء الآلات لا يشترط فيها التانيث ضرورة فالمفتاح والملقط والمبرد من اسماء الآلات المذكرة

الجواب . ليس هنالك ما يوجب التقيد بالمطابقة تذكيراً وتانيثاً بين الاسماء العربية والفرنجية ، فالشمس في العربية موئثة وفي الفرنسية مذكرة ، والقمر بعكس ذلك ، ثم انا لم نترجم لفظة Potelet التي هى تصغير عمود ، وإنما نظرنا الى وضعية هذه الاداة على العمود البرقي من حيث انتصابها فوضعنا لها لفظة القائمة .

هذا ما عنّ لنا من التعليقات ، ولعل هنالك الفاظا اخرى هي ادق منها تعبيراً نؤمل ان يهتدى بالبحث اليها ، أو لعل أسماء عربية شعبية في البلدان والاقطار العربية كـكلمة (المقر) التي يطلقها اهل دير الزور على (الكونسروه) ، نرجو كل غيور على لغته ان يطلع المجمع العلمي عليها . ثم عقد المجمع جلسة عامة غرض فيها الرئيس هذه الالفاظ على الاعضاء فوافقوا عليها ماخلا بضعة منها : المنشبة والناشبة والشريط العازل وحجرة المقومات والحاصرة والناقلة والقائمة ، فقد ارتأوا الاستعاضة عنها بالالفاظ التالية على سبيل اللف والنشر المرتب وهي : المنشب والناشب والعازل وحجرة التسعير و الحابس والمحولة والشاخصة .

واخيراً بحث الاعضاء في طريقة اتخاذ نشر هذه الأوضاع ، فاقترحوا (*) ضرورة ارسالها الى مجمع مصر الملكي بواسطة وزير معارفنا وذلك في سبيل توحيد المصطلحات الى توحيد الثقافة العربية . كاتب سر المجمع

عز الدين علم الدين

(*) كما ترى ذلك مفصلا في جلسة المجمع المعقودة في ٦ ربيع الاول سنة ١٣٥٤ الموافق ٧ حزيران سنة ١٩٣٥

فرانز بوهل[1] (١٨٥٠ - ١٩٣٢)

FRANTS BUHL

من اعضاء المجمع العلمي العربي

ولد في كبنهاغن في ٦ ايلول ١٨٥٠ ودرس علم اللاهوت اللوثيري والعهد القديم ، ولكي يتمكن من الدروس العبرية درس اللغة الآرامية والعبرية وكان استاذه في العربية (ا· مهرن) (A. Mehren) العالم المتمكن من الفلسفة الاسلامية وعلومها · ودرس بوهل من سنة ١٨٧٦ الى ١٨٧٨ في (ڤينا) (وليبسك) واخذ عن الاستاذ (فيشر) (Feischer) امام مستعربي الغرب في عصره ، فتمكن كل التمكن من القواعد العربية باشراف استاذه المشار اليه

وقد نشر في سنة ١٨٧٨ اطروحته في ابحاث لغوية وتاريخية في القواعد العربية ادمج فيها متن الشافية لابن الحاجب مترجما الى اللغة الدانمركية مع شرح عليها · وتابع بوهل في المانيا دروسه عن العهد القديم ، وكانت ظهرت وقتئذ نظريات حديثة بشأنه فنسبت التوراة الى اربعة مصادر في ازمنة مختلفة من تاريخ بني إسرائيل ، ولذلك لم يكن معظم الشريعة الاسرائيلية اساسا لهذا الدين بل هي نتيجة تطور تاريخ هذا الشعب· وادخل بوهل الى بلاده هذه الفكرة عن الكتاب المقدس مسترشدا بما كتبه بآرائه الخاصة عن تاريخ شعب اسرائيل وقد اعيد طبع ما كتبه بهذا الموضوع مراراً باللغة الدانمركية كما ان له شروحا مستفيضة عن اشعيا والمزامير ورحل في سنة ١٨٨٩

---

(١) تأخر نشرها ونشر غيرها عن مواعيدها بسبب عطلة المجلة

رحلته الوحيدة الى بلاد الشرق فزار مصر وفلسطين وسورية مستطلعا احوال بلاد التوراة وبعد عودته كتب مقالات عن طوبوغرافية[1] القرآن وكتب ايضا كتابا في جغرافية فلسطين القديمة باللغتين الدانمركية والألمانية فاصبح هذا الكتاب دليلا لكل من يرغب في دراسة تاريخ فلسطين القديم ، وله ايضا كتاب عن القدس وصف فيه هذه المدينة كما كانت ايام المسيح · ودرّس بوهل من سنة ١٨٩٠ الى ١٨٩٨ اللغة العبرية في جامعة ليبسك في المانيا وبدأ في سنة ١٨٩٥ بطبع المعجم العبراني الكبير المعروف باسم (جزنيوس) (Gesenius) الذي هو اول ناشر له فجدده بوهل وجعل منه أثراً خالداً في عصره لدرس اللغات السامية ولم يقتصر على ذكر كل مصدر ومعانيه المتعددة في متون مختلفة بل أضاف اليه أبحاثاً مختصرة عن الفاظ هذا المعجم وأورد جميع ما يشابهها من الكلمات في غيرها من اللغات السامية · وساعده في هذا العمل عدد من العلماء وأخص بالذكر منهم (زيمرن Zimmern) فيما يختص بالالفاظ المشتقة من الاشورية · وانفرد بوهل بالمواد الفينيقية والأرامية والعربية وهذا المعجم السامي هو الوحيد الذي يصح أن يقال عنه معجم المشتقات السامية · وكان أكثر ما يوجه اهتمامه إلى دراسة اللغة العربية الفصحى وله المام واسع بالاشعار العربية القديمة ولا أزال اذكر بسرور عظيم الدروس التي تلقيناها عنه في النابغة وامرئ القيس وعنترة وغيرهم فكان يشرح هذه النصوص بعلم واسع من الوجهتين اللغوية والتاريخية

عاد بوهل إلى مدينته كبنهاغن في سنة ١٨٩٩ ودرّس في جامعتها اللغات السامية · واستغرقت اللغة العربية اكثر اوقاته ، وكان يكثر من مطالعة كتبها ويهيئ مواد لعمل معجم عربي · وفي سنة ١٩٠٣ طبع باللغة الدانمركية كتابه (حياة محمد) وصدره بمقدمة عن بلاد العرب القديمة ثم نقل إلى الالمانية بعناية السيد شايدر (Schaeder) وذلك في سنة ١٩٣٠ أي قبل وفاته بسنتين · وقد أضاف اليه بوهل ملحقاً عن تبشير محمد بالاسلام كما ورد في القرآن وطبع في سنة ١٩٢٤ باللغة الدانمركية أهم الآراء والتعاليم

(١) اي وصف وبيان الاماكن المذكورة في القرآن

الواردة في القرآن منسقة بترتيب واحكام . وبحث وناقش في بعض رسائله أحوال العلويين وسياستهم . كما أنه كتب مقالات عديدة في معلمة الاسلام مترجماً فيها مشاهير رجال المسلمين وبلادهم وتاريخهم . ولم يتيسر لبوهل أن يتابع بنفسه دراسة العالم الاسلامي الحديث ولكنه كان يقرأ بشغف كل ما كان يكتبه غيره عن النهضة العلمية التى تشهد بها مجلة المجمع العلمي العربي وكان يهمه خاصة التاريخ القديم وآدابه وله في ذلك تآليف مهمة وما زال يعكف على العمل إلى آخر أيام شيخوخته ثم انحطت قواه منذ سنة وتوفي يوم ٢٤ ايلول ١٩٣٢ وهو في مبدإ السنة الثالثة والثمانين من عمره .

ج بدرسن (ترجمها جعفر الحسني)

مطبوعات حديثة

محاضرات في التربية والتعليم

تأليف السيد واصف البارودي مفتش معارف الجمهورية اللبنانية
طبع في مطبعة الكشاف — بيروت سنة ١٩٣٢ م

خير ما تخرجه المطابع لناشئة البلاد رسائل تصحح السنتهم، وتقوم ملكاتهم منذ نعومة اظفارهم ، فقد سرى اللحن والفساد في جسم العربية من زمن أبي الاسود الدؤلي رحمه الله ولما تعد إليها صحتها ونضرتها على كثرة ما الف وضبط من قواعدها وشواردها منذ اكثر من الف عام الى اليوم . ومسر انحلال الملكات اللسانية فيما نعلم أن المدارس العربية — بله الاجنبية — وكثيراً من المؤلفين والمدرسين والخطباء قد جعلوها لغة كتابة وخطابة رسميتين ، ولكنهم لم يجعلوها لغة المحادثة والحوار في اوقات الدروس والفسح ولم يطالبوا تلاميذهم بالمحافظة عليها خارج مدارسهم ، فكان درس القواعد في الغالب علما بلا عمل ، وشجرة بلا ثمر ؟ أليس مما يغبط عليه الاجانب أن لغاتهم في بلادنا قد ينعت ثمرها ، وآتت اكلها أكثر من لغتنا ؟ فاذا كنا نرجو أن يتربى الناشئ الصغير على التكلم بالفصحى وجب علينا أن نسلك اقرب الطرق الموصلة إلى ذلك، وهذه محاضرات الاستاذ البارودي الثلاث التي القاها في صيف العام الماضي في بيروت وطرابلس وصيدا وزحلة ، واردف كل محاضرة بخلاصة لنتيجة المناقشات التي جرت حولها — ترشد المعلمين والمعلمات الى التماس انجع الوسائل لتربية الصغار على اختيار الفصيح ، والنطق الصحيح .

وقد قدم محاضراته الى مربي روحه الشيخ محمد ابراهيم الحسيني الطرابلسي وجعل أولاها في اللغة والمحادثة ، والثانية في تدريس قواعد اللغة ، والثالثة في كيفية التدريس في مدرسة ذات معلم واحد ، واودعها مباحث فنية نافعة ، ومشى فيها على اصول التربية العلمية المتبعة في مدارس الغرب ، ثم اضاف اليها جداول وزع فيها الساعات الرسمية على الدروس .

وكنا نود لو سلمت لغة الكتاب من هنات يسهل تصحيحها كقوله في ص ١١

كلا — أيها الاخوان — فليست اللغة إذ لا وجه لدخول الفاء هنا وفي ص ٢٨ قوله مستقلة عن بعضها وص ٤٧ قوله : وعلاقتها مع بعضها وص ٤٨ أيضاً : فلا نسألهم عن علاقة كل الجمل مع بعضها ، والصواب بعضها عن بعض ، وبعضها ببعض ، و بعضها مع بعض ، وفي ص ٣١ فما دام وضع اللغة سابق ، صوابه : سابقاً وفي ص ٤٤ ولا يلزم علينا ، صوابه : ولا ينبغي لنا وفي ص ٤٨ بدون أن نشوشهم صوابه : نهوش عليهم وفي ص ٦١ فيحتار ويرتبك صوابه فيحار أو يتحير وفي ص ٦٢ الفئات الثلاثة ، صوابه الثلاث .

يرى الاستاذ المفتش تعريب الكلمات الاجنبية إذ قال ص ٥٤ : واستعمالها بذاتها مع تقريبها مع (صوابه من) الصيغ العربية الذي لا نراه جد ضروري دائماً — منطقي ومعقول وأكثر فائدة ، فنقول تلفون وتلغراف ولونغراف لان هـذه الكلمات وامثالها اصبحت عالمية ، إلى آخر ما قال . ونرى نحن أن ذلك ليس معقولا ولا مقبولا ، إلا اذا سدت في وجوهنا أبواب الوضع والاشتقاق ، وضاقت بنا سبل المجازات والاستعارات على أن هذه الالفاظ لم تجيء على مقاييس اللغة وأوزانها ، وقد وضعوا مكانها الهاتف والبرق والحاكي وعشرات من امثالها وقد قبلت واستعملت كلها في بلاد الضاد ، بل صارت عالمية ايضا ؛ ولا عبرة باصطلاح العامة ، فان الغرض تقريب العامية من الفصحي لا العكس .

محمد بهجة البيطار

تلخيص كتاب المقولات لابن رشد

نشره الاب « بويج » اليسوعي في ١٢٣ صفحة

أسس الدين متقاربة في الاسلام والنصرانية وفلسفة الخلق والخالق واحدة في كليهما . ولما كانت عقول فلاسفة العرب والاسلام من أكبر العقول البشرية التي جالت في موضوعات هذه الفلسفة اخذ الاب بويج اليسوعي المحترم ينشر بعض كتبهم فيها كتهافت الفلاسفة للغزالي وتهافت التهافت لابن رشد . وساقه ذلك الى نشر « تلخيص كتاب المقولات لابن رشد » ايضا وهو في منطق أرسطو .

وقد اجاد الناشر بمراجعة النسخ المختلفة من عربية ومترجمة ومقابلة بعضها ببعض والتعليق عليها واستخراج الاصح منها . وختم الكتاب بفهارس تشرح أهم الالفاظ الفنية الواردة في تضاعيفه مما يغبط عليه .

مصطفى الشهابي

هذا مصغَّر صورة الثَّبت (الشهادة) الذي يعطى الى اعضاء المجمع العلمي العربي

حاجة لنا اليها . وهو جمع الجوهري ، والجوهري من يعنى بتركيب الحجارة الكريمة وبيعها والعناية بتحسينها . وهو الذي يسميه عوام اليوم الجواهرجي والجوهرجي وبالفرنسية Bijoutier .

وذكر البيجاذي بين الحجارة الكريمة (ص ٣٢١) ويُروى هذا الاسم روايات أخر ، وكلها فصيحة لانها ذُكرت في تآليف شتى مضبوطة غاية الضبط منها : البجادي (بلا ياء وبدال مهملة) وهو بالفارسية بيجاد وبيجاده . بهاء في الاخر . وبالتركية بزادي ومن مختلف صور معرباته الفصيحة : البَيجادَق والبيجذق والبجاذة والبزادي كما في التركية ، والترك اخذوه من العرب . وهو البَنَفش ايضاً . ومن انواعه : الماذَبني والبذخشي ، والقرْو يّ ، والارشبادشت ، ويقال أيضاً الاسباذشت (بالياء المثناة التحتية والذال المعجمة) والسرنديبي وهوالذي يؤتى به من سرنديب اي جزيرة سيلان اليوم وبالفرنسية Rubis balais .

وضبط حضرته « الكهربا » المقصورة بمد في الاخر أي « الكهرباء » والعرب لم تعرف هذه اللغة فهي بالألف القائمة لا غير .

وفي حاشية ص ٣٣٢ ورد أن « الماس يوناني معرب وهو الديامنت ، (كذا) فاين هذه من تلك ؟ - والصواب انه من اليونانية Adamas (اي آدَماس) ، فابدلت الدال لاماً . كما قالوا المعكود والمعكول للمحبوس ؛ ومَعدهُ ومَعَلهُ بمعنى اختلسه ، (راجع المزهر طبعة بولاق ١ : ٢٥٥) وتأبد وتأبل ، بمعنى قلّ اربه في النساء (اللغويون) .

وجاء ذكر القنذر في حاشية ص ٣٣٣ : (القندر) بالراء المهملة وهي رواية القزويني وحده . والذي ذكره أصحاب علم الحيوان القندز بزاي في الاخر أو القندس بسين والكلمة من اليونانية Kinados وليست من الفارسية كما زعم الدكتور امين باشا المعلوف في معجمه ص ٣١ والذي ذهب الى انها يونانية هو صاحب البرهان القاطع . فليحفظ .

وذكر حضرة الناشر في حاشية ص٣٣٤ س ٩ : (دويبة يجلب منها الزبد) ونسب هذا الكلام الى الجوهري في صحاحه ولم أجده . والذي وقع نظري عليه في النسخة المطبوعة في مصر والنسخ العديدة الخطية التي بيميني (الرَباح ايضاً بلد يجلب منه الكافور) والذي ذكر الزباد (لا الزبد وهو غلط ظاهر) القزويني في كتابه اذ قال : (الرَباح

بفتح الراء والباء مخففة: دويبة كالسِنّور وهي التي يجلب منها الزباد) وقد نقل هذا الكلام ناشر الصحاح في حاشيته فلتراجع . والزَّباد نقل الى الفرنسية بصورة Civette

وقال حضرته في حاشية ص ٣٣٥ السنجاب ... هو المسمى باللاتينية Scuriolus ولم أجد هذه الكلمة في اللغة المذكورة ، إنما وجدت فيها بهذا المعنى Sciurus اما Scuriolus فباللاتينية المولدة لا الفصيحة وهي المسماة عندهم Bas-latin ولعل كلمة (المولدة) سقطت من العبارة الاصلية .

وقد صحح حضرته تصحيحاً لا غبار عليه قول ناسخ عبارة الجاحظ او ماسخها: « ثم الأحمر المحصّري » بقوله : « المعصّري » ؛ لكنه فسر هذه الكلمة بقوله: « اي المصبوغ بالمصرة وهي العصفر » والذي اعرفه ان المصرة لم ترد بمعنى العصفر، بل الوارد في مايقارب هذا المعنى : : المِصْر (كحِلم وبلاهاء) : الطين الأحمر . وفي التهذيب : ثوب مُمَصَّر مصبوغ بالعِشْرِق وهو نبات أحمر طيب الرائحة تحمله العرائس وانشد : مختلطاً عِشْرِقُهُ وكُرْكُمُهْ) ... اه

ولم نعثر على من صرح بان المصر هو العصفر ولعل الكلمة صحفت والاصل العشرق لما بين الحرفين من بعض المشابهة في الرسم واللفظ .

وفي ص ٣٢٥ استعمل حضرة الناشر كلمة (مكتبة) للخزانة اي ما يقابله بالفرنسية Bibliothèque ونحن لم نجد من الفصحاء من اتخذ هذا الحرف بهذا المعنى ، والصواب ان بوضع هذا الحرف اي المكتبة لمحل تكثر فيه الكتب وتباع بمعنى الافرنجية Librairie .

واشار حضرته في حاشية ص ٣٣٥ الى ان لفظ (أبو قلمون) يوناني معرب وهو في الأصل Abokalamon ولم نجد هذه الكلمة الغريبة في لسان الإغريق . والذي نراه أنه من Poikileimon

وفي حاشية أخرى من تلك الصفحة : (الزِلِيّة — بالكسر — البساط ج زلالي كما في لسان العرب والعباب ... قال ذو الرمة :

كأن جلودهن مموهات على ابشارها ذهب زلال

فكأن المقصود هنا من الزلالي : الصافي اللون . اه. — قلنا ولا صلة للزلية بالزلال

وان كان فيهما بعض المشابهة اللفظية · وقول اللغويين ان الزلية هي البساط · هو غير صحيح من جهة التحقيق · فالزلية (والبغداديون يسمونها اليوم زُوْلِيَة وزان حورية) وهي فصيحة ايضاً على ما ذكرها ياقوت في مادة قُطَيِّفة بساط بخمل او الطنفسة · واما البساط فليس فيه خمل على ما هو شائع عند العراقيين قديماً وحديثاً · والزلية كلة فارسية محضة من زيلُو بمعناها وهي القطيفة عند الفصحاء ·

وجاء في ص ٣٤٠ س ٣ : « والقرماز شجر بالفارسية بنجكشت » · لا نعرف شجراً اسمه القرماز لا بالفارسية ولا بالعربية · وبنجكشت كلة فارسية مصحفة صوابها بَنْجَنْجُشْت اوبنج انكشت وهو المعروف بالعربية بالفَقْد او الفَنْقَد فتكون القرماز تصحيف أحد هذين الحرفين · وقال وهو نبت يستخير بالدفلى وهـذا لا معنى له · والصواب يستجير بالجيم ·

وضبط حضرته الآبنوس في تلك الصفحة بالهمز والصواب بالمد على ماقرره اللغويون الأثبات · ولا يلتفت الى ما جاء في محيط المحيط وولديه اقرب الموارد والبستان واولاد اولادها وشركائها · فكله خطأ في خطأ ·

وذكر حضرته في ص ٣٤١ : « البربون والايرون » والذي نميل اليه ان الاصل البِزْبون وهو معروف ومذكورفي كتب اللغة · والإِرُوَن الذي هو جمع إِرَة وهو القديد ولحم يغلى بخل فيجفف ويحمل في السفر ·

وجاء في ذلك الوجه ذكر (اللورا) فقال حضرة الناشر في الحاشية : « كذا بالاصل · ولم أر لها معنى ولا شك ان الناسخ حرف · فلم يأت باللفظ على اصله · اللهم الا ان يكون اللاذ واللاذة وهي ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والعجم اللاذ ... » الى آخر ما هناك ·— ونحن نظن أن الرواية الصحيحة (اللورا) ·واللورا على ما عرفها المسعودي في مروج الذهب (٨ : ٩١ من طبعة باريس) هي الرباب وهي من خشب ولها خمسة اوتار · وهي بالفرنسية Lyre والكلمة لاتينية الاصل · والصين مشهورة بعمل آلات الطرب الدقيقة الصنع ·

ومن الالفاظ الغريبة التي وردت في كتاب الجاحظ هذا قوله في ٣٤٣ س ١« الفوشنة» فقال حضرة الناشر الفوشنة ، ويسميها ابو بكر بن الفقيه الهمذاني « الفوشنة (كتاب

البلدان ص ٢٥٥) ولم نهتد الى معرفة ماهيتها ». اهـ . — قلنا: وكل من الفُوشنة (اي بضم الفاء) والفوشنة (اي بضم الغين المعجمة) صحيح وهو نوع من الفطر كان يجلب الى العراق حتى الى عهد غير بعيد . وكنت ارى منه في السوق قبل نحو خمسين سنة . وكانت النساء يشتريته ويتخذن منه المربى او المربَّب لِلسُّمْنَة . وهو المسمّى في لسان العلم Boletus edulis وبالفرنسية Bolet comestible واطلقه ايضا بعضهم على المسمى بالفرنسية oronge وبلغة العلماء Amanita caesarea وكل من الفوشنة والفوشنة يرد ايضا بمعنى عشبة تتخذ بدل الاشنان لغسل الثياب وقصرها اذا يبست . اما اذا كانت غضة او طرية فقد تؤكل ، بل يأكلها كثيرون .

وقد ذكر محيط المحيط هذه الكلمة في مادة (غوش) فقال : « الغوشفة : عشبة قلوية تستعمل اشناتا » فكم غلطا في هذه العبارة الصغيرة - واول كل شيء لا رابط بين مادة غوش وغوشفة . — ثانيا ان كلمة غوشفة بالفاء لم ترد في اي لغة من اللغات — ثالثا ان الكلمة منقولة عن فريتغ بعد مادة (غوس) ولم يجعلها في مادة (غوش) — رابعا ان فريتغ ذكرها بصورة غوشنة بنون بعد الشين وهي اللغة الصحيحة فمسخها المعلم البستاني — خامسا : ان فريتغ لم يضبطها لانه رآها في قانون ابن سينا ص ٢٧٩ من طبعة رومة وهي هناك غير مضبوطة — سادسا انه ضبطها بفتح الاول وهي بضمها على ما في جميع كتب اللغة ولا سيما في البرهان القاطع ومعجم ڤلرس . — سابعا قال : تستعمل اشتاتا . والصواب أُشناناً بنونين بدلا من تاءين . — ثامنا — كان يجب عليه ان يذكرها في مادة (غ ش ف) او في (غ و ش ف) اما اقرب الموارد والبستان فلم يذكرا هذه الكلمة والسبب ظاهر وهو ان صاحب محيط المحيط قال بعد ايراد معنى الغوش والغوشة والغوشفة « وليس شيء من ذلك بعربي » فلم يتعرض لها الشرتوني ؛ فجاراه الاستاذ عبد الله فسكتا عنها . والله الهادي الى الصواب .

اما فريتغ فذكر الغوشنة وقال : « القدح (عن قانون ابن سينا ص ٢٧٩) وفطر غُضّ وفي القوام بهيئة قدح وهو دقيق الساق ومغطى اعلاه بغطاء . ذكره سبرنجل في كتابه تاريخ العشب في المجلد ١ ص ٢٧٨ » — عرّبنا كلام فريتغ عن اللاتينية ليظهر للقارىء

ان محيط المحيط اخذ الكلمة عنه ولم يتقن المعنى المذكور فيه ، فاكتفى بما ذكر . ولا نعلم مأخذ معناه وشرحه :

وفي ص (٣٤٤ س ١) ضبطت التدرج بتشديد الراء ، ولم نجد هذا الضبط في كتاب . والصواب وزان تنصر — وفي تلك الصفحة وذلك السطر وردت كلمة « اليرمق » ونظن انها في هذا الموطن تصحيف اليلمق باللام وهو ضرب من الفراء ونظن ان « الترمق » بالنون في غير محلها .

وذكر في الحاشية هذا الكلام وهو : « ويجرجان الثلج والنخيل » ونحن نظن ان في قوله « الثلج » خطأ والصواب « البلح » يعني الثمر ، والا فالنخيل يموت في البلاد التي يكثر فيها سقوط الثلج . فالموصل ، وهي من ديار العراق ، لا يزكو فيها النخل لوقوع الثلج فيها مع ان صيفها كصيف بغداد . وفي عاصمتنا هذه يزكو النخل لقلة سقوط الثلج فيها .

وذكر حضرة الناشر ان الفرنسية Macramé من العربية مِقرَمة وعندنا ان لا صلة بين الحرفين سوى المشابهة والمجانسة في اللفظ . والذي نراه ان الفرنسية من العربية «مخرمة» وهي بمعناها .

وجاء في ص ٣٤٥ س ١ : « اليرمق والاسلحة » . ونحن نظن هنا ان الكلمة مصحفة عن « اليرق » (كسبب وبلاميم) وهو نوع من الاسلحة . والكلمة تركية الاصل وردت في كثير من كتبة العصر العباسي .

وورد في حاشية ص٣٤٦ ماهذا نصه : « بزر قطونا ... وهو الاسفيون بالفارسية » ولم نجد هذه الكلمة في هذه اللغة . والذي ذكروه : أسبيوش ، وإسفيوش ، وإسبغول وسابوس بسيبوس وبذكو . ولم نجد غيرها ، والذي في المعتمد لابن رسولا الاسفيوس بسين في الاخر وهو غير وارد في دواوين الفرس اللغوية .

وورد في اسفل الصفحة : (ديباج نسر) وهو غلط طبع ظاهر والصواب : (ديباج تستر) بتاءين .

وذكرت « الصناجات والرقاصات » في جبين ص ٣٤٧ فعلق عليها حضرة الناشر بما نصه : (اما لفظ الصناجات) الواردة بالاصل فاظنها تحريفا من الناسخ ولا اخالها الا

(النصاحات) وهي الجلود .. وكذا قوله (الرقاصات) فهي عندي (الطراحات) جمع طراحة وهي مقاعد صغيرة مربعة تطرح في البيوت) . اما روايتنا فليس كذلك ونظن ان النص الاهلي واضح لا غبار عليه . ويوافق المنقول عن آداب ابناء ايران فالصناجة : الدقاقة بالصنج او للصنوج . ومن في الدنيا يحسن القرع على الصنوج مثل الايرانيات ؟ — وكذا القول في الرقاصات ، فان الفارسيات كن يحسن — ولا يزلن يتقن — الرقص على ابدع نوع ، واحكم فن . وحسبك ان ترى بعض الكتب المصورة في ديار فارس لتشاهد ذوات الغنج يسكرن الجلوس الشهود بالضرب على الصنوج والزفن المتنوع . هذا ولا يزال الراقصون والراقصات والصناجون والصناجات مشهورين في العراق وهم يأتون من مختلف ديار ايران .

اما الكامخ المذكور في ص ٣٤٧ فليس بالمشهيات أي Hors-D'œuvres على الاطلاق ، بل ضرب منها وهو المسمى عند الافرنج Marinade وعندنا ادلة عديدة على هذا لا حاجة لنا الى بسطها هنا لضيق المقام . والكامخ انواع مختلفة بحسب البلاد التي يستحضر فيها . ولكل بلد من بلاد فارس ضرب من الكامخ . وذكر الناشر ان كامخا تجمع على كواميخ بياء قبل الاخر . وهو خلاف المشهور . والدائر على الالسنة والاقلام انه يجمع على كوامخ بلا ياء على ما هو مقرر في كتب الصنعة ان كان فاعل مكسور العين او مفتوحها فهو يجمع على فواعل اذا كان لغير العاقل ومنه خواتم وقوارح جماع خاتم وقارح . اما كواميخ بالياء فمن الوارد في الشعر فقط او في كلام بعض الفقهاء ولم يصرح به احد والذي ورد في التآليف هو من غلط الطبع او النقل . راجع المغرب للمطرزي . والمصباح وكلاهما ذكر كوامخ ولم يذكر احد الكواميخ بالياء .

وورد في حاشية ص ٣٤٨ هذا الكلام : « وقال الثعالبي : وكان يحمل الى حضرة السلطان مع خراج ارمينية كل عام = وهو ثلاثة عشر الف الف درهم = من البسط المحفورة (؟) ثلاثون بساطا ... » وقد وضع الناشر علامة لستفهام وراء المحفورة لأنها لم ترد في دواوين لغتنا الحالية . — قلنا : جاء في معجم دوزي : « البُسُط المحفورة ورد ذكرها في مقدمة ابن خلدون ١ : ٣٢٤ : ٢ (من طبعة باريس) حيث قال : طنفسة محفورة — وذكرها ابن ضميث في ١٤٩١ — ودى سلان يذهب الى أن الطنافس

المحفورة طنافس منشاة بنقوش بارزة » اه ـ والذي نراه أن هذا التأويل في نهاية السقم . وهو تأويل أعجمي لا يفهم شيئاً من كلام العرب . ولعل الصواب ما ذكره صاحب التاج اذ يقول : « محفور » بلد بشط بحر الروم . وبالعين لحن . نبّه عليه الصغاني وينسج بها البسط والمفارش الغالية الاثمان » اهـ وقال ياقوت في مادة القطيفة : القُطيّفة : تصغير القطيفة وهو كساء له خمل يفترشه الناس وهو الذى يسمى اليوم زُوليّة ومَحفورة . » اه

قلنا : والذي عندنا أن المحفورة تعريب الارمية (معفورتا) بالعين لا بالحاء . ومعنى اصل المادة التأزير والتغفير والتغطية وسبب التسمية ظاهر لكل ذي عينين فالمغفورة ، بالعين ، صحيحة من جهة الاصل ، لا من جهة اتفاق العرب على اتخاذها . وهذا الاصل قديم بدليل قول القاموس والتاج والصغاني انه لحن . مع ان قولهم المعفورة اقدم من المحفورة وهذه تصحيف تلك . وأما ان محفوراً اسم بلد فلم نجده في معجم ياقوت ولا في كتب الفتوحات ، ونظنه مبنياً على وهم كابنوا البسط العبقرية على مثل هذا الوهم الغريب : وعبقر لم تكن ولعلها لن تكون . وقد حار ياقوت في تعيين الارض التي كانت تعرف بهذا الاسم فمرة يقول انها في اليمن ، واخرى يقول انها جبل ، وتارة يقول انها في الجزيرة وطوراً في اليمامة الى غير هذه المزاعم وكلها قائمة على خيال او سراب . قال ابو عبيد : « ماوجدنا احداً يدري أين هذه البلاد ولا متى كانت » (التاج)

زد على ماقلنا ان كلمة (معفورة) وردت في اللغة الارمية ودونت في اسفارهم قبل ان تشيع على أسلات اقلام سلفنا . وكل ذلك يثبت ان اصل الكلمة دخيل وليس منسوبا الى اسم بلد .

وجاء في الحاشية ٢ من تلك الصفحة هذا الكلام : « الديزج » ، فارسي معرب ديزه بالكسر ومعناه ذولونين او هو بين لونين غير خالص . (تاج ٢ : ٤٢) ويروى ايضاً ديرج بالراء المهملة (النهاية لابن الأثير ٢ : ٢٢) اه كلام الناشر — قلنا : معنى ديزه بالفارسية الأخطب أي الأرمد الى سواد يقال ذلك عن الخيل والبغال والحمير وسائر الحيوانات التي على ظهرها جُدّة سوداء تسيل من غاربها الى ذنبها . ولا عبرة في كلام صاحب التاج إذ الفرس اعرف بلسانهم من سواهم . واما انه يقال في ديزج : ديرج

بالراء المهملة فلم يقله احد ، بل لم يقله ابن الاثير نفسه . وهل ترى يصل جهله الى هذه الدركة السفلى ؟ ولكي لا يحكم على ابن الاثير بمثل هذه السفاسف نورد هنا كلامه بعد شرحه الديزج : « قال ويروى بالراء المهملة وسكونها فيها (هكذا بتثنية « فيها ») . ومعنى كلامه هذا : « ان الحديث : أدبر الشيطان وله هزج ودزج » يروى بالراء في كل من هزج ودزج . وبسكون كل من الراءين . اي ان الحديث جاء بصورة ثانية هي : أدبر الشيطان وله هرْج ودَرْج . ثم فسر كلاً من الهَرْج والدَرْج والا لو اخذنا بما اوله حضرة الناشر « أي ديرج » بالراء المهملة وسكونها « فيها » ، وقد حذف الناشر هذه الكلمة الاخيرة - لما اتضح لها معنى سائغ . ثم ماهاتان للفظتان اللتان تقومان نصب اعيننا وما عسى ان تكونا ؟ - كل ذلك لا يقوم على أي قائمة كانت . — هذا والحديث لم يرد في ٢ : ٢٢ من النسخة المطبوعة بل في ٢ : ٢١ . فليحفظ [1] .

ذلك ما بدا لنا في مطاوي مطالعتنا لهذا الكتاب النفيس ونحن نرى ان سقطاتنا أكثر من تصحيحاتنا . ولذا نرجو من القراء أن يقيلونا من عثراتنا وليست العصمة إلا لله .

بقي أن في التتمة التي زادها الناشر مصطلحات عدة تحتاج الى جلب النظر اليها ولا يوفي حقها إلا مقالة بطول هذه المقالة فندع تحريرها إلى من هو اطول باعاً منّا . وله منّا الشكر السابق الجزيل .

الاب انستاس ماري الكرملي

---

(١) يقول اللغويون ليس في العربية فُوعل بضم الاول وفتح الثالث الا اربعة الفاظ سوسن وصوبج وفوفل وكومج : كلهن لغات في المفتوحة الاول والثالث . وعلى هذا يكون غوشنة وفوشنة (وغَوشَنَة) صحيحة الوزن من جهة الاقيسة العربية ، الا أنها لم تنقل عنهم ، ولم تسمع ولهذا كان الجري على الاصل والقليل المسموع عنهم لا خيّة فيه . لا سيما اذا لاحظت أن الاحرف الاربعة كلها اعجمية وليس فيها واحد عربي محض ، اذن من الاحسن أن يقال غوشنة وفوشنة محافظة على الاصل ومراعاة لما نقل عنهم من هذا القبيل . قال السيد مرتضى في مادة (ص ب ج) : « الصوبج . . . معرب . والضم (اي ضم الاول وفتح الثالث) موافق لاعجميته ، جريا على القاعدة المشهورة بين ائمة الصرف واللغة . . . وكونه مضموما هو الصواب لانه معرب چوبة بالضم وهي الخشبة ولما عرّب بقي على حاله . » اه .

الشيخ بدر الدين الحسني

ولد سنة ١٢٦٧هـ - ١٨٥٠م وتوفي سنة ١٣٥٤هـ — ١٩٣٥م

كان أول ما وصل إلى أسماعنا ونحن صغار نطلب العلم في طرابلس الشام من أخبار العلم والعلماء خارج طرابلس — أن في دمشق عالماً مغربياً اسمه بدر الدين وانه لا نظير له في ورعه وتبحره في علوم الحديث وكان هذا في أواخر القرن الماضي الهجري ، فالشهرة بالعلم والورع نشأت مع المترجم منذ صغره . ولهذا يظن الناس أنه بلغ المئة مع أنه لم يتخط السابعة والثمانين من عمره ؛ والسبب في ذلك ما قلناه من ولادة شهرته معه صغيراً ، فطال بأيام الصبا عمره حتى طبق الخافقين ذكره

وطالب العلم في عصرنا هذا يحار في أية مدرسة يدخل . وأيَّ نوع من العلوم يطلب . أما الطالب في أواسط القرن الماضي — إذا كان في مثل نشأة الشيخ وتربيته الدينية — فمدرسته هي المدرسة التي تخرج فيها (ابن الصلاح) و(أبو شامه) و(النووي) و (الحافظ المزي) و(السبكي) و (ابن حجر) وأضرابهم ممن عَمَرُوا دار الحديث الاشرفية بالعبادة وذكر الله وبالعكوف على التأليف ونشر العلم وتربية المريدين . وقد خلفهم المترجم في مدرستهم هذه واستقام على طريقتهم في نشر علوم الشريعة أو نشر الثقافة الاسلامية القديمة (كما يقولون اليوم) عاضاً عليها بالنواجذ . لا يعدوها إلى غيرها . ولا يطمئن قلبه إلى العمل بسواها : فحفظ القرآن الكريم وطائفة كبيرة من المتون في العلوم المختلفة . ودرس تلك العلوم درس تدقيق وتحقيق على علماء دمشق . وأكبر أساتذته في ذلك العلامة أبو الخير الخطيب . وبعد أن نال حظاً وافراً من جميع العلوم الاسلامية انجذب بنور تذفه الله في قلبه الى علم الحديث . فاستظهر الكثير منه بمتنه وسنده ومتعدد طرقه ورواياته . وكلما توغل في هذا العلم ازداد حرصاً عليه وولوعا به . حتى صدق عليه ما قلته بلسان حاله :

كلُّ العلوم سمعتها فجديدها بال رثيث
إلا الحديثَ فانه مثلُ اسمه أبداً حديث

أحبّ الشيخ علم الحديث وأحب العزلة عن الناس ليخلو بذلك الحبيب . وأحب الصوم عن كلام الناس ليفرغ قلبه إلى مناغمة ذلك الحبيب . فلزم غرفته في المدرسة الاشرفية فكان لا يبرحها إلا عند إرادة النوم فينام قليلاً ثم يستيقظ فيتهجد ويغدو صائماً الى المدرسة . فيقرأ العلم ويعلمه ويرجع بعد العشاء إلى داره . وهكذا قضى حياته إلا بضع سنين من أواخرها اضطره المرض إلى ملازمة داره والاقراء فيها

وقد عهدنا الشيخ يكره التوسع في كلام الناس . وكثيراً ما قاطع محدّثه وصرّفه عن الاطالة خشية أن يقع في غيبة أحد أو في باطل من القول أو في ما تعقبه تبعة أو مسؤولية . وإذا سئل هو عن مسألة أجاب بأوجز جواب . وربما ابتدأ الجملة ثم سكت عن إتمامها اعتماداً على فطانة السائل في فهم الباقي

ومن كان هذا شأنه في التأثم من الكلام العادي كان أشد تأثماً في وضع التصانيف التي يبقى خطرها — إذا هفا فيها صاحبها — ما بقي الدهر : ولهذا رأينا شيخنا بعد أن صنف طائفة كبيرة من التصانيف عاد فتناساها ولم يأذن بطبع شيء منها . وشأنه في ذلك شأن الكثيرين من علماء السلف الصالح

وكأن المترجم اكتفى عن تصانيفه بتلاميذه الكثيرين الذين حملوا علمه وطريقته الدينية إلى تلاميذهم وهؤلاء إلى تلاميذهم فلا ينقضي زمن حتى تعم طريقته التعليمية الدينية دمشق وملحقاتها كافة .

ومهما ذكرنا من فضائل المترجم ومناقبه الجمة فان له منقبة فوق كل منقبة . وربما لم يشاركه فيها إلا الافذاذ من علماء القرون الوسطى : تلك هي دروسه الجمية في مسجد بني أمية .

كنت أحضر تلك الدروس والخصها وأنشرها تباعا في جريدة (الشرق) التي كنت مدير تحريرها خلال الحرب العامة . ولقد نشرت اول درس منها في اول عدد صدر من تلك الجريدة بتاريخ ٢٧ نيسان سنة ١٩١٦

وكأن الشيخ في دروسه هذه كان يؤدي لاهل هذا العصر رسالة (ابن الصلاح)

و (النووي) و (السبكي) و (ابن حجر) التي استوحاها من ارواحهم في مدرسة (دار الحديث الاشرفية) من دون زيادة عليها ولا نقصان منها ومن دون أن تشو بها شائبة من (معلومات) العصر الحاضراللهم الا كلمات (البيرةوالشمبانيا والويسكي) التي كان شيخنا رحمه الله يذكرها احيانا في درسه بمناسبة المسكرات مطلقا . وان قوما يسمونها بهذه الاسماء التي لاتحول دون تحريم حرام وان لم تسم باسم الخمر .

كان الشيخ ينطق بهذه الكلمات فيستملح ذلك منه وينظر مستمعو درسه بعضهم إلى بعض متعجبين من تلك الكلمات الاعجمية كيف اقتحمت تلك الاسوار المنيعة التي اقيمت بين الشيخ وبين هذا العالم العابث اللاهي

وكان الدرس الاول الذي لخصته من (دروس الجمعة) يتضمن الكلام على (الجهاد) و(الفتن) و (دخول الحمامات) و (الاصابة بالعين) و (التداوي) بمختلف الادوية وخاصة بالحبة السوداء . وهي المسماة ايضاً حبة البركة والشونيز . وقد وصف الشيخ فوائدها وما ذكره الاطباء في الطب القديم من منافعها ثم حض على التداوي بها وأشار إلى أن في طبها ما يغني عن طب غيرها

فقلت في التعليق على قوله هذا : « بابي انت أيها الاستاذ ونفعنا الله بعلومك وببركات قلبك الطاهر ؟ ومن أين لأهل زماننا اعتقاد مثل اعتقادك ، وايمان مثل إيمانك فتفيدهم الحبة السوداء ، وتكشف عنهم البلاء ، وتغنيهم عن طب الأطباء . حقاً إن الاعتقاد واقتناع النفس كثيراً ما أفاد في شفاء الامراض ولا سيا الامراض العصبية كما حققه حذاق الاطباء ، الذين أصابوا كبد الحقيقة المنبثقة من علم سيد الانبياء » . وقد ختمت هذا الدرس بعد نشره في الجريدة بقولي : (إني — وأنا الخص قول الاستاذ في الجامع — شعرت بشيء من الالم وخدر الاصابع فالقيت القلم من يدي وكففت عن الكتابة . واما الاستاذ فبقي يواصل الكلام من دون تلعثم ولا توقف ولا إحجام . ومدة درسه عادة ثلاث ساعات : يحدر الأستاذ فيها المسائل حدراً لا يتخلله سكوت ولا يقاطعه من الحاضرين سؤال . وكل المسائل التي يلقيها تكون تعليقاً على حديث البخاري الذي افتتح به الدرس . وهو يجعل بين تلك المسائل تناسباً دقيق اللحام . ويفرغها في أسلوب حسن السبك والانسجام ،

ولا يذكر حديثاً ما لم يروِ سنده ويبيّن مأخذه ، فمستمع درسه يعجب من ذلك الاستحضار كالعجب من فصاحة ألفاظه وصحة تراكيبه حتى لو أمكنت كتابة ما يُمليه الاستاذ في درس واحد ثم طبع ذلك الاملاء ونشر بين أيدي الناس لكان لهم منه كتاب يبلغ حجمه حجم عشرة أجزاء من القرآن تقريباً وقد تضمن أبحاثاً جمة في أنواع العلوم الاسلامية القديمة اه) .

وقد راجت مقالاتنا في (دروس الجمعة) بين القراء وأعجبهم طريقة إيرادها وحسن التصرف فيها ، وكنتُ آخذ من فم الشيخ الحديث أو الخبر أو القولة الجليلة « فأمد بعض مسائلها التي تهم الجمهور مد الأديم العكاظي » — كما قال الأستاذ صاحب المنار في وصف تلك الدروس — وأعلق عليها وأقتلها شرحاً وتأويلاً مما يحب الناس أن يسمعوه في ذلك العهد الرهيب .

وكان أشد الناس إعجاباً بتلك الدروس ورغبة في مطالعتها أولئك الذين يسمعون بشهرة الشيخ ولا يتيسر لهم استماع دروسه ومنهم إخواننا فضلاء النصارى في البلدان المختلفة حتى أرسل غبطة البطريرك الموراني أنطون عريضة (وكان يومئذ مطراناً في طرابلس) رسالة إليّ راجعني فيها ببعض ما قلته في (دروس الجمعة) وافتتح الرسالة بقوله : (منذ ظهرت جريدة الشرق فأخذت أطالعها كنت أجد لذة في قراءة مدروجاتها الدينية — الادبية لا سيما التي كانت تصدر عن شيخكم الجليل البدر الحسني العالم الفاضل لما كان يضمنها من التعاليم المفيدة الموقعة على ظروف الزمان والمكان والأشخاص . وكأني به كان يردُ تلك التعاليم من مناهلها العذبة : كالنحل يجني عسله من الازهار الطيبة وقد وقع نظري على تعليمه المدروج في العدد (١٧٠) فألفيته محتوياً من الاقوال ، على الدرر الغوالي : كعمل الاحسان والنهي عن الاذى الى آخر ما قال .

***

هذا وصفٌ للدروس العامة التي كان يُلقيها شيخنا البدر رحمه الله أيام الجمع وقد بقيت لدينا بقية صالحة تصف دروسه الخصوصية في مدرسة دارالحديث الاشرفية وتصف مبلغ علاقته باللغة والادب أرجأناها الى العدد الآخر .

« المغربي »

النحت في اللغة العربية

وسيلة لتوسيع اللغة

النحت في اللغة مصدر نَحَتَ . يقال : نحت النجار الخشبة ، اذا أصلحها ؛ وفي الاصطلاح أن تنحت من كلمتين ، في الاغلب ، كلمة واحدة ، مثل قول العرب « عبقسي » في النسبة الى عبد قيس و « مرقسي » في النسبة إلى امرىء القيس . وقال الخليل :

أقول لها ودمع العين جار ألم يحزنك « حيعلة » المنادي ؟

فنحت من « حيّ على » الكلمة « حيعلة » .

وهذه الطريقة قد استعملها الاوربيون في ارقى لغاتهم ، وبالاسلوب المستعمل في العربية ، فقالوا ، مثلا . Géographie وهي منحوتة من « gê » ارض ، و graphô كتب اي ، (وصف بالكتابة) فمعنى géographie اذن ، وصف الارض . وذلك مستفيض في اللغات الافرنجية ، ولا سيما في الالفاظ العلمية ، فعندهم منها آلاف . ولا يخفى ان للنحت فائدة عظيمة ، لان الكلمة المنحوتة تشتمل على مجموع معاني الجذور الداخلة فيها . وحسب الانسان ان يكون عارفاً بمعنى مئتي جذر او ثلاثمائة ، فيوصله ذلك الى معرفة معاني تلك الالفاظ المركبة او المنحوتة منها .

بهذه الطريقة ، اي بواسطة مئتي جذر او ثلاثمائة ، تغتني اللغة بآلاف من الالفاظ الجديدة ، كما حدث للغات اوربا في العصر الاخير ، فقالوا ، مثلا : Radiophone ، وهي مركبة من جذرين ، معنى الاول منهما (شعاع كهربائي) اي بث التموجات اللاسلكية في الفضاء . ومعنى الثاني (الصوت) فمعنى الكلمتين معا (الآلة الناقلة للصوت بالتموجات اللاسلكية) .

وهذه طريقة اسهل للتعبير عن المسميات الجديدة ، من أخذ جذر من اللغة تمسها وتكييفه باللواحق (affixes) ، او بتغيير صيغته . لاننا اذا اخذنا جذرين ، زادت سهولة التعبير عن شيء مركب معقد .

هيا بنا الآن نطبق هذا المبدأ على اللغة العربية : قد استعمل العرب النحت ، كما قلنا ، فنحتوا بضع عشرة كلمة : البسملة ، من (باسم الله) ، والسبحلة ، من (سبحان الله) والطلبقة من (اطال الله بقاءك) ، الخ .

وانت ترى ان هذه الكلمات المنحوتة خفيفة اللفظ فصيحة ؟ وهي تدل على معان مركبة بصورة مختصرة .

لكنَّ العرب لم يستعملوا هذه الطريقة في العلوم والفنون إلا في بعض الفاظ اقتبسوها من لغات أجنبية ، مثل جغرافية ، ميثولوجية ، الخ . — وأخذ العرب أيضاً الفاظاً منحوتة من اللغة الفارسية ، مثل « الكهرباء » المركبة من « كه » بمعنى التبن ، وجذر الفعل « رُبودَن » ، ومعناه جذب . فمعنى الكهرباء « القوّة الجاذبة » للتبن وما جرى مجراهُ .

ومن الالفاظ الفارسية غير العلمية التي جرت على السنة العرب « طربوش » من « سر » أي رأس ، و « بوش » أي لبس ، « وبستان » من « بو » رائحة « وستان » لاحقة [Suf-fixe] بمعنى « مكان » فبستان معناها (مكان الرائحة الذكية) . « وكشتبان » من « انكشت » اي اصبع ، و « بان » وهي لاحقة بمعنى حارس او حافظ . و « شطرنج » من « شش » اي ستة ، « رنك » اي لون او نوع ، فمعنى شطرنج « اللعبة المركبة من ستة انواع من القطع المتحركة » . وروزنامه من « روز » اي يوم و « نامه » أي رسالة او كتاب ؟ وقس عليها .

واستعمل العرب ايضا الالفاظ المنتهية باللفظة « خانه » الفارسية ومعناها بيت ، فقالوا مطرا نخانه ، كتبخانه ، دفتر خانه ، الخ .

لذلك نتمنى ان ما تمَّ في الماضي ، يتم الآن وفي المستقبل ؟ وذلك بتعميم هذه الطريقة ولا سيا في الالفاظ العلمية ، فنقول ، مثلا : (صور خانه) بمعنى (متحف للصور) بدلا من ان نقول متحف للصور ، و « تمثالخانه » بمعنى (متحف للتماثيل) ، و (آثارخانه) بدلا

من دارالاثار) . ويمكننا ان نصوغ الصفات والظروف من جميع هذه الالفاظ المنحوتة فنقول مثلا : النفقات الصور خانية او الاعتيادات الصور خانية ، الخ .

وجريا على هذه الطريقة نفسها ،نقول مثلا في تعريب Quadrumane اي (الحيوانات ذوات الايدي الاربع) اريد ، فنثنى « اريدان » ونجمع « اريدات » . ونقول في Kuadrupède اي (الحيوانات ذوات الارجل الاربع) « اربدجل » فنثني «اربدجلان » ونجمع « اربدجلات » ، ونصوغ الصفة من امثال هذه الكلمات ، فنقول : اريدي واربرجلي في مثل التعبير الآتي : « الحركات الاريدية » .ونقول في تعريب Mammifère اي (الحيوانات ذوات الثدي ؟ ذوثد » ذوثدان ، ذوثدات . وفي مثل Psychologie نقول الفسلوجية بدلاً من « علم النفس » ؟ وذلك باقتباس الجذر الثاني من اللغة اليونانية كما فعلت اشهر لغات الغرب .

خلاصة الكلام : لا بد لنا من الجرأة ، ولا سيما في ميدان الصحافة والتدريس . ولا نخشَ تصادم الاراء في صوغ تلك المنحوتات الجديدة ، فان ناموس اللغات هو التواطؤ العلمي بالاستعمال ، نضرب لذلك مثلا : كان الفرنساويون يقولون vélocipède اي (السريعة الرجل) ، فماتت هذه اللفظة وحلت محلها Bicyclette ، اي (العجلة المثناة) ، وهي التي عربها المعربون بالكلمة « دراجة » .

واذا اعترض بعض اولئك المتعنتين المدعين حب اللغة العربية — وهم في الحقيقة المسكون بخناقها — وقالوا ان النحت قصر على الالفاظ التي استعملها العرب فقط ، فنجيبهم بكلام المرحوم احمد فارس الشدياق : هل لعاقل ان يقول ان « الطلبقة » لازمة وغيرها غيرلازم ، مع ان الوضع انما يراعى فيه اللزوم والضرورة . فاذا ساغ للعرب نحت بعض الالفاظ ، ساغ لنا ذلك نحن ايضا ان ننحت ما تمس الحاجة اليه ؟ فهم رجال ونحن رجال !

أثبتنا في هذا المقال تحديد النحت ومثلنا له ، ووضعنا بضع كلمات منحوتة . وسننشر ان شاء الله ما يتيسر لنا نحته او وضعه من اسماء المسميات الجديدة . فنقدم لارباب المجمع العلمي العربي ولو حجراً واحدا يضاف الى تلك الاحجار الكريمة التي راح ارباب المجمع يبنون منه قصراً لهذه اللغة الشريفة .

مارون غصن

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة »

— ١٠ —

حدثنا أبو الحسن علي بن أبي محمد الصلحي الكاتب قال : رأيت بمصر طبيباً كان بها مشهوراً يعرف بالقطيعي وكان يقال إنه كان يكسب في كل شهر الف دينار من جرايات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر ومن السلطان ومما يأخذ من العامة قال وكان له دار قد جعلها شبيه البيمارستان من جملة داره يأوي اليها ضعفاء الأعلة (١) يعالجهم ويقوم باودهم وأدويتهم وأغذيتهم وخدمتهم وينفق أكثر كسبه في ذلك. قال أبو الحسن فاسكت بعض فتيان الرؤساء بمصر وأسماه لي فذهب عني اسمه وكنت هناك فحمل اليه أهل الطب وفيهم القطيعي فاجمعوا على موته الا القطيعي وعمل أهله على غسله ودفنه فقال القطيعي دعوني اعالجه فان بري والا ليس يلحقه أكثر من الموت الذي قد أجمع هؤلاء عليه فخلاه أهله معه فقال : هاتم غلاما جلداً ومقارع فأتي بذلك فأمر به فمدد فضربه عشر مقارع من أشد الضرب

(١) جمع عليل

ثم مس مجسه وضرب به عشرة أخرى شديدة، ثم مس مجسه وضربه عشرة اخرى ثم مس مجسه فقال للطب[1] ايكون للميت نبض يضرب؟ فقالوا لا قال فجسوا فجسوه فقالوا قد زاد نبضه فضربه عشرة أخرى فقوي النبض ، فضربه عشرة أخرى فتحرك الميت ، فضربه عشرة أخرى فصاح ، فقطع عنه الضرب فجلس العليل يجس بدنه ويتأوه وقد أثاب قوته اليه فقال ما تجد؟ فقال انا جائع فقال أطعموه الساعة فجاءوه بما اكل ورجعت قوته وقمنا وقد برأ فقال له الطب من أين لك هذا؟ قال كنت مسافراً في قافلة فيهم أعراب يخفروننا فسقط منهم فارس عن فرسه فأسكت فقالوا قد مات فعمد شيخ منهم فضربه ضرباً عظيماً كثيراً وما رفع الضرب عنه حتى أفاق فعلمت أن الضرب جلب اليه حرارة أزالت سكتته فقست عليه أمر ذلك العليل

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد الأزدي قال حدثني أبو علي الحسين بن محمد الانصاري الكاتب قال كنت وأنا احدث وقع بين يدي حمد دلويه[2] وهو إذ ذاك يكتب للموتمن سلامة[3] حاجب القاهر فجاءه يوماً أبو علي الحسن[4] بن القاسم بن عبيد الله وأبو جعفر الكرخي مسلمين[5]. فحبسهما للانس وأجلسهما في دست في صدر قبة كانت له وجلس دونهما على مطارح وفرش في بيت الى جانب القبة له باب اليها واجلس فيه ابنه وأجلسني معه و كأنه رفع الرجلين عن معاشرتهما بنا ونحن أحداث واراد

(١) يريد الاطباء (٢) كذا بالاصل (٣) بالاصل : اخي حج صاحب (٤) الصواب الحسين وليراجع تجارب الامم ١ : ٢٦٦ (٥) بالاصل : مسلمان

بذلك سماع كلامه (١) والانس بسماع المغنى (٢) وكان الى جانب القبة بيت آخر فأجلس المغنى فيه ومدت ستارة على بابه وأخذوا في الشراب ونحن نسمع الغناء وما يجري من كلامهم ولا نرفع أصواتنا بالكلام لئلا يسمعوا ذلك فلما توسطوا الشراب احضر باكورة فقبلها ثم أقبل عليهما وقال الانصاف أن أقسمها بيننا أثلاثًا ولكن قد وفرت قسمي عليكما يا سيدي فاقتسماها انتما فأخذها الحسن (٣) بن القاسم فقال يا سيدي يابا جعفر هذه تحب أن آخذ انا ثلثيها وأعطيك ثلثها فقال الكرخي فعلام يا سيدي فقال لانك انت وأخوك ولدتما توءما فانت نصف توءم (٤) وأنا تام لأني ولدت وحدي ولو كان أخوك حاضراً لكان لي ولك وله اثلاثا ومع غيبته فانت لا تستحق أكثر من الثلث فقال له أبو جعفر ما أعجب هذا أنت رجل كان جدك نصرانيًا يعتقد أن الله ثالث ثلاثة ونشأ أبوك فصار ثنويًا وترك مرتبته (٥) ونشأت أنت فكان القياس أن تترك مرتبة واحدة أخرى وتركت مرتبتين فنشأت ملحداً لا تعتقد شيئًا أصلا ولم نعيرك بذلك تعيرنا أنت بالتوءم ولا ذنب لنا فيه وهو عار على الحقيقة فغضب الحسن (٦) بن القاسم وابتدى (٧) ليجيب فقام دلويه وقال الطلاق ثلاث لازم لي وكل ما املكه صدقة ان اجبت ياسيدي بشيء ولا تكلمت أنت يا سيدي يابا جعفر بشيء فإن هذا يخرج الآن عن المزح الى العربدة والأحقاد والوحشة التي تبقى وقدر كما يرتفع عن هذا،

(١) لعله كلامهما (٢) يريد الغناء (٣) الصواب: الحسين (٤) لعله تام (٥)الصواب مرتبة اي مرتبة واحدة (٦) الصواب: الحسين (٧) لعله: فانتدب

قال : فسكتا ساعة واجمين ولم يزل أبو محمد يداريهما ويبسطهما ويستعطف كل واحد منهما لصاحبه حتى اصطلحا ٠

***

أنشدني محمد بن عبيد[1] الله بن سكرة الهاشمي وهو من وُلد عبد الله بن علي بن المهدي المعروف بابن رائط غلب عليه اسم أمه كما غلب على إبراهيم ابن المهدي اسم أمه شكلة يهجو أبا العباس بن أبي الشوارب وهو من وُلد خالد بن أسيد الأموي أخي عباد بن أسيد صاحب النبي صلى الله عليه وسلم لما تقلد قضاء القضاة وكان العامة تلقبه بجدَندل :

خلعتُ على حدَندل من مديحي قميصاً لا اكتسى رجلٌ كساهُ
على نفسي دعوتُ لأن جهلي دعاني إن شرهت الى نداه
وكيف رجوتُ جوداً من عدوي ولم أغسل حسامي من دماه

لأبي فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون العدوي التغلبي قصيدة أولها[2] :

وقوفك في الديارِ عليك عارُ وقد ردَّ الشباب المستعارُ

ويقول فيها :

وطال الليلُ بي ولربَّ ليلٍ[3] نعمتُ به لياليه قصارُ
وندماني السريع إلى ندائي[4] على عجلٍ وأقداحي الكبار
عشقتُ بها عواريَّ الليالي أحقُّ الخيل بالركض المعار

(١) في يتيمة الدهر ٢ : ١٨٨ اسم ابيه عبد الله (٢) ص ٢٣ من ديوانه (بيروت ١٩٠٠) (٣) في الديوان دهر (٤) في الديوان لقائي

إذا نجز الظلام امتدّ آل كأنا ذرّه وهو البحار [١]
يموجُ على النواظر فهو ماءٌ ويلفح بالهواجر فهو نارُ
فكم بلدٍ شننّاهن فيه ضحاً وعلى منابره المغار
وكنّ إذا أغرن على ديارٍ رجعن ومن طرائدها الديار [٢]
وكم ملكٍ نزعنا الملك منه وجبار بها دمه جبارُ

وله قصيدة أولها [٣] :

عذيري من طوالع في عذاري

يقول فيها :

أرى نفسي تطالبني بأمرٍ قليل دون غايته اصطباري [٤]
وما يغنيك من هممٍ طوالٍ إذا قرنت بأحوال قصار
وقيل لي انتظرْ زمناً ومن لي بأن الموت ينتظر انتظاري

أنشدني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي المعروف بالببغاء الكاتب لنفسه يصف شراباً قد جاء [٥] أبيض أبياتاً ثابتة في ديوانه اختصرت منها قوله [٦] :

بالقفص [٧] للقصف منزل كثب ما للنصارى [٨] في غيره أربُ

---

(١) في الديوان اذا انحصر الظلام امتد ليل كأنا ورده (٢) في الديوان الدمار (٣) ديوان ص ٧٠ (٤) في الديوان اقتصاري (٥) لعله سقط في اناء (٦) يتيمة الدهر ١ : ١٨٦ (٧) قال في معجم البلدان : القفص قرية مشهورة بين بغداد وعكبر او كانت من مواطن اللهو ومعاهد النزه ومجالس الفرح ينسب اليها الخمور الجيدة (٨) في اليتيمة : للتصابي والنصارى اصبح لتحليلهم شرب الخمور

دارت نجوم[١] الكؤوس في فلك ... منه له من فتوتي قطب
من كل جسم كأنه عرض ... يكاد لطفاً باللحظ ينتهب
نور وإن لم يغب ووهم ولو ... صح[٢] وماء لو كان ينسكب
لا عيب فيه سوى أذاعته السـ ... ـر الذي في حشاه يحتجب
كأنما صاغه النفاق فما ... يخلص فيه صدق[٣] ولا كذب
فهو إلى لون ما يجاوره ... على اختلاف الطباع ينتسب
إذا ادعاه اللجين أكذبه ... بالراح في صبغ جسمه الذهب
جلت عروس المدام حالية ... فيه علينا الأدوار[٤] والنخب[٥]
فالراح بدر والجام هالته ... والأفق كفي والأنجم الحبب

وأنشدني لنفسه مقطوعة :

فليالي الصبا أسر ليال ... وزمان الهوى ألذ زمان
وأسر البلاد ما حمد السا ... كن فيها خلائق الجيران

* * *

حدثني[٦] بعض المتطببين قال حدثنا أبو منصور بن مارمة كاتب أبي مقاتل صالح بن مدرك الكلابي أمير دجلة وكان أبو منصور من رؤساء أهل الصراة[٧] الذين يضرب بهم المثل في كل فن كان أديباً وقد شاهدته

(١) في اليتيمة : السرور (٢) في اليتيمة ضج (٣) في اليتيمة : منه صدق (٤) في اليتيمة الاوتار (٥) قال شارح ديوان مسلم بن الوليد (ص ١٦٦) النخبة هي الكاس الكبير . والاظهر أنه يريد الشربة يشربها الرجل لصحة حبيبه (٦) الفرج بعد الشدة ٢ : ٩٩ (٧) في الفرج : البصرة

ولم أسمع مثل هذه الحكاية قال أخبرني شيوخ (١) قال كان بعض أهلنا استسقى وأيس من الحياة فحمل الى بغداد فشوورز الطب (٢) وفيه فوصفوا له أدوية كباراً فعرفوا أنه قد تناولها بأسرها فلم تنجع فأيسوا منه وقالوا: لا حيلة لنا في برئه وهذا تالف فسمع العليل ذلك فقال لمن كان معه دعني الآن أتزوّد من الدنيا وآكل ما أشتهي ولا تقتلوني بالحمية قبل أجلي، فقالوا كلْ ما تريد، فكان يجلس على دكان باب الدار التي ينزلها ببغداد فمهما رآه يجتاز على الطريق اشتراه وأكله فمر به رجل يبيع الجراد مطبوخاً فأجلسه واشترى منه عشرة أرطال وأكلها بأسرها فلما كان بعد ساعة من أكله انحلّ طبعه وتواتر قيامه حتى قام في ثلاثة أيام أكثر من ثلثمائة مجلس وضعف وأيس منه ثم انقطع القيام وقد زال كل ما كان في جوفه وأثابت (٣) قوته وبرأ فخرج برجليه في اليوم الخامس يتصرف في حوائجه فرآه أحد الطب وعجب من أمره وسأله عن الخبر فعرّفه فقال ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا الفعل ولا بدأن يكون في الجراد الذي فعل خاصية فأُحب أن تدلني على بائع الجراد قال فما زالوا في طلبه حتى اجتاز بالباب دفعة ثانية ورآه الطبيب فقال ممن اشتريت هذا الجراد فقال ما اشتريته أنا أصيده وأجمع منه شيئاً كثيراً وأطبخه على الأيام وأبيعه فقال من أين تصطاده قال فذكر قرية على فراسخ يسيرة من بغداد فقال له الطبيب أعطيك دنانير

---

(١) في الفرج: شيوخنا - (٢) في الفرج: الاطباء وقدأ كثر المؤلف من استعمال الطب بهذا المعنى (٣) بالاصل اثابت وفي الفرج: وثابت

وتدعُ شغلك وتجيءُ معي الى الموضع الذي اصطدت منه الجراد قال نعم ! فخرجا وعاد الطبيب من غدٍ ومعه من الجراد شيءٌ وحشيشة قالوا له : ما هذا فقال صادفت الجراد الذي يصيده هذا الرجل يرعى في صحراء جميع نباتها حشيشة يقال لها مازريون وهي من دواء الاستسقاء وإذا دفع الى العليل منها وزن درهم أسهله إسهالاً يزيل الاستسقاء ولكن لا يؤمن أن ينضبط ولا يقف فيقتله بالذرب فالعلاج بها خطر جداً وهي مذكورة في الكتب ولفرط غررها[1] لا يكاد أن يصفها الطب فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة وأنضجتها معدته ثم طبخ الجراد ضعف فعلها بطبخين اجتمعا عليها وقصر، وتناولها هذا وقد تعدلت بمقدار ما أبرأته ولم تدفع طبعه دفعاً لا ينقطع فبرأ .

(١) في الفرج : ضررها

آراء وافكار

(الاسلام والكتب)

ورد في السيرة النبوية ان النبي (ص) اشترط في اطلاق اسارى المشركين ان يعلموا صبيان الصحابة الكتابة . وجاء في اخبار المأمون انه صالح ملك الروم على ان يرسل اليه كتبا فلسفية من مكاتب القسطنطينية وفي خبر آخر ان يرسل اليه احد اطباء بلاده . وكان مولاي اسماعيل ملك مراكش في القرن الحادي عشر للهجرة احب ان يحيي سنة السلف فرأيناه يكتب كتابا الى ملك اسبانيا يشترط فيه ارسال كتب عربية أندلسية لقاء فك الاساري وهذا هو نص الكتاب بعد البسملة والطابع :

« من امير المؤمنين اسماعيل الى عظيم الروم وملك اقاليم اسبانيا وبلاد الهند والمتولي امورها والمتصرف في اقطارها (ضون كارلوس) امابعد فقد وصلنا كتابكم صحبة خديمكم (منويل بيردلون) و(ايل مسيح) وهو جواب عن كتابنا الذي ارسلناه لكم مع الفرايلي[1] قبل هذا وبعد ان قرأناه وفهمنا لفظه ومعناه والتي الينا خديمكم (ايل مسيح) ما في خاطركم وما طلبتموه منا من فك هذه المائة من الاسارى رددنا اليكم جواب كتابكم ووجهناه مع خديم دارنا وكاتبنا السيد محمد بن عبد الوهاب الوزير ولولا مزيتكم عندنا ومعرفتنا بنصيكم ماسمحنا بفراقه الى ان قال: وذلك بان تعطونا في الخمسين من الاسارى من هذه المائة خمسة آلاف كتاب : مائة كتاب عن كل امير نصراني من كتب الاسلام الصحيحة المختارة المثقفة في خزائنهم باشبيلية وقرطبة وغرناطة وما والاها من المدن والقرى حسبما يختارها خديمنا المذكور من المصاحف وغيرها وتعطون خمسمائة اسير من المسلمين في مقابلة الخمسين الاخرى وان لم توجد الكتب التي هي مرادنا فاجعلوا عوضها من اسارى المسلمين

(١) يفهم من كلامهم انه يراد بالفرايلي نزلاء الاسبانيول الذين كانوا يسكنون مدينة مكناسة ولا نعلم ان كانوا يسمون بذلك الى اليوم

واعطوهم لنا من الاسارى الذين في الاغربة وغيرهم وقبلنا منكم في العدد المذكور الرجل والمرأة والصغير والكبير والمسن من ايالتنا وغيرها اذ مالنا قصد الا في الاجر والثواب في فكاك اسارى المسلمين كيفما كانوا ومن اين كانوا والا فالاعتناء الكلي انما يكون باهل الدواوين من الجند او العلماء حملة الشريعة وعامة المسلمين انما نقصد بفككهم وجه الله تعالى . وبرجوع خادمنا حامله بذلك نلتقاه بهذه المابة نصراني لسبتة و يكون ملتقى الجميع فيها ولا عندنا معكم في هذا الا الجد الصحيح والعمل الصريح بحول الله تعالى وكتب سادس عشر ذي الحجة الحرام خاتم عام واحد ومائة والف .

مطبوعات حديثة

كتاب المواقف

لمحمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري

ويليه للمؤلف ايضاً كتاب المخاطبات

طبعت للمرة الاولى بعد مقابلة سبع نسخ بتحقيق

ارثر يوحنا اربري

لقد طبع هذا الكتاب الصوفي الجليل في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣٤ وهو يتألف من ٧٧ بابا أو موقفا ، كما أن كتاب (المخاطبات) يتألف من ٥٧ مخاطبة ، وقد عني بتصحيحه وتنقيحه الاستاذ اربري المحاضر بالجامعة المصرية وأنشأ له مقدمة نفيسة بالانكليزية ، ونقل اليها الكتابين المذكورين ، وعزز الترجمة بفهرسين ليتها كانا بالعربية : الاول في التعابير الفنية التي استعملها مؤلف الكتاب ، والثاني باسماء الاشخاص والامكنة والكتب وغيرها .

أما المؤلف فهو كما يذكره محقق الكتاب صورة غير واضحة في تاريخ التصوف الإسلامي عاش على ما يظهر في النصف الاول من القرن الرابع للهجرة فقد جاء في كشف الظنون انه توفي سنة ٣٥٤هـ؛ والنزر المعروف من حياة النفري ملتقط برمته مما كتبه شارح المواقف عفيف الدين التلمساني فقد جاء ذلك مبعثراً في تضاعيف الشرح منه ان مؤلف المواقف هو ابن الشيخ النفري ، لا الشيخ النفري عينه ، لان هذا الشيخ لم يؤلف شيئا من الكتب ، غير انه كتب مواقفه أو الهاماته هذه على جزازات من الورق سقطت من بعده للخلف ، وجاء في موضع آخر ان صاحب المواقف كان هائما في البراري لا يقيم في مكان واحد ، وفي محل آخر يذكر ان مؤلف المواقف لم يكن هذا النفري بل أحد اصحابه او ابن بنته على رواية اخرى ، والذي يهمنا معرفته ان النفري كان صوفيا من طبقة متوسطة بين رجال التصوف ولم يكن مهتما لا برواياته ولا بمستقبل الهاماته ، ولكنه كان مع ذلك غيوراً من الحس في التمسك بخاطراته ، مع اعتقاد منه صريح بصحة منازلاته ، وقد ذكره الشيخ الاكبر في فتوحاته أربع مرات .

وأما اسمه فقد اتفق العلماء على صحته ما خلا نسبته ، ولعل اختلافهم فيها قد نشأ من مسخ النسخ أولا ثم من نسخ المسخ ثانياً وهلم جرا الى أن اعتقد الناس بالغلط أخيراً ، فما قيل انه : النِفَّري ، النفزي ، النَفْزي ، والشيخ الاكبر يذكره في الفتوحات بالنفزي ؛ كذلك اختلف المستشرقون من بروكلن ومرغوليوث ونيكلسون وماسينيون في هذه النسبة بحسب المخطوطات المختلفة التي اطلعوا عليها .

وصاحب القاموس يذكر بلدة (نِفَّر كإمَّع من عمل بابل منها أحمد بن الفضل النفري) . ويزيد صاحب التاج أن نفر العراقية (من سقي الفرات ، وقيل بالبصرة ، وقيل على النرس من أنهار الكوفة ، ثم يقول : وفاته (أي المجد) محمد بن عبد الجبار النفري صاحب المواقف والدعاوى والضلال).وذكر ياقوت نفر في معجمه والخلاف في مكانها وقال أخيراً : والصحيح أنها من أعمال الكوفة ، وقد نسب إليها قوم من الكتاب الأجلاء وغيرهم قال عبيد الله بن الحر :

وقد لقي المرء التميمي خيلنا فلاقى طعانا صادقا عند نفرا

وضرّ بأيزبل الهام عن سكناته فما إن ترى الآصر بعاً ومدبرا

ومن مؤلفات صاحب المواقف كتاب المخاطبات المطبوع مع المواقف يبدؤه بقوله : (يا عبد) بدلاً من (وقال لي) كما في المواقف ٠

« مذهب النفري في التصوف »

١ — الوقفة

إن « الوقفة » أهم خصائص المذهب النفري في التصوف ، وقد ذكر ابن العربي هذا التعبير عند شرحه له في فتوحاته ، كما أن صاحب المواقف قد تعرض لشرح معناها في الموقف الثامن المشتمل على روح المذهب النفري في مواقفه ووصفها بينبوع العلم ومما قاله عنها ما نصه :

« وقال لي : الوقفة ينبوع العلم فمن وقف كان علمه من تلقاء نفسه ، ومن لم يقف كان علمه عند غيره ٠ » وقال أيضاً : « الوقفة روح المعرفة ، والمعرفة روح العلم ، والعلم روح الحياة » ثم قال : « الوقفة عمود المعرفة ، والمعرفة عمود العلم » ٠

ثم شرح هذه (الوقفة) بقوله : « العلم حجابي ، والمعرفة خطابي ، والوقفة صورتي ، وقال : « العالم يخبر عن الامر والنهي وفيهما علمه ، والعارف يخبر عن حقي وفيه معرفته والواقف يخبر عني وفيّ وقفته ٠ »

ومما فرق به بين العارف والواقف بقوله « العارف ذو قلب ، والواقف ذو رب» وقوله « اخباري للعارفين ووجهي للواقفين ٠»

٢ ٠ — معرفة المعارف ٠ — وقال لي : اذا عرفت معرفة المعارف جعلت العلم دابة من دوابك ، وجعلت الكون كله طريقا من طرقاتك » ؛

« وقال لي : لا يعبر عني إلا لسانان : لسان معرفة آيته اثبات ما جاء به بلا حجة ، ولسان علم آيته اثبات ما جاء به بحجة » ؛

« وقال لي : اسمع الى معرفة المعارف كيف تقول لك : سبحان من لا تعرفه المعارف ، وتبارك من لا تعلمه العلوم ، انما المعارف نور من انواره ، وإنما العلوم كلمات من كلماته ٠

ومن ابواب الكتاب موقف الادب وموقف التقرير وموقف لا تفارق اسمي وموقف

حجاب الرؤية وموقف البصيرة وموقف الحجاب ، وموقف التمكين والقوة وموقف الكشف وموقف الحرف وموقف العبادة الوجهية وموقف الاسلام الخ

كتاب المخاطبات . — فمن المخاطبة الأولى : يا عبد اعرف من انت يكن أثبت لقدمك ويكن اسكن لقلبك ؛ يا عبد ، اذا عرفت من انت حملت الصبر فلم تعي به ؛

يا عبد ، اذا عرفت من أنت اشهدتك محل العلم بي من كل عالم ، ومقر الوجد بي من كل واجد ، فاذا اشهدتك ذلك كنت من شهودي على العالمين ، واذا كنت من شهودي على العالمين فابشر برافقة النبيين .

ومن المخاطبة السابعة والاربعين : يا عبد علم رايتني فيه هو السبيل الي ، وعلم لم ترني فيه هو الحجاب الفاتن ،

يا عبد اذا لم ترني فجالس العلماء واستضيء بنور العلم ،

يا عبد العلماء يدلونك على طاعتي لا على رؤيتي .

هذه امثلة ذكرناها على سبيل المثال ، لتدل على روح المؤلف ونمط التأليف ، والمطلع على طبع الكتاب وعلى حواشيه ومقدمته الانكليزية يعلم مبلغ عناية مصححه الفاضل ، ومبلغ اهمالنا لكتب السلف الصالح على جليل فائدتها وجميل عائدتها .

عز الدين علم الدين

جلسة المجمع العلمي الاخيرة

٦ ربيع الاول ١٣٥٤ و ٧ حزيران ١٩٣٥

انعقدت جلسة المجمع برئاسة رئيسه الاستاذ عبد القادر المغربي وبحضور اكثرية الاعضاء ومما بحث عنه في هذه الجلسة :

١ — المراسلات

تلا الرئيس رسالة وزير المالية بشأن طبع المجلة و(كتاب الدارس في المدارس) في مطبعة الحكومة وان المالية لا بد لها من الرجوع على المجمع العلمي في اجور الطبع فتقرر الاستغناء عن مطبعة الحكومة والطبع في مطبعة اهلية ارخص سعراً واتقن طبعاً

وتليت رسالة احد اساتذة اللغة والادب في لبنان يرشح نفسه لعضوية المجمع العلمي فتقرر الحاقه بقائمة اسماء المرشحين للعضوية والانتفاع منذ الان بنتاج علمه وادبه ونشره في مجلة المجمع

ثم تليت رسالة الفاضلة كلثوم عودة تلميذة العلامة كرتشكوفسكي بشأن اشتراك المجمع في حفلة تكريمه وتقرر ان يكتب الاستاذ الرئيس كلمة ترسل باسم المجمع الى تلك الحفلة (وقد ارسلت وستنشر في المجلة)

٢ — الهدايا

اهدى الاستاذ كرتشكوفسكي كتاب « البديع » لعبد الله بن المعتز فسر الاعضاء لطبع هذا الكتاب النفيس وكلف الاستاذ خليل بك مردم بكتابة كلمة عنه

واهدى الاستاذ ارثر يوحنا اربري كتاب المواقف في التصوف لمحمد بن عبد الجبار النفري فكلف كاتب سر المجمع بكتابة كلمة عنه (وهي التي تقدمت)

وا هدى الاب فيليب باريخا اليسوعي كتابا في الشطرنج في مجلدين لمؤلف عربي مجهول الاسم وهو كتاب فريد في بابه وفيه رسوم تمثيل رقاع الشطرنج على اختلاف الالعاب فكلف الاستاذ المبارك بالكتابة عليه

واهدى الاستاذ اسد رستم كتاب « لبنان في عهد الامراء الشهابيين » ، وهو ثلاثة اجزاء مذيلة بتحقيقاته وقرر أن يكلف الامير مصطفى الشهابي بالكتابة عليه

فالمجمع العلمي يشكر المهدين على هداياهم النفسية

٣ - الترشيحات

ورشح الرئيس انتخاب الاساتذة حسين والي وفيشر وطه حسين الالماني لعضوية المجمع العلمي فاجلت الموافقة على ذلك إلى جلسة اخرى

٤ - الفاظ البرق البريد

ثم تلا الرئيس جريدة تتضمن الفاظ البرق والبريد التي نشرتها الهيأة العاملة في الجرائد مع مناقشاتها فوافق الاعضاء على جميع الالفاظ ما خلا المنشبة ، الناشبة ، الشريط العازل ، حجرة المقومات ، الخاصرة ، الناقلة ، القائمة فقد اقترح الاعضاء ان يستبدل بها المنشب ، الناشب ، العازل ، حجرة التسعير ، الحابس ، المحولة ، الشاخصة

ثم بحث الاعضاء في طريقة انفاذ نشر تلك الكلمات فاقترح الاستاذ فارس بك الخوري ضرورة ارسالها إلى مجمع اللغة العربية الملكي بواسطة معالي وزير المعارف وذلك في سبيل توحيد المصطلحات العلمية المؤدية الى توحيد الثقافة العربية

٥ - تمثيل المجمع

في المؤتمر الطبي

واخيراً قرر الاعضاء انتخاب الاستاذ الرئيس ليمثل المجمع في المؤتمر الطبي الثامن الذي ازف انعقاده في دمشق وان يكتب بذلك إلى رئاسة اللجنة التحضيرية للمؤتمر المذكور

الاعضاء الذين فجع بهم المجمع
في خلال هاتين السنتين

(في دمشق) الاستاذان جميل العظم وسليم عنحوري (وفي حلب) الاستاذان كامل الغزي وزكي مغامز (وفي مصر) الاساتذة أحمد زكي باشا واسعد خليل داغر وداود بركات (وفي طول كرم : فلسطين) الاستاذ سعيد الكرمي (وفي رومة) الاستاذ جويدي .

(المجمع) يبث حزنه عليهم ، ويدعو بالرحمة لهم

رجاء إلى القراء

(١) أن يرسلوا الى إدارة مجلة المجمع عنواناتهم الجديدة

(٢) ان يرسل اليها المشتركون بدلات الاشتراك الباقية في ذممهم حتى سنة ١٩٣٢ م

(٣) أن يرسل أيضاً مشتركو هذه السنة (المركبة من سنتي ٩٣٣ و ٩٣٥) اشتراكهم عنها وإذا كان فاتهم بعض أعدادها الاولى الاربعة ولا سيما الثالث والرابع فليطلبوه من الادارة

(٤)أن يوافي أعضاء المجمع ادارة تحريره بمقالاتهم وما جد من آثارهم

(٥) نرجو المؤلفين وارباب المطابع والمكاتب أن يرسلوا إلينا مصنفاتهم وآثارهم المختلفة التي صدرت بين السنتين المذكورتين كي لايفوتنا تقريظها وتدوين خبرها في المجلة .

Bibliotheca Alexandrina
0652775